

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي ليايس-سيدي بلعباس
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها



تجليات الخطاب و إضماراته
أنموذج
ترجمات د.صلاح الدين كشريد

أطروحة للمناقشة لنيل شهادة دكتوراه

إشراف

أ.د. مولاي علي

تقديم الطالب

ولهاصي عزيز عبد الإله

لجنة المناقشة

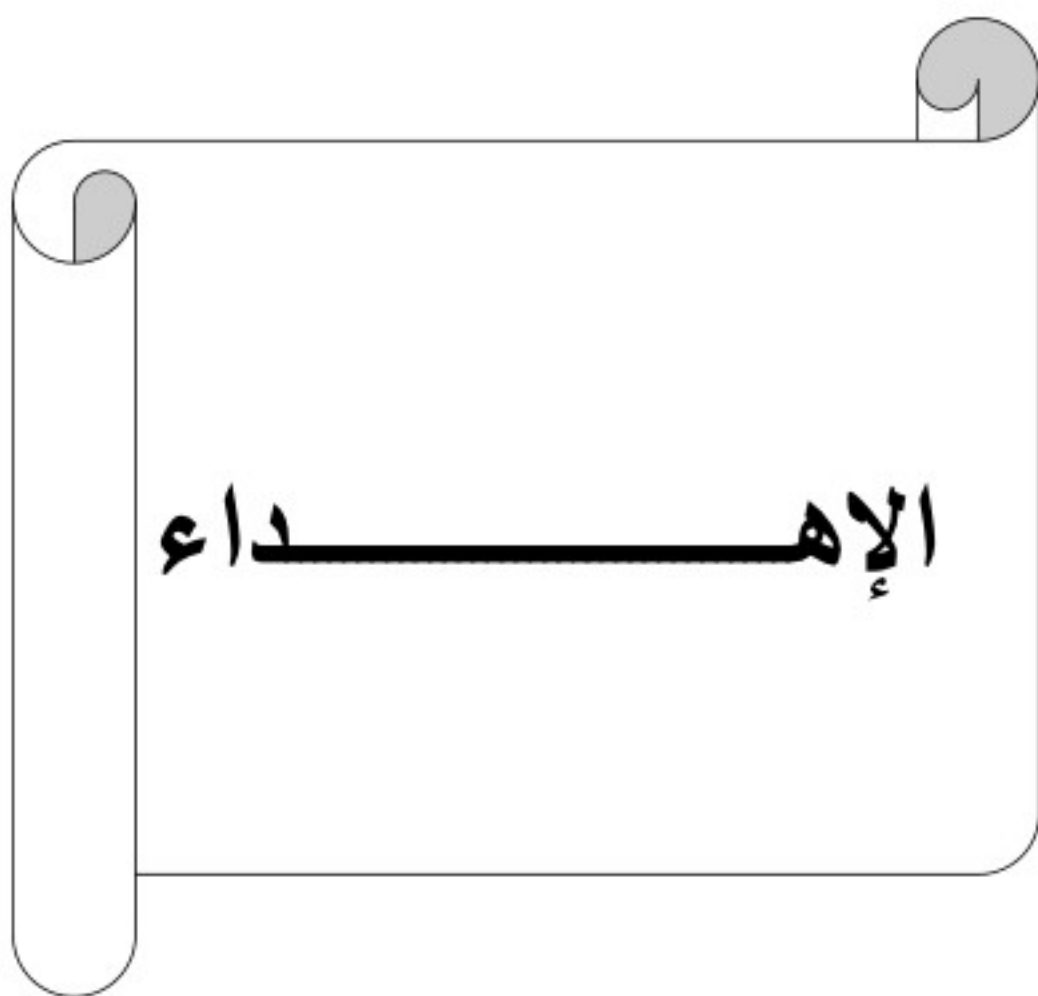
أ.د. منصور عبد الوهاب.....جامعة سيدي بلعباس.....رئيسا
أ.د. مولاي علي بوخاتم.....المركز الجامعي عين تموشنت.....مشرفا و مقرا
أ.د. مختاري زين الدين.....جامعة تلمسان.....مناقشا
د.بلي عبد القادر.....المركز الجامعي عين تموشنت.....مناقشا
أ.د. طيبي أمينة.....جامعة سيدي بلعباس.....مناقشا
أ.د. غربي شميصة.....جامعة سيدي بلعباس.....مناقشا

السنة الجامعية 2015-2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة - الآية 11



الإهداء

إلى من كلت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة
إلى من أزاح الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب
إلى صاحب القلب الكبير والدي العزيز رحمه الله

إلى من أرضعتني الحب والحنان
إلى رمز الحب ويلمس الشفاء
إلى القلب الناصع بالبياض والذتي العزيزة

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البرينة إلى رياحين حياتي إخوتي و أخواتي

إلى الأرواح التي سكنت روحي زوجتي و أولادي

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنتقل السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر
الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة البعيدة إلى الذين
أحببتهم وأحبوني أصدقائي بلعباس ميسوري و غوثي نوالي



شكر و عرفان

ومن حق النعمة الذكر، وأقل جزاء للمعروف الشكر ...

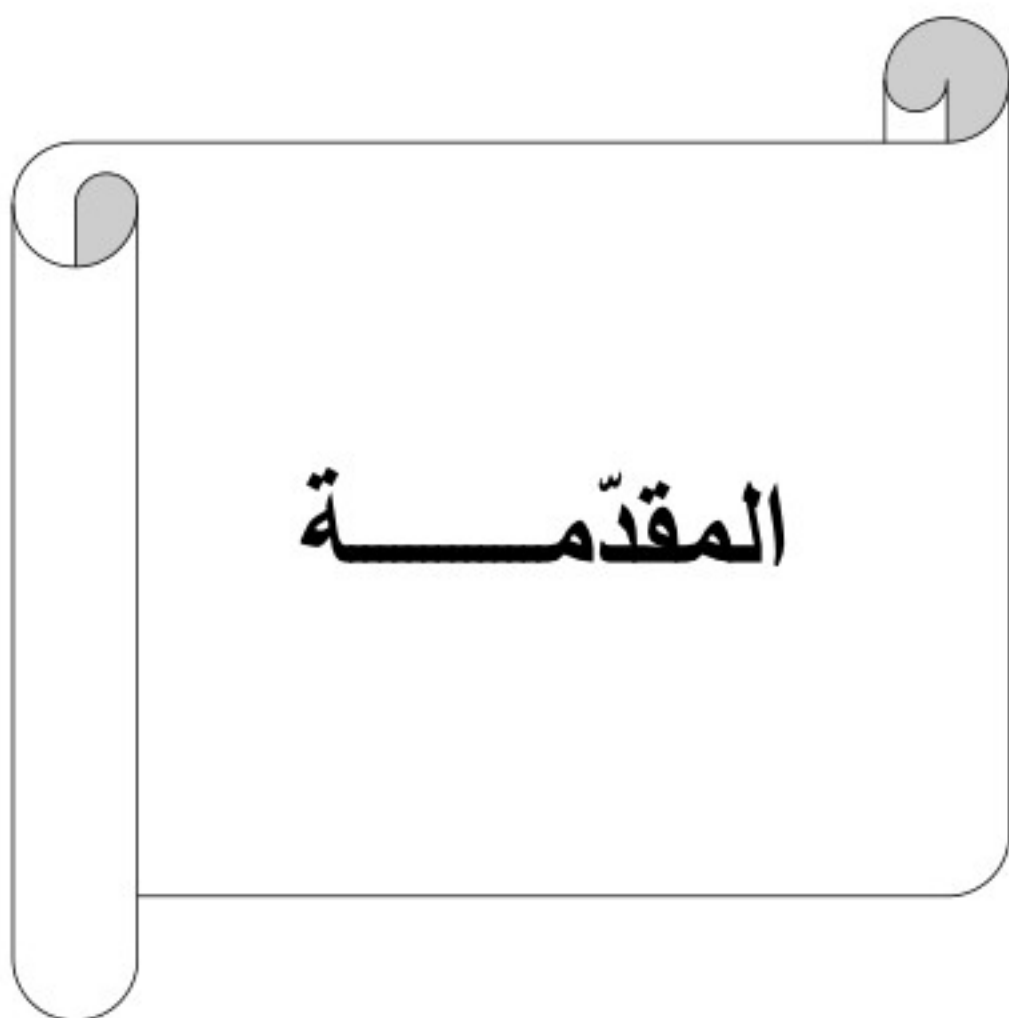
فبعد شكر المولى عز وجل ، المتفضل بجليل النعم ، وعظيم الجزاء ...

يجدر بي أن أتقدم ببالغ الامتنان ، وجزيل العرفان إلى كل من وجهني ، وعلمني ، وأخذ بيدي في سبيل إنجاز هذا البحث . وأخص بذلك مشرفي ، الأستاذ الدكتور: مولاي علي بوخاتم، الذي قوم ، وتابع ، وصوب ، بحسن إرشاده لي في كل مراحل البحث ، والذي وجدت في توجيهاته حرص المعلم ، التي تؤتي ثمارها الطيبة بإذن الله ...

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم في قراءة الرسالة وتصويبها ؛ وحثما سأفيد من توجيهاتهم - بإذن الله - ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ...

كما أحمل الشكر والعرفان إلى كل من أمدني بالعلم ، والمعرفة ، وأسدى لي النصح ، والتوجيه .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساندني بدعواته الصادقة ، أو تمنياته المخلصة ... أشكرهم جميعا وأتمنى من الله عز وجل أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا خير كتبه بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد بين معاني القرآن البيان المبين، وعلى آله وصحبه الميامين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإنه لا تخفى مكانة اللغة العربية و علومها، ودورها الكبير في تفسير كلام الله تعالى وتدبره ، ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ؛ لذلك كانت اللغة من أساسيات مصادر التفسير ومآخذه ، وأحد طرقه ومراتبه المعتبرة ، يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : (التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله) (1) .

لهذا كانت المهارة باللغة وعلومها من أهم شروط المفسر و المترجم على حدّ سواء ، وقد جاء عن السلف التحذير والنكير على من تكلم في كتاب الله تعالى وليس عنده معرفة بلغة العرب .

ومع هذا كله فإن اللغة وحدها لا تكفي لتفسير كلام الله، فكيف بالمترجم؟ بل ولا يجوز الاعتماد عليها مجردة؛ فإن ذلك يفضي في كثير من الأحيان إلى الخطأ، لذلك يقدم على مصدر اللغة مصادر أخرى عند الاختلاف في فهم معنى آية.

(1) تفسير الطبري (طبعة دار شعر) 1 : 70 .

والعلماء حين يتحدثون عن اشتراط العلم باللغة المصدر و اللغة الهدف فإن مقصودهم بذلك غالب علوم اللغة : دلالة اللفظ، وعلم الصرف، والإعراب، وعلوم البلاغة كعلم المعاني والبيان، وغيرها .

وإن من علوم اللغة الرئيسة والتي لها أثر كبير في بيان معاني القرآن علم أساليب الخطاب العربي: كالحذف والاختصار، والتقديم والتأخير، وخطاب الواحد بلفظ الجمع و عكسه ، والالتفات في الخطاب، ومخاطبة غير العاقل بلفظ العاقل ، والمذكر خطاب المؤنث وغيرها .

وغالب هذه الأساليب يندرج في مباحث علم المعاني، على ما استقر عليه اصطلاح البلاغيين. ونظرا لهذه المكانة العالية للغة وأساليبها، وعلاقتها بالترجمة ، رأيت أن تكون هذه الأطروحة في عرض بعض هذه الأساليب التي نزل بها القرآن عرضا استقرائيا ، مع بيان الأثر الترجمي لها، وعنوانت لها بـ

(إضمارات الخطاب و تجلياته - ترجمات د.صلاح الدين كشريد أنموذجا)، وهو

عنوان واسع ، ولم أقيده بوجوه الخطاب العربي- وإن كان هو المقصود بالدرجة

الأولى- لأن من الأساليب و المناهج التي ذكرها المترجمون للكتب الإسلامية ما لا

يدخل ضمن أساليب وجوه الخطاب العربي، بل بعضها يتعلق بالمعاني أو الصيغ.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

1. الأثر الكبير للأساليب العربية ، ودورها الكبير في بيان معاني القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، واتساع آفاق الفهم لهما ، والحاجة إلى إمعان النظر فيها والتعرف عليها لا سيما ما له أثر في الترجمة .
2. الحاجة إلى تتبع أساليب اللغة التي نزل بها القرآن الكريم و الحديث الشريف ، وتبيين أثرها في الفهم من أجل الترجمة.
3. كون كتب المعاني من المواطن المهمة لأساليب اللغة والتي يبرز فيها أثرها.
4. سيعطي البحث نظرة شاملة لأهمية أساليب اللغة في القرآن الكريم و الحديث النبوي، و زيغ المستشرقين .

أهداف البحث:

1. حصر الأساليب الترجمة التي أسسها المستشرقون ، مع إبراز أثرها في تحريف الكلم عن مواضعه .
2. عرض الأساليب الترجمة الصحيحة للمضمر و المتجلى من كلام الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم .
3. التنبيه على خطورة فن الترجمة، وأنها مسؤولية كبيرة، ولاسيما النصوص التي تدور حول كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه و سلم، أو ما يدندن حولهما. وهي مسؤولية أيضا من حيث أن قارئ الكتب المترجمة هو في الغالب أعجمي، أو حديث عهد بالإسلام. وقد يكون قبل إسلامه كتابيا أو غير ذلك؛ لذا فإن الكتب المترجمة تعتبر بالنسبة له مصدر رئيس لمعلوماته عن الإسلام. والخطر هنا أن المؤلف أو المترجمان لا يلتقي بقرائه، وليس بمقدوره الاتصال بهم لتبئيرهم على ما وقع من أخطاء في كتابه.

الدراسات السابقة :

تناولت الدراسات السابقة بعض الأساليب العربية من عدة جوانب، وفيما يلي بيان بعض تلك الدراسات :

1. رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة

العربية السعودية، بعنوان " أسلوب الحذف وأثره في إعجاز القرآن وبيان

معانيه " لمصطفى شاهر خلوف (1406 هـ) .

2. رسالة ماجستير أخرى في جامعة الملك سعود بعنوان " ظاهرة الحذف في القرآن

الكريم: دراسة بلاغية " لمحمد رضى الشخص (1416 هـ) .

رسالة ماجستير في جامعة الأزهر بعنوان " ظاهرة الحذف في القرآن الكريم: دراسة

تطبيقية في السور المكية " لمحمد حسن غراب.

ومن الأساليب التي كثر فيها البحث أيضا: أسلوب التقديم والتأخير، فمن الدراسات التي

كتبت فيه ما يلي :

1. رسالة ماجستير بعنوان « أسلوب التقديم والتأخير في القرآن " بجامعة الإمام

محمد بن سعود للدكتور زيد عمر. (1412 هـ)

2. رسالة ماجستير بعنوان : " الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة :

دراسة تطبيقية " في جامعة أم القرى، لخالد بن محمد العثيم (1419 هـ).

3. رسالة ماجستير بعنوان : " التقديم بين أجزاء الجملة في القرآن الكريم : دراسة

نحوية " بجامعة أم القرى ، لعلي بن محمد بن سعيد الزهراني)

. (1414 هـ) .

4. رسالة ماجستير بعنوان : " مخالفة الأصل بالتقديم والتأخير في القرآن الكريم :

دراسة تحليلية " بجامعة القاهرة، لفريد أحمد البسطويسي (1995 م) .

ومن الأساليب التي جرى فيها البحث أيضا - وإن لم يكن بحثا في رسالة علمية -

أسلوب المشترك اللفظي ، فمن الدراسات التي كتبت فيه ما يلي :

1. كتاب بعنوان : " المشترك اللفظي في الحقل القرآني " لعبد العال سالم مكرم .

2. كتاب : " الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق " لمحمد نور

الدين .

كذلك أسلوب التغليب، ومن الدراسات فيه : كتاب بعنوان " أسلوب التغليب

في القرآن الكريم " لمحمود عبد العظيم صفا .

كذلك من الأساليب الالتفات، ومن الدراسات فيه : كتاب " أسلوب الالتفات في

البلاغة القرآنية " لحسن طبل .

الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة :

من خلال المرد السابق يتبين أن هناك عدة فروق:

1. أن الدراسات أفردت أسلوبا واحدا جعلته مدار البحث ولم تلتفت إلى الترجمة.
2. أن تلك الدراسات لم تشمل جميع الأساليب فهناك أساليب كثيرة لم تدرس ، مثل : (أسلوب القلب والتحويل ، والتعبير بالمفرد والمثنى والجمع كل واحد منها عن الآخر ، وأسلوب جعل لفظ خبر الاثنتين المشتركين لبعض دون بعض وفروعها، وكذلك أسلوب إجراء غير العاقل مجرى العاقل ، كذلك تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، كذلك أسلوب الخطاب بالمستقبل لأمر قد مضى ، وأسلوب الكناية، وغيرها) وكثير من هذه الأساليب قد لا يحتمل البحث فيه رسالة علمية .
3. أنها لم تعتن بإبراز الأثر التفسيري لذلك الأسلوب و عواقبه الوخيمة على الترجمة، بل ركزت على بيان أثره في إعجاز القرآن وبلاغته، وأشبع مؤلفوها القول في أنواعه وأسبابه وحصر أمثله وما أشبه ذلك.

الإضافة التي سيقدمها البحث:

1. سيستقصى البحث الأساليب العربية و إجبارية خضوع الترجمة لها تفاديا للزيغ و تحريف المعنى .
2. سيعنى بإبراز أثرها في الترجمة و توجيه المعنى .

منهج البحث وحدوده:

1 - سأقوم في بحثي هذا بدراسة استقرائية تحليلية للمعاني المضمرة و المعاني المتجلية في القرآن الكريم و الحديث الشريف من خلال ترجمات الدكتور صلاح الدين LE NOBLE CORAN, LES JARDINS DES VERTUEUX, LE

؛ وذلك لأصالة هذه الكتب، فهي LICITE ET L'ILLICITE DANS L'ISLAM من أوائل ما صنفه اللغويون المعاصرون و علماء الإسلام في كتب الدعوة الإسلامية باللغة الفرنسية ، ولتميز صاحبها بالناية بالأساليب العربية والفرنسية فهما و نقلا .

2 - سأذكر تحت كل أسلوب لمحة عنه تبين معالمه وحدوده من كلام أصحاب كتب المعاني و المشتغلين بعلم الترجمة المتخصصة .

3 - سأذكر لكل أسلوب أمثلة مختارة من كتب المستشرقين و أقرنها بما رشح من الدكتور كشريد يتبين من خلالها أثره في المعنى ، كما حرصت قدر الإمكان أن أتجنب الأمثلة الحفيرة الوقحة التي صدرت عن المستشرقين .

وسأعتني بإبراز الآثار التالية بالدرجة الأولى: (أثره في فهم المعنى ووضوحه،

في تغير المعنى والخلاف والترجيح، في الانحراف والشذوذ).

وسأسير في رسالتي وفق المنهج الآتي:

- عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها وذلك بين مزهرين أمام الآية .

- الإستشهاد بالأحاديث والآثار من مصادرها فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به .
- ترجمة الأعلام ترجمة موجزة من المصادر الأصلية ويكون ترتيب المصادر في التراجم حسب تاريخ الوفاة بعد المرجع الأساس.
- توثيق النقول والأقوال من مصادرها ما أمكن .
- شرح الغريب من الألفاظ من المصادر الأصلية لشرح الغريب .
- وضع فهرس فنية تساعد على الكشف عن مضامين الرسالة والاستفادة منها .

خطة البحث:

- تشتمل الخطة على مقدمة ، وأربعة فصول، وخاتمة، والفهارس، كما يلي :
- المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه وحدوده.

الفصل الأول: المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، وتحتة ستة مباحث :

- المبحث الأول : ملامح المدارس الإستشراقية .
- المبحث الثاني: أبرز مستشركي فرنسا و مؤلفاتهم.
- المبحث الثالث: مناهج المستشرقين في البحث و الترجمة.
- المبحث الرابع: أسلوب التأويل بين المستشرقين و المفسرين المسلمين.

المبحث الخامس: شروط صحّة التأويل للحديث و السنة.

المبحث السادس : القراءات الحدائثة للنص القرآني.

الفصل الثاني: مباحث النظم القرآني، وتحتة خمسة مباحث:

المبحث الأول: نظام النظم القرآني.

المبحث الثاني: تجلي الدلالة القرآنية من خلال السياق.

المبحث الثالث: معالم فهم الخطاب في ضوء النظرية السياقية.

المبحث الرابع: سياق القرآن الكريم و سياق الحديث الشريف .

المبحث الخامس : إحتمالات المعنى داخل السياق .

الفصل الثالث: تعذر الترجمة الدينية، وتحتة خمسة مباحث:

المبحث الأول: مكامن صعوبة ترجمة النصوص الإسلامية.

المبحث الثاني : إضمارات المعنى في نصوص القرآن .

المبحث الثالث : الجهل بمعاني الألفاظ و أساليب الخطاب العربي لدى الترجمة.

المبحث الرابع : مظاهر الإعجاز الترجمي للمصطلح الإسلامي .

المبحث الخامس: ضوابط الترجمة الصحيحة للقرآن و السنة.

الفصل الرابع: ترجمات المستشرقين و ترجمة الدكتور صلاح الدين كشريد للنص الإسلامي.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث .

الفهارس، وتشمل: (الآيات - الأحاديث والآثار -المصادر والمراجع -) .

هذا، وأشكر الله تعالى أن منّ علي بإتمام هذه الرسالة، ثم أشكر الأستاذ الدكتور مولاي علي بوخاتم الذي جاد علي بوقته وعلمه، وشملي بسعة صدره وحلمه لإتمام هذا البحث، كما أشكر كل من أعانني في هذا البحث، وأخص بالذكر صديقي العزيزين الدكتور ميسوري بلعباس و الدكتور نوالي غوثي - أطال الله في أعمارهما على طاعته ومتعهما بالصحة والعافية - فقد بذلا مجهودا كبيرا حتى تيسر إخراج و طبع هذه الأطروحة، كما أشكر زوجي ووقوفها بجانبني، ومساندتها لي طيلة أيام البحث المضنية . أسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خيرا، وأن يوفقني وإياهم لرضاه.

وختاما فما كان في هذا العمل من صواب فهو من الله تعالى وحده ، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي و الشيطان ، وأسأله سبحانه أن يغفر لي .

كما أسأله - تبارك وتعالى - أن يبارك في هذه الرسالة، وأن يجعلها نافعة، والحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

مقدمة

تعود بداية الاهتمام بالإستشراق إلى المرحلة التي وقعت فيها معظم البلاد العربية الإسلامية تحت وطأة الاحتلال الغربي وكان للمستشرقين والاستعماريين اهتمام كبير بثقافة الأمة الإسلامية وعقيدتها وتاريخها ومختلف المجالات المعرفية الخاصة بها. كما تولى المستشرقون مسؤوليات وزارات التربية والتعليم فكان لهم اليد الطولى في وضع المناهج الدراسية حتى أصبح التعليم في العالم العربي والإسلامي ينقسم إلى نوعين من التعليم: التعليم الشرعي والتعليم المدني. وظهرت في العالم الإسلامي الحركات التحررية الحقيقية على أيدي العلماء العاملين فكان في الجزائر على سبيل المثال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس فكتب يرد على كثير من افتراءات المستشرقين والمسؤولين الفرنسيين في تهجمهم على الإسلام

كان جل اهتمام المستشرقين في دراستهم للإسلام دراسة القرآن الكريم وكل ما يتعلق به بقصد الطعن فيه والتشكيك في مصداقيته، وكان ميدان التفسير من المجالات التي كتب فيها المستشرقون كتابات نقدية، تركزت تلك الدراسات على الطعن في كتب ومناهج التفسير بالمأثور من كتب أهل السنة مقابل تمجيد الاتجاهات المنحرفة في التفسير كتفسير الفرق المنتسبة للإسلام زاعمين اكتشاف مناهج جديدة في تفسير القرآن الكريم لم يصل إليها علماء السلف من قبلهم وسار على نهجهم عدد من مدعي العلم والفكر من المسلمين ممن نادوا بقراءة جديدة للقرآن الكريم وتأويلات حديثة لكتاب الله

تتوافق - على حد زعمهم - مع مقتضيات العصر ومسايرة المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

فالظاهرة الاستشراقية لا تعدّ جديدة فهي موقف معظم غير المسلمين من الإسلام: إنكار الوحي والنبوة وتكذيب الرسول صلى الله عليه و سلم وإثارة الشبهات حول الإسلام وإن كان الجديد فيه إلباسه لبوس الحياد والنظرة العلمية المجردة وتجنب القدح المباشر، وإن كان كثير من المستشرقين يعجز عن ضبط ميوله الذاتية فيقع في هذا القدح الفج المباشر في الإسلام ونبي الإسلام في كثير من الأحيان.

لقد مرّت حركة الإستشراق بأطوار متعدد كان محورها الأول دفاع الغرب عن ذاته أمام انتشار الإسلام فكريا وجغرافيا طيلة القرون الوسطى، ومع تصاعد المد الاستعماري تم استخدام الدراسات الاستشراقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين في التصير والتمكين للاستعمار الغربي للشرق، وفي أواسط القرن العشرين الميلادي.

وبحلول القرن الحادي والعشرين الميلادي فإن ظاهرة جديدة بدأت تتشأ متزامنة مع سوء سمعة مصطلح الإستشراق والمستشرقين في الأوساط الشرقية عموما، والإسلامية على وجه الخصوص، تمثلت في تسليم بعض المستشرقين الراية إلى تلاميذهم من المنتسبين للأمة الإسلامية وإتاحة الفرصة الكاملة لهم لترداد الأفكار التي تشربوها منهم مع التكفل بإبرازهم وخدمة إنتاجهم العلمي وتواري هذا النفر من المستشرقين عن الأضواء والبروز

المباشر وهي تضحية أملتھا طبيعة النظرة المرتابة إلى الإستشراق والمستشرقين في الأوساط الإسلامية.

1-المستشرقون :

1.1-المستشرقون هم أولئك "الأساتذة والباحثون الأكاديميون الغربيون الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية، والحضارة العربية ويقضوا العالم العربي وبالدين الإسلامي"².

1.2-المستشرقون "يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق، والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق."³

1.3-المستشرقون " الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"⁴.

و بدأ يكون الإستشراق هو دراسة العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية ومقوماتها السياسية والاقتصادية والتاريخية والعقائدية واللغوية - ومحاولة تفسير هذه الحضارة ومقوماتها تفسيراً مادياً بحثاً يتفق مع منهجهم الذي وضعوه حتى يسيطروا على العالم الإسلامي.

²دراسات العربية، الإسلامية في أوروبا، ميشا جحا، ج 1، ص 82، معهد الأسماء العربي، إكس-مرسيليا 1998.

³المستشرقون ومشكلات الحضارة، عفا صبرة، ص 9، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.

⁴الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص 220، ط 6، 1973

عرف العالم عدة مستشرقين من جنسيات مختلفة و خلال حقبة متتالية نظموا أنفسهم في فرق عمل منظم.منهم من قاد حملات علمية متخصصة لجلب كل فنون المشرق،و منهم من أسس مدارس داخل بلاده لترجمة الواردات.

2-أهم المدارس الاستشراقية:

2.1-المدرسة الفرنسية

يمثل الإستشراق الفرنسي لوحة كبيرة رسمت ملامحها في القرن السادس عشر وقد لعبت فرنسا دور هاماً في الإستشراق منذ تأسيس مدرستي ريمس وشارتر لتدريس اللغة العربية في باريس وكرسي للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون والتي ألحق بها معهد الدراسات الإسلامية⁵، ومنذ الثورة الفرنسية 1789 أنشأت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية وكانت اللغات التي تدرس بموجب تلك المعاهدة هي العربية الفصحى والعامية وبوسعنا أن نعتبر أن العقد الأخير من القرن الثامن عشر، انطلاقه حقيقة للدراسات الشرقية الفرنسية⁶.

وبدا الاهتمام بالمؤلفات الشرقية واضحاً في المصنف الشهير (وصف مصر Description de L'Egypte) وهو جهد ضخم للعلماء المرافقين للحملة الفرنسية

⁵نقد الخطاب الإستشراقي، ساسي سالم الحاج، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002: ص 107

⁶ سلسلة الثقافة المقارنة الإستشراق، روبرت منتران: ج2، 1987، ص 34.

على مصر. وتأسست بعد الحرب العالمية الثانية عدة كراسي لتدريس اللغة العربية والأدب والحضارة والتاريخ والفلسفة الإسلامية. ومن أهم أعلام تلك المدرسة: إرنست رينان ولويس ماسينيون وليفي بروفنسال ومكسيم رودنسون.

ويمكن إيجاز أهم خصائص هذه المدرسة في الآتي⁷:

- تمتاز تلك المدرسة بالشمول والتعدد فهي لم تترك ميدانا من ميادين المعارف الشرقية إلا وتناولته بحثا أو نقدا أو تمحيصا سواء في جانب اللغات أو آدابها أو التاريخ والجغرافيا أو مقارنة الأديان أو الآثار والفنون أو القانون.

- تعرضت هذه المدرسة للشرق بأكمله على امتداده الجغرافي كاملا ولم تقتصر على بقعة واحدة منه.

- اهتمت كذلك بفقهاء اللغة العربية ونحوها ولهجتها العامية كما عملت على الدعوة إلى تمجيد العامية ومحاولة إحلالها بديلا للفصحى.

- لم تقتصر هذه المدرسة على دراسة تراث العرب فحسب ولكنها تناولت تراث الفرس والأتراك أيضا.

⁷ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، 1984، ص 28

2.2- المدرسة البريطانية

يعد أدلارد دو باث **Adélarde Bath** (1070-1135) من أوائل الانجليز الذين تعلموا العربية وقد عني بها عناية كبيرة ودرس في صقلية والأندلس ومصر ولبنان وأنطاكية واليونان⁸ وتتقف بثقافة العرب إلى أقصى حد ممكن حتى فضل مذهبهم العلمي والبحثي على المناهج الأخرى جميعاً⁹.

ويأتي من بعده جورج سال **George Sale** (1697م- 1736م) الذي ترجم القرآن الكريم وأصبحت ترجمته المرجع الأساسي للترجمات الواردة بعدها لسنين عديدة، كما خلفت هذه الترجمة حركة واسعة للتعرف إلى الثقافة الإسلامية وبيان خصائصها الإيجابية والتعرف بصورة موضوعية إلى نبي الإسلام والجدير بالذكر أن هذه الدراسات كانت مشوية بالخيال والأسطورة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما ساعد على نمو وازدهار الدراسات الاستشراقية في بريطانيا، تكوين الجمعيات والمجلات المتخصصة وظهور عدد من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية مثل إدوارد وليام لين **Edward William Lane** (1801-1876) صاحب كتاب (في

⁸مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، 1984، ص207.

⁹ أسماء المستشرقين، يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت 2004، ص32.

أخلاق وعادات المصريين الحديثين)¹⁰ وهو من أهم مستشرقى إنجلترا وأوروبا في القرن التاسع عشر وقد ترجم أيضا ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية بدقة¹¹.

ويمكن إيجاز أهم خصائص هذه المدرسة في الآتي:

- يمتاز الاستشراق البريطاني بارتباطه بالحركة الاستعمارية ومحاولة ترسيخ السياسات الاستعمارية الإنجليزية في المشرق.

- الاهتمام باللغة العربية نظرا لمصالح بريطانيا الاقتصادية والسياسية التي تربطها بالعالم العربي.

- تتميز هذه المدرسة بالتعدد والشمول في سائر الدراسات الشرقية (آداب - تاريخ - فلسفة - علوم - فنون وعمارة وآثار).

- تتميز أيضا بالتخصصية الدقيقة، فكل مستشرق له تخصصه الدقيق في أحد مجالات المعرفة الشرقية.

- الاهتمام بدراسة المعارف الخاصة بالمنطقة الجغرافية التي تقع تحت قبضتها الاستعمارية (مصر وأفريقيا السوداء)، مع الإهمال الواضح بشمال أفريقيا نظرا لوقوعه تحت قبضة الاستعمار الفرنسي.

¹⁰قراءة في كتاب "المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي" سهيل قاشادار التنوير، بغداد، ص 20

¹¹زيارة جديدة للإستشراق، نور محمود زناتي، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م.

2.3- المدرسة الألمانية

على الرغم من اتصال ألمانيا بالشرق منذ الحروب الصليبية الأولى وانشاقها بعد ذلك عن الكنيسة الكاثوليكية إثر حركة مارتن لوثر، فإن الدراسات الاستشراقية الألمانية لم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر متأخرة في ذلك عن بقية دول أوروبا. ولم يشارك العلماء الألمان في الدراسات العربية اشتراكاً فعلياً إلا بعد أن توغل الأتراك في قلب أوروبا التي بدأت تهتم بدراسة لغات العالم الإسلامي¹².

ولعل الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة للاستعمار - كما هي الحال مع فرنسا وإنجلترا وهولندا - أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواء. والاستشراق الألماني يمتاز بالموضوعية والعمق. وساهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم بجمع ونشر وفهرسة المخطوطات العربية، وخصوصاً كتب المراجع والأصول المهمة. ونشر المخطوطات.

ولا يمكن لأي دارس في الأدب والنقد العربيين أن يتجاهل أعمال مستشرقين ألمان كبار مثل كارل بروكلمان CARL BROCKELMANN وكتابه تاريخ الأدب العربي¹³ - على الرغم مما ورد فيه من بعض الأخطاء التي حاول دارسون عرب أن يتداركوها

¹² جهود المستشرقين في التراث العربي، محمد عوني عبدالرزوق، المجلس الأعلى للثقافة 2004 ص 23

¹³ Carl Brockelmann: Geschichte der Arabischen Literatur, Leiden 1938

عليه كما فعل- عبد الله بن محمد الحبشي¹⁴ لكن يبقى لكتاب بروكلمان فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في جميع مكتبات العالم، وهو جهد فردي لم نستطع نحن ، للأسف ، فرادى وجماعات أن نقوم به، وقد أحسن الدكتور محمود فهمي حجازي وجمع من المهتمين باللغة الألمانية ، في ترجمته لهذا الكتاب ترجمة وافية أفادت المتلقي العربي.

ويمكن إيجاز أهم خصائص هذه المدرسة في الآتي:

- عدم ارتباط الإستشراق بأهداف سياسية أو دينية أو استعمارية.
- غلبة الروح العلمية والإنصاف على توجهات هذه المدرسة.
- تعدد مجالات البحث وشموليتها لفروع المعارف الشرقية (آداب - لغة - تاريخ - جغرافيا - فنون... الخ).
- الاهتمام بعلم الببليوجرافية و فهرسة المخطوطات وتصنيف وتحرير المعاجم العربية.

إن الباحث في آثار الإستشراق بكلياته و جزئياته يخلص إلى أن لكل مدرسة خصائصها و استفراداتها و إسهاماتها و إخفاقاتها. فالمدرسة الفرنسية تعد من أبرز و أنشط المدارس، حيث برز فيها عدة عمداء أسسوا و قعدوا للفكر الاستشراقي، أذكر من بينهم على سبيل التمثيل لا الحصر:

¹⁴تصحیح أخطاء بروكلمان، عبدالله بن محمد الحبشي، المجمع الثقافي . أبوظبي، 1998، ص45.

(1) سيلفمستر دي سامسي Antoine-Isaac Silvestre de Sacy (1758-1838)

ولد في باريس عام 1758، وتعلم اللاتينية واليونانية ثم درس على بعض القساوسة منهم القس مور Benjamin Moore والأب بارتارو Msgr Partero، ثم درس العربية والفارسية والتركية. عمل في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم وحقق عددا من المخطوطات.

عين أستاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1795 وأعد كتابا في النحو ترجم إلى الإنجليزية والألمانية و الدنمركية ،وأصبح مديراً لهذه المدرسة عام 1833، وعندما تأسست الجمعية الآسيوية انتخب رئيساً لها عام 1822. ومن أبرز اهتماماته الدروز حيث ألف كتابا حولهم في جزأين. أصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين من جميع أنحاء القارة الأوروبية ويقول أحد الباحثين إن الإستشراق اصطبغ بالصبغة الفرنسية في عصره. عمل دي سامسي مع الحكومة الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797.⁽¹⁵⁾

¹⁵ الإستشراق بين الموضوعية و الإقتالية، قاسم السامرائي، دار الرفاعي، الرياض 1403، ص87

(2) إل.أ سيديو Louis Pierre Eugène Amélie Sédillot (1876-1808)

درس العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية وحضر محاضرات سيلفستر دي ماسي في كلية فرنسا ثم صار سكرتيرا له. اهتم بعلم الفلك عند العرب. ومن أشهر مؤلفاته (خلاصة تاريخ العرب) ويقول فيه العقيقي " وقد أغرق في تفصيل فضل العرب على الحضارة الأوروبية " اهتم بالعلوم عند العرب " (16).

(3) أرنست رينان Joseph Ernest Renan (1892-1823)

تلقى تعليمه في المدارس اللاهوتية وتعلم العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، زار المشرق وعاش ببلبنان فترة من الزمن، واهتم بالعقيدة الإسلامية . من أبرز اهتماماته دراسته ابن رشد و الرشديين. اهتم باللغات السامية وله موقف مشهور من العقل السامي بأنه لا يصلح لدراسة العلم وقد رد عليه كل من جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في كتابه : " الإسلام والنصرانية بين العلم و المدنية".

(4) رينيه باسيه René Basset (1924-1855)

ولد في مدينة لونييفيل ، تعلم اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، تولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية بكلية الآداب بالجزائر ، وكان من اهتماماته التفتيش عن الآثار حيث قام بهذا العمل في تونس. كما درس المعتقدات والأخلاق والعادات في الشمال الأفريقي. عمل محررا في المجلة الأفريقية ، ونشرة المراسلات الإفريقية . ومن

¹⁶ . موسوعة المستشرقين، مرجع سابق ص 169.

المناصب العلمية العمل في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية. التحق بالعمل في الحكومة الفرنسية حيث عيّن قنصلا في الجزائر.

(5) وليم مارسيه **William Ambroise Marçais** (1874-1956)

عمل مديرا لمدرسة تلمسان وأستاذا فيها وهي إحدى المدارس العربية الثلاث التي أنشأتها فرنسا لتخريج مساعدين لها في أعمالها في إدارة البلاد. اتصل بعلماء الجزائر وتونس والمغرب ودرس لهجات المنطقة . من أهم آثاره نشر كتاب (التقريب والتيسير) للنووي متنا وشرحا وترجمة. كما ترجم (جامع الأحاديث الصحيحة) للبخاري في أربعة أجزاء ، وله كتاب عن اللهجات العربية ، ويحث بعنوان (أصول النثر العربي الفني)¹⁷.

(6) لوي ماسنيون **Louis Massignon** (1883-1962)

ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية الحية (فصحى و عامية) زار كلا من الجزائر والمغرب. وفي الجزائر انعقدت الصلة بينه وبين بعض كبار المستشرقين مثل جولدزيهر **Ignác Goldziher** وآسين بلاثيوس **Miguel Asín Palacios**

وسنوك هورخرونيه **Christiaan Snouck Hurgronje**.

¹⁷ نفسه ص 252

التحق بالمعهد الفرنسي للأثار الشرقية في القاهرة عدة أعوام (1907-1908) وفي عام 1909 عاد إلى مصر وهناك حضر بعض دروس الأزهر وكان مرتديا الزي الأزهرى. زار العديد من البلاد الإسلامية منها الحجاز والقاهرة والقدس ولبنان وتركيا. عمل معيدا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا (1919-1924) وأصبح أستاذ كرسي (1926-1954) ومديرا للدراسات في المدرسة العلمية العليا حتى تقاعده عام 1954.

لقد اشتهر ماسنيون باهتمامه بالتصوف الإسلامي وبخاصة بالحلاج حيث حقق ديوان الحلاج (الطواسين) ATTAWÂSÎN وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان La Passion de Hallaj Martyr Mystique de l'Islam (آلام الحلاج شهيد التصوف) في جزأين وقد نشرت في كتاب تزيد صفحاته على ألف صفحة (ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية) وله اهتمام بالشيعية والتشيع¹⁸.

(7) ليفي بروفنسال Évariste Maklouf Lévi, dit Évariste Lévi-Provençal (1894-1956)

ولد في الجزائر حصل على درجة الليسانس من كلية الآداب بالجزائر ،عمل في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط ، وعمل أستاذا للعربية والحضارة الإسلامية في

¹⁸ نفسه ص 168

جامعة باريس وفي كلية الآداب بالجزائر. ودعي للعمل أستاذا زائرا في جامعة القاهرة
ومن أبرز¹⁹ اهتماماته تاريخ الأندلس.

8) ريجيس بلاشير . Régis Blachère (1900-1973)

ولد في باريس وتلقى التعليم الثانوي في الدار البيضاء وتخرج باللغة العربية من كلية
الآداب بالجزائر . تولى العديد من المناصب العلمية منها أستاذ اللغة العربية في معهد
مولاي يوسف بالرباط، ومدير معهد الدراسات المغربية العليا (1924-1935)، وأستاذ
كرسي الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس وأستاذا محاضرا في
السوربون ثم مدير مدرسة الدراسات العليا والعلمية، ثم أستاذ اللغة العربية وحضارتها
في باريس.

من أبرز إنتاجه ترجمته لمعاني القرآن الكريم وكذلك كتابه *Histoire de la
littérature arabe des origines à la fin du XVe siècle* de J.-C.
(تاريخ الأدب العربي) في جزأين وترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني ، وله أيضا كتاب
Abou t-Tayyib al-Motanabbi (Essai d'histoire littéraire) (أبو الطيب
المنتبّي:دراسة في التاريخ الأدبي) ، ترجمه أيضا إبراهيم الكيلاني.²⁰

¹⁹نفسه ص 174

²⁰نفسه ص 164

3- أبرز مؤلفاتهم:

وتبقى الموسوعة الاستشراقية الأشمل والأخطر ذات الخمس مجلدات موسوعة القرآن الكريم عن 'بريل' **Evert Jan Brill** والتي صدر منها جزءان من الأجزاء الخمسة المشتملة على ألف مدخل كدراسة نقدية استشراقية للقرآن وعلومه كتبت بأيدٍ استشراقية واستكتب فيها عدد من العرب والمسلمين المتأثرين بالأفكار الاستشراقية كمحمد أركون الذي كتب مقدمتها.

وللمستشرقين اهتمام بترجمة معاني القرآن الكريم، فكانت " أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر بدعم من الراهب 'بطرس المبجل' (21).

ومن تلك الترجمات الاستشراقية التي " أتمها الأب مارانشي **Louis Marachi** 1698م، ثم تلتها ترجمة المستشرق الألماني 'جوستاف فلوجل' **Gustave Flageul** إلى اللغة اللاتينية (22).

ومن أشهر الترجمات الإنجليزية " ترجمة 'جورج سيل' عام 1734م، وترجمة 'أريبي' 1955م، و'بالمر' عام 1880م، و'بل' 1939م " (23).

ومن الترجمات الشهيرة إلى اللغة الألمانية ترجمة 'رودي بارت'، وأبرز الترجمات إلى

21 نفسه، ص9.

22 الظاهرة الاستشراقية و أثرها على الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، ط1، 1991، ص311/1.

23 الإستشراق و القرآن العظيم محمد خليفة، الإستشراق ترجمة: مروان، ط1، 1414 هـ، ص120 - 122.

الفرنسية 'كازيميرسكي' 1832م، و'مونتييه' 1929م، و'بلاشير' 1947م " (24).

وقد 'حملت تلك الترجمات أخطاء لغوية، وطعوناً وشبهات استشرافية أشار إليها عدد من حصر ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن الكريم " (25).

وفي مجال المعاجم يبقى الأبرز هو: المعجم المفهرس للقرآن الكريم للمستشرق الألماني جوستاف فلوجل 1802 - 1870م، سماه: نجوم الفرقان في أطراف القرآن، اعتمد عليه محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وفي نفس المجال يبرز عمل المستشرق الفرنسي "جول لايوم" - Jules Coste Labaume في كتابه: "تفصيل آيات القرآن الكريم، مع ما في هذين العملين من أخطاء لغوية ومنهجية " (26).

وظهر من تتبع ذلك النتاج العلمي الاستشراقي في مجال الدراسات القرآنية - وخصوصاً التفسير - إبراز المستشرقين الكتب المنحرفة من كتب الفرق الباطنية والمعتزلة، مع تمجيد طريقتهم في التفسير، واعتبار تلك التفاسير هي التفاسير الأمثل وأهلها أصحاب العقل الحر، مع ذمهم وانتقاصهم لكتب التفاسير بالمأثور من كتب السلف رحمهم الله.

يظهر جلياً من خلال عناوين تلك الكتب أو من خلال تتبع ما كتبه المستشرقون في

24 الظاهرة الاستشرافية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، 312/1.
25 المستشرقون و ترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ط2، 1403هـ / 1983م، ص89.
26 جهود المستشرقين في مجال التفسير الإسلامي، عبد الستار الحلوجي، ص728 - 730.

ثنايا كتبهم، ويبرز ذلك بجلاء فيما كتبه "جولد زيهر" **Ignaz Goldziher** في كتابه: **Courants de l'Interprétation Islamique** (مذاهب التفسير الإسلامي) من تمجيد لكتب الفرق المنحرفة كالباطنية والمتصوفة، والشيعة، والمعتزلة، وثناؤه على الظواهر المنحرفة في حركة التفسير العصرية المنحرفة.

و فيما يلي بيان تقريبي بأهم الترجمات المعروفة للقرآن الكريم من قبل غير المسلمين:

عدد الترجمات	إلى
14	اللغة الألمانية
10	اللغة الإنجليزية
10	اللغة الإيطالية
10	اللغة الروسية
9	اللغة الفرنسية
9	اللغة الأسبانية
7	اللغة اللاتينية
6	اللغة الهولندية

وقد حصى حتى الآن ترجمات للقرآن الكريم في مائة وإحدى وعشرين لغة في

أنحاء العالم كله⁽²⁷⁾.

نرى مما سبق أن اهتمام غير العرب بالقرآن الكريم و السنة النبوية و التراث الإسلامي كرس لمزيد من الترجمة و تخصيص الحملات و البعثات. لقد تفتنوا إلى أن السبيل

(27) الإستشراق والخلفية الفكرية، محمود حمدي زقزوق، 2004، ص65.

الوحيد لإتقان هذه الترجمات و اللعب الحر فيها لن ينأتى إلا بإتقان اللغة العربية و من ثم علوم القرآن و التفسير.

4-دراسة المستشرقين للقرآن و علومه:

لقد اهتم المستشرقون بدراسة علوم القرآن والتفسير اهتماما بالغا على اعتبار كونها علوما خادمة للقرآن ومعينة على فهم مقاصده و أغراضه، ولاشك أن القرآنيات تشكل المجال الخصب الذي تواردت عليه أقلام كثير من المستشرقين سواء بالدراسة والبحث أو بالتحليل والنقد. ولقد بات من المألوف أن كل ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد به البتة؛ لأنه لا محالة محطم للمسلمات التي يجزم بها المسلمون، ومشكك في البدهيات التي يؤمنون بها، وأصبح في حكم اليقين أن عالم المشرقيات عندما يتأهب لدراسة القرآن الكريم يضع نصب عينيه دعوى بشرية القرآن؛ محتملا أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، و بالتالي، وبناء على هذا الاعتقاد الذي يصبح عند الرجل مسلمة بديهية، تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته قد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب الذي يفرض نوعا من التعاطف، أو على الأقل نوعا من الاحترام النسبي للمصدر الغيبي الذي ينبني عليه الوحي القرآني. إلا أن هذا لا يمنع من الاطلاع على ما يقال في حق القرآن الكريم، وبالتالي تبين مناهج وآليات البحث لديهم.

إننا بالمقابل لا ننكر تغير المنهج الاستشراقي في هذا المجال نحو الأفضل و الأحسن، فثمة فرق بين الإستشراق القديم و الإستشراق المعاصر، لكنه فرق في الدرجة فقط وليس في النوع، لقد أضحى الإستشراق المعاصر أقدر على تفهم واستيعاب بعض قضايا ومسائل علوم القرآن وإحياءاتها عكس ما كان سائدا قبل مطلع القرن العشرين؛ حيث كانت أبحاث المستشرقين القرآنية يطبعها منهج سافر يوجه من خلاله الشتم والسب في حق القرآن الكريم، والنبى عليه الصلاة والسلام.

ولا نخفي أنه بعد الاجتهاد في الأمر والنظر مليا في اتجاهات الإستشراق وتحولاته، تبين أن رجلا لقب بشيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية، كان يمثل فعلا حلقة وصل بين المنهج الاستشراقي القديم والمنهج الاستشراقي المعاصر، ويمثل فكر الرجل الذي هو تيودور نولدكه Theodor Noldeke في هذا المجال كتابه الشهير (تاريخ القرآن) Geschichte des Qorans الذي يعد دستور المستشرقين في معرفة تاريخ القرآن، حتى أضحى الكتاب أبرز المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون الغربيون في ميدان القرآنيات، فهو عرض تاريخي مفصل لكل المسائل والموضوعات التي تتصل بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومختلف مباحثه وقضاياها، منذ نزول الوحي إلى عصر المؤلف.

ومن أسباب شهرة الكتاب إتباع نولدكه لطريقة في التأليف استرعت انتباه زملائه المتخصصين في سائر معاقل الإستشراق في أوربا و أمريكا؛ فقد حرص على إبراز سائر وجهات النظر الثابتة في مسألة من مسائل علوم القرآن؛ معتمدا في ذلك على

استقصاء مختلف الآراء من مصادر عربية وأجنبية شهيرة و مغمورة، مخطوطة ومطبوعة على حد سواء، كما أنه اتبع في عملية الاستقصاء و الاستقراء، ثم الاستدلال منهجا أكاديميا صارما لم يكن معهودا من قبل، وبذلك أمكن القول بأن نولدكه قد وضع منهجا جديدا في الدراسات القرآنية. لعل أبرز معالمه الرجوع مباشرة إلى المصنفات العربية اللصيقة بمجال القرآنيات، في الوقت الذي كان فيه المنهج الاستشراقي القديم يخلط بين شيء قليل مما هو مبروث في المصادر، وما كانت تمليه تخيلات وتكهنات المستشرقين.

بيد أن الحقيقة المتمثلة في استعمال نولدكه لأدوات بحث جديدة، ولمنهج صارم في الدراسة والتحليل لا يمكنها أن تحجبنا عن استبصار حقائق أخرى تتمثل في سوء توظيف تلك الأدوات البحثية على نحو مبيّت، فضلا عن القصور والخلل في المنهج المطروق.

ويمكن اعتبار كتاب نولدكه منعطفا بارزا في سياق البحث الاستشراقي في الدراسات القرآنية، ومما زاد تكريس هذا الأمر " اهتمام المستشرقين المتأخرين كافة بالكتاب، واتكأهم عليه في أبحاثهم و دراساتهم، حتى إنه لا يكاد يخلو مؤلف في الموضوع من الاعتماد على الكتاب ومتابعة صاحبه فيما ذهب إليه من آراء ومواقف" (28)، ولا يمكن أن ننسى بهذا الصدد دور مدرسة نولدكه الألمانية في حقل القرآنيات، وهي مدرسة

²⁸ دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض، 1998، ص. 163

اشتهرت على غرار غيرها من المدارس الأوروبية؛ حيث " برز فيها ثلاثة رواد رابعهم شيخهم نولدكه الذي عهد إلى هؤلاء التلامذة شفالي Friedrich Schwally، وأوتو برتزل Otto Pretzel، وبرجشتراسر Gotthelf Bergsträsser مهمة تنقيح الكتاب والتعليق عليه، وهو ما حصل فعلا عندما تم إخراج جزأين منه عام 1919م، في حين تم إصدار الجزء الثالث عام 1926م⁽²⁹⁾.

لقد فتح نولدكه بكتابه هذا بابا ولجه كثير من المستشرقين النزاعين إلى دراسة القرآن الكريم، على نحو يرى أن الدراسات القرآنية لا يمكن أن تبحث بمعزل عن الدراسات اللغوية والمناهج الفيلولوجية واعتماد المصادر القديمة. ويمكن القول بأن كتاب نولدكه كان فصلا فاصلا بين عهد كان يدرس فيه القرآن على أساس أنه هرطقة ومجموعة من التخيلات والتصورات جاء بها نبي مزيف، وبين عهد أخذ ينظر فيه إلى القرآن بقدر _ ولو ضئيل _ من الاحترام على أساس أنه كتاب المسلمين المقدس، الذي يجب أن يدرس أسلوبه وتبحث مضامينه وينقب عن حلقاته. غير " أن المستشرق الذي يدرس القرآن ولا يؤمن بكونه من عند الله تعالى مهما حاول التجرد من الهوى والتزام شيء من الموضوعية و الحياد، فإنه واقع لا محالة في أخطاء فظيعة ونظريات واهية تتأرجح بين سوء الفهم تارة، وسوء النية تارة أخرى، فهذا نولدكه نفسه لا يتردد في الحكم على نبينا

²⁹ Theodor Noldeke: Geschichte des corans (GdQ): Leipzig 1919 (Tome1-2) (2/56)

محمد صلى الله عليه وسلم بقوله _ وبنس القول: (صانع غير موهوب لمسور قرآنية مشوشة الأسلوب)³⁰.

لكن يمكن الاعتراف بأن المستشرقين المعاصرين لنا ابتداء من النصف الثاني من (ق 20م) هم أقدر على تحاشي أساليب الطعن والتجريح في حق القرآن الكريم ونبينا عليه الصلاة والسلام، فقد فرضت علاقات هؤلاء بالدول العربية والإسلامية وبشخصياتها العلمية قدرا من الاحترام و التعاطف، مما أمكن معه القول بأن قصور المناهج الاستشراقية المعاصرة في مجال القرآنيات أمر قد لا يظهر جليا لغير القلة من المتخصصين في علوم القرآن ممن يستطيعون اكتشاف مواطن الخطأ والضعف في إنتاجات المستشرقين في هذا الميدان.

فهذا مونتغمري وات WILLIAM MONTGOMERY WATT يقول في مقدمة كتابه ((محمد في مكة)) **MUHAMMAD AT MECCA** وهو يوضح منهجه وطريقته في التعامل مع القرآن الكريم: " فيما يتعلق بالمسائل الكلامية التي أثرت بين المسيحية والإسلام، فقد جهدت في اتخاذ موقف محايد منها، وهكذا وبصدد معرفة ما إذا كان القرآن كلام الله أو ليس كلامه امتنعت عن استعمال تعبير مثل (قال تعالى) أو (قال محمد) في كل مرة أستشهد فيها بالقرآن، بل أقول بكل بساطة: (يقول القرآن). وأقول لقرائي المسلمين شيئا مماثلا، فقد ألزمت نفسي، برغم إخلاصي لمعطيات العلم

³⁰ GdQ 1/19.

التاريخي المكرس في الغرب ألا أقول أي شيء يمكن أن يتعارض مع معتقدات الإسلام الأساسية " 31.

فالرجل إذن تجاوز طريقة المستشرقين القدامى الذين كانوا ينسبون نصوص أي القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم (قال محمد أو ذكر محمد...)، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يقول: (قال الله تعالى)؛ لأنه لا يؤمن بأن القرآن كلام الله. يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson : " لو سايرت المسلمين في إيمانهم، ولو أخفيت عنهم حقيقة رأيي حول القرآن لكان ذلك أدعى لي إلى ربط علاقة وطيدة بيني وبين المسلمين وبين الحكومات الإسلامية، ولكنني لا أريد أن أخدع أحدا، وبإمكان المسلمين الامتناع عن قراءة كتابي (يقصد كتابه عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم)، والاطلاع على تفكير غير المسلم حول هذه القضية ولهم الحق في ذلك... ، فأنا لا أعتقد طبعاً أن القرآن هو كتاب الله، إذ لو كان الأمر كذلك لأصبحت مسلماً... " (32).

من جهة ثانية لا بد من الإشارة إلى أن هناك فئة من المستشرقين ممن تبيين لهم عمق هذا المنهج التاريخي البالي وانسداد طرقه وعدم جدواه قد نحوا منحى جديدا في دراساتهم مستخدمين طرائق العلوم الإنسانية المعاصرة والمناهج التحليلية في نقد النصوص.

³¹ محمد في مكة، متغمري وات، تعريب شعبان بركات، 1995 ص 5.

³² M. Rodinson: Mahomet. Paris 1961 p 256.

وهذه المحاولات قليلة ونادرة لا تتجاوز بعض الكتب والأبحاث المنشورة في مجالات المستشرقين العالمية؛ لذلك يصعب الحكم مبكراً على مدى جديتها وجدواها. ويبقى أن حصيلة الدراسات القرآنية المعاصرة التي أنجبتها معاقل الاستشراق الغربية والتي تكفل لنا تكوين نظرة عامة عن مناهج المستشرقين المعاصرين في الدراسات القرآنية لا تتعدى كتب كبار المستشرقين التي اهتمت بالحديث عن تاريخ القرآن و علومه، أو بموضوعات لها علاقة لصيقة بذلك.

4.1- منهج المستشرقين في البحث:

لقد وقع المستشرقون أثناء دراستهم وتحليلهم للنص القرآني في تأويلات وتناقضات مخالفة للصواب وهذا يرجع إلى عدة أمور منها:

4.1.1- عدم الموضوعية في الدراسة والتحليل بحيث لم يلتزم هؤلاء المستشرقين بقواعد البحث العلمي القائم على المقاييس الدقيقة، فهؤلاء وضعوا النتيجة مسبقاً ثم شرعوا بصياغة المقدمات، وهذا مخالف للأصل.

4.1.2- عدم الفهم للغة العربية: إن دراسة المستشرقين للنص القرآني لم تكن دراسة متعمقة وجدية بل كانت سطحية وهذا مما جعلهم يقعون في تناقضات في الفهم والاستنباط.

4.1.3- عند قراءة النص القرآني و تحليله لم يتحلوا بالحيادية والانفتاح الفكري والتمسك بالروح العلمية في البحث و التثبت بالرؤية الأحادية المتعلقة بالنتائج، و تغاضيهم عن الإعتراف بالنتائج وإن كانت مخالفة لتصوراتهم.

4.1.4- عدم التزامهم بالأمانة العلمية في البحث و " كونهم حاقدين متعصبين لأنهم؛ بحيث يبترون النص القرآني ولا يدرسونه دراسة كاملة " (33).

4.1.5- إصدارهم الأحكام النهائية على النص القرآني دون الاستدلال بالبراهين والحجج التي تثبت ما يقولونه.

ويذكر د. عبدالصبور شاهين أسباب أخطاء المستشرقين في البحث فيقول: " وأفة المستشرقين أنهم يسوقون مجرد الاحتمالات العقلية مساق الحقائق و يقيسون الماضي الذي لم يكن جزءا من تاريخهم، وبالتالي لم يكن من مكونات ضمائرهم بمقياس حاضرم مع تباين المكان والزمان والعقلية والروح، وآية ذلك أنهم يعضون أبصارهم عن الطابع الميتافيزيقي الذي نشأت في ظله أحداث التاريخ القرآني وعلى عهد النبوة، ويرفضون مناهج المسلمين في نقد الأخبار ورواتها".³⁴

ويعترف بعض علماء المستشرقين أن طبيعة الفهم الاستشراقي يختلف عن فهم الباحثين المسلمين والدليل على ذلك ما قاله المستشرق الألماني د. ديلكويس موراني Duclos Morani: " الفهم الاستشراقي للقرآن يختلف كل الاختلاف عنه عند المسلمين عامة،

³³ مناهج وأساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، يحي عليان وعثمان غنيم، ص215، 2000.

³⁴ قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، ورد شبهات، د. فضل عباس، ص18، ط2، 1989.

والباحثين المسلمين خاصة، وذلك ما أثار توترا؛ بل حقدا، إن صح التعبير بين الطرفين الإسلامي والأوروبي، إن المستشرق الذي يدرس نص القرآن وعلومه لا ينطبق من الحقيقة المطلقة لدى المسلمين، أن هذا النص وحي منزل، أي لا يدرسه من زاوية الإيمان، بل من زاوية العلم المنفصل عن جميع ما يدخل في باب الإيمان والعقيدة، والاستشراق يعالج النص القرآني وفقا لمعايير علوم الديانات العامة، ووفقا لعلوم التاريخ، فمن هنا يمكن القول: إن نص القرآن في رأي المستشرقين ليس إلا وثيقة تاريخية ثمينة باعتباره مبدأ أساسيا في إيمان المسلمين وعقيدتهم، وهذا ما ينبغي على الباحثين المسلمين مراعاته عند القراءة في دراسات المستشرقين أو مناقشتهم حتى لا يحصل الخلل في الفهم والنتائج، والمدارس الاستشراقية تختلف باختلاف الدول، فالاستشراق الإنجليزي يختلف عن الاستشراق الأمريكي أو الألماني فلكل منهم طبعته الخاصة.³⁵

ويضيف موراني: " أن أزمة الاستشراق هي أزمة المناهج وليست أزمة التطبيق، بمعنى أن المستشرقين بعد عصر النهضة بدؤوا يخضعون مصادر الإسلام إلى مفاهيم غربية مما جعل حقائق الإسلام تظهر في غير ثوبها، بل تصبح مشوهة المظهر مبتورة

³⁵ تاريخ الاستشراق الألماني، مجلة ضمن الفكر الإسلامي، أحمد عبد السلام، العدد 31، 1983، ص 190

الأطراف، لذلك لا بد من غريزة تلك المناهج غريزة دقيقة وأن نشير إلى مكن الخطأ فيها³⁶.

إن المنهج التأويلي الهرمينوطيقي الذي اعتمده المستشرقون بقصد و بغير قصد، حرف القرآن و السنة و التاريخ العربي و الإسلامي. لقد كان عملهم ممنهجا و مقصديا. كيف ذلك؟

5- مظاهر تأويل النص القرآني عند المستشرقين:

5.1- تأويل آيات العقيدة :

إتجه المستشرقون أولا إلى ترجمة القرآن الكريم بهدف تحريف كلمه، وتصحيف معانيه بحيث تخدم أغراضهم في الحط من الإسلام، ولهذا استخدموا هذه الترجمات بطرق مغرضة للوصول إلى أهداف محددة، وملتوية بعيدة عن النص في لغته وفحواه. راحوا يتكبرون كل طريق على غير هدى، ليثبتوا أن محمدا قد استعار من الكتب اليهودية والنصرانية عند كتابة القرآن؛ وقاسوا القرآن خطأ على كتب العهد القديم والعهد الجديد، والتي جمعت من هنا وهناك، في أحقاب زمنية جد متباعدة، كما أكده النقاد الغربيون أنفسهم بالنسبة للكتاب المقدس؛ والذي سبق إليه علماء مسلمون كبار في دراسة الأديان المقارنة من أمثال الجاحظ، وابن حزم الأندلسي، والقرطبي، الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم والقرافي وغيرهم.

36 شبكة التفسير والدراسات القرآنية وملتقى أهل التفسير، موراني بون، ألمانيا، الشبكة العنكبوتية، 2005/2/2م.

عمد المستشرقون إلى تأويل أسماء الله و صفاته، و من مثل ذلك قوله تعالى ﴿بِسْمِ
الله الرحمن الرحيم﴾ (الفاتحة 1)،³⁷ استدل بعض القساوسة على إثبات التثليث في
الإسلام من خلال تأويل النص القرآني السابق، واعتبر هؤلاء أن ذلك النص فيه ثلاثة
أسماء (الله والرحمن والرحيم) فيدل على التثليث.³⁷

وقد جاء في كتاب الفرقان الحق: " ادعوا الرحمن أو ادعوا الرحيم أيا ما تدعوننا فلنا
التجليات الحسنى جميعا مثلثة موحدة فردا فردا فأنى تشركون....، وكذلك نحن الله
الرحمن الرحيم ثالث فرد إله واحد لا شريك لنا في العالمين"³⁸، وأيضا جاء سورة
البسملة: " بسم الأب والكلمة والروح الإله الواحد الأوجد مثلث التوحيد موحد التثليث ما
تعدد "³⁹.

فبعض من هؤلاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقدارا خاصا من السم، ويحترسون
في ذلك، فلا يزيد على النسبة المميّنة لديهم حتى لا يستوحش القارئ، ولا يثير ذلك فيه
الحذر، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف، إن كتابات هؤلاء أشد خطرا على القارئ من
كتابات المؤلفين الذين يكشفون بالعداء، ويشحنون كتبهم بالكذب والإفتراء، ويصعب
على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها، أو ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها.

³⁷ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والإعلام، 1985. ص33

³⁸ الفرقان الحق، مجموعة من المستشرقين الأمريكيين، 1999م. ص7

³⁹ المرجع السابق، ص30 .

5.2- تأويل الحروف المقطعة وأسرارها:

تناول المستشرقون الحروف المقطعة في القرآن، انتهوا من دراستهم لها على أنها كانت رموزا على أسماء أصحاب المصاحف، لكنها اعتبرت بطريق الخطأ قرآنا، ثم أضيفت فيما بعد إلى المصحف، وقدموا في ذلك تبريرات غير معقولة البتة؛ هذا مع العلم بأن أسماء الصحابة التي اقترحوها، لا تطابق أبدا أيًا من هذه الحروف المقطعة التي زعموا أنها رموزا عليهم. وأبعد من هذه الدعوى في الإفك، ما زعمه بعض الغربيين من أن المسلمين قد أضافوا فعل الأمر قل ليوهموا أن المتحدث هو الله، والمتحدث إليه هو محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبهذا يتوصلون إلى القول بأن القرآن كلام الله تعالى، وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول المستشرق رونان لوث Ronan Loth أن " الحروف المقطعة قد تأثرت في أصلها بالكبالات" يعني التصوف اليهودي" (40).

ويقول المستشرق ويلش Alfred .T. Welch: " لأربعة عشر قرنا ظلت هذه الحروف موضع غموض وحيرة لعلماء المسلمين، إذ يرى بعض العلماء أن فيها اختصارا لعبارات ما، على سبيل المثال "الر" اختصار للرحمن، "الم" اختصارا للرحيم، "حم" اختصارا للرحمن الرحيم، "ص" اختصارا صادي يا محمد، "يس" يا سيد المرسلين" (41).

40 القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، محمد أبو ليلة، 2002، ص228.

(41) مرجع سابق، ص226 .

ويزعم المستشرق نولدكه THEODOR NÖLDEKE : " أن هذه الحروف المقطعة وجدت طريقها إلى القرآن بمحض الصدفة، بمعنى أنهم "الصحابة" ضموا إلى القرآن ظنا أنها جزء من التنزيل" (42).

و" يذهب المستشرق لوث" إلى أن النبي ﷺ مدين بفكرة فواتح السور من مثل: حم، وطسم، وألم،.... لتأثير أجنبي، ويرجع أنه تأثير اليهود" (43).

إن ما ورد عن المستشرقين في أصل الحروف المقطعة غير صحيح، يقول أبو السعود بن مصطفى العمادي تفسيرا لهذه الحروف: " إن هذه الألفاظ إيماء إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ فلولا أنه وحي من الله لما عجزوا عن معارضته" (44) وبذلك يتضح أن هذه الأحرف جاءت في قمة التحدي للعرب الذين كانوا هم أرباب البلاغة والبيان.

حتى لا يجرني الحديث عن ثنايا و طيات الإستشراق إلى أبعد مما ذكرت،أخلص إلى القول أن أبحاث المستشرقين في مجال التفسير لم تتسم بالعمق العلمي بل غلب عليها السطحية والجهل بأصول البحث في أصول التفسير، وظهر فيها أثر خلفياتهم العدائية للإسلام.

فالمستشرقون يصورون الفرق المنحرفة والخارجين عن الإسلام المثل الأعلى للإسلام

(42) مرجع سابق،ص215.

(43) مرجع سابق ص84.

(44) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج1، ص 21، 2010 .

وينسبون آراءهم الضالة إلى الإسلام. كما يصورون الخلافات في التفسير بين الفرق خلافا واضطرابا في الشريعة الإسلامية بل اضطرابا وتناقضا في القرآن نفسه على حد زعمهم. في حين نرى أن الدراسات الاستشراقية الحديثة شرعت في دراسة القرآن الكريم دراسة أدبية تطبق في ذلك مناهج النقد الأدبي في دراسة القرآن الكريم دون الالتفات إلى قداسة كتاب الله تعالى. و يدعون إلى إخضاع تفسير القرآن الكريم لمناهج التحليل في العلوم الإنسانية.

إذا كان عداء المستشرقين واضحا وجليا في مواقفهم من الإسلام، فإن خطورة من سار على نهجهم من تلامذتهم ممن ينتسبون للإسلام أشد خطرا وأكثر أثرا.

حاول أتباع المدرسة الاستشراقية الحديثة استخدام أساليب ملتوية في الطعن في كتاب الله تعالى زاعمين حمل لواء التجديد في التفسير والفهم لكتاب الله تعالى، مدعين الوصول إلى مناهج جديدة في التفسير والتأويل لم يصل إليها أحد من قبلهم، ناقلين على مناهج المستشرقين، وفي حقيقة أمرهم لم يخرجوا عن منهج المدرسة الاستشراقية كثيرا، وإنما يرددون ما سمعوه ودرسوه عنهم.

فقد دفع عدم فهم بعض المستشرقين للمصطلح القرآني إلى التنقيب في التراث اليهودي-المسيحي، والاستناد إلى بعض التفاسير التي نقلت الإسرائيليات، للوصول إلى استنتاجات خاطئة ولتشويه صورة الإسلام .

ويبقى الهاجس الأول لهذه الأعمال العدوانية هو تجاوز القرآن وقراءته قراءة تاريخية، والبحث عن جذوره التوراتية والإنجيلية بحسب زعمهم، أو ما يعرف بـ (النسخة السريانية) القديمة للقرآن التي استنسخها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حسب مكرهم وادعائهم.

من هذا المنطلق يبدو أن موضوع التلقي فضلا عن التأويل من الإشكاليات الأكثر حداثة وجدلا و إثارة، على الرغم من أن الموضوع شغل دون استثناء القدامى والمحدثين بمختلف توجهاتهم و طروحاتهم، فهو موضوع ينهض على جملة من النظريات والمفاهيم والمقولات التي تعمل نظريا ومعرفيا على صياغة الآليات والانشغالات التي تحكم الصلة بين النص كمنجز إيداعي وقضايا القارئ و التلقي، وذلك لأن ' كل نص على اختلاف طبيعته موضوع للتأويل سواء على الحقيقة أو على المجاز'⁴⁵، مما قد يعني بالضرورة أن النص باعتباره منتجا 'يكون مصيره التأويلي جزءا من آليته التكوينية'⁴⁶.

6-مصطلح التأويل :

تقاربت تعاريف العلماء في التأويل اصطلاحا ، مع اختلافهم في بعض الألفاظ ، والتقييد والإطلاق :

⁴⁵المفاهيم معالم د.محمد مفتاح، ط1، 1999، ص35

⁴⁶النص الأدبي من الرمزية إلى التأويل، فريد الزاهي،مجلة علامات في النقد، ج61، 2007، ص192

عرفه أبو حامد الغزالي : " هو عبارة عن احتمال يعضده دليل ، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر " ⁴⁷.

وعرفه ابن الأثير : " نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل ، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ " ⁴⁸.

وعرفه ابن رشد : " هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه... " ⁴⁹.

تعقب الأمدى الغزالي في تعريفه بأنه اشترط الاعتضاد بدليل ، وهذا قيد يخرج التأويل المطلق من التعريف لأنه لا يشترط فيه هذا الشرط ، لذا اكتفى في تعريف التأويل : حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه ، مع احتمال له " ⁵⁰.

وبمفهوم آخر إن تعريف الأمدى جمع بين التأويل الصحيح وعكسه ، أما تعريف الغزالي اقتصر فيه فقط على التأويل الصحيح ، ويؤكد ذلك الأمدى بتعريفه التأويل المقبول الصحيح : " حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده " ⁵¹.

ما يتضح استشرافاً من التعاريف السابقة ؛ أن التأويل عدول عن ظاهر النص أو دلالة اللفظ إلى معنى آخر يحتمله ، أو هو صرف اللفظ عن حقيقته إلى المجاز ،

⁴⁷ المستصفي : 196/1 .

⁴⁸ النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير : 80/1 .

⁴⁹ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، لابن رشد : 32 .

⁵⁰ الإحكام للأمدى : 53/3 .

⁵¹ الإحكام : 53/3 .

والاحتمالية عنصر في التعريف على مستوى قبول اللفظ لهذا المعنى ، أو على مستوى الدليل الذي رجح هذا المعنى ، إضافة إلى الاجتهادية التي تختلف من عالم لآخر ، لذلك نبه الغزالي على أمر هام فقال : " ومهما كان الاحتمال قريبا وكان الدليل أيضا قريبا ، وجب على المجتهد الترجيح والمصير إلى ما يغلب على ظنه ، فليس كل تأويل مقبولا بوسيلة كل دليل بل ذلك يختلف ولا يدخل تحت ضبط " 52 .

6.1-التأويل القرآني

6.1.1-القرآن الكريم بين المعرفة اللغوية و التأويل

ليست المعرفة اللغوية ضرورة لمفسر القرآن الكريم فحسب وإنما هي ضرورة للفقيه والأصولي والمنطقي والفيلسوف والأديب.

ففي الفكر اليهودي انتقلت دلالة التأويل من نقد النص إلى تفسير النص المقدس، وقد كانت هذه التأويلات تروم التوفيق بين التصورات الفلسفية والتصورات التوراتية، واضعين بذلك أصولا للتأويل، من خلال تشبيهه للمعنى الحرفي بالجسم والمعنى الخفي بالروح، داعيا إلى ضرورة تكاملها .وعلى نفس المنحى درج الفكر المسيحي في تصويره لمفهوم التأويل: حيث استعملت دلالة اللفظ بمعنى منهج وقواعد تفسير

52 المستصفي : 494/1 .

الكتاب المقدس ، وقد ساد الاعتقاد عند رجال الدين بأن الشريعة مجتمعة على ظاهر وباطن، لذلك وجب تفسير هذا الكتاب تفسيراً رمزياً، للكشف عن معانيه الخفية، التي لا تتأتى إلا للخواص من أهل المعرفة والعلم، وهذه الآلية التأويلية هي التي ترفع التعارض بين حجب باطن القول وظاهره. وقد ارتبط مفهوم التأويل في تاريخ الفكر الإسلامي بالفتنة، حيث كان منطلق الدراسات القرآنية هو إثبات انسجام القرآن الكريم، وإبراز مظاهر هذا الانسجام في الرد على تلك التشكيكات التي ظهرت حينها موهمة بتناقض أي القرآن وتعارض دلالاته، لذلك سلكت هذه المباحث في بداياتها منحى تبريرياً، يتخذ من أساليب العرب المجازية متكأ بما يرفع هذا اللبس و التعارض، ويرده سلوكاً لغوياً جارياً على سمت العرب وعاداتهم في التجوز و التخيل.

لقد وضعت شروط لمفسر القرآن كان الإمام بعلم العربية أولها غير أن المفسرين يتفاوتون في معرفة أنواع هذه العلوم ؛ لذلك تنوعت التفاسير وتعددت قراءة القرآن ، وكان جميعهم يوظفون علمهم بالعربية في تفسير النص واستنباط معناه ودلالة تراكيبه وأساليبه لكننا ينبغي لنا أن نعرف أن ليس كل من اشتغل بالنحو أو اللغة كان من أهل المعرفة بها فقد يكون حافظاً لقواعد النحو وأقوال اللغويين ولكن قدرته المعرفية لا تتجاوز إعادة ما حفظه من دون استنباط ما وراء ذلك من دلالات الأساليب البيانية والتراكيب القرآنية خاصة في أحكامه ، فهو إما أن ينساق في موقفه مع مذهب نحوي

فيردد ما حفظه من قواعده وأقواله وإما أن يميل في أحكامه إلى مذهب يحسنه في الفقه أو الفلسفة والكلام .

إن لمعرفة أساليب ومفردات اللغة، أثرا في تفسير المفسرين. فالكلمة قد تكون غامضة فسياق استعمالها يكشف عن وظيفتها في التركيب. وغرابة الكلمة إما لكونها حوشية غير معروفة وهذا غير موجود في القرآن الكريم ، وإما لغموضها أو احتمالها أكثر من معنى وهو ما احتمله النص القرآني. فالمعرفة باللغة تفتح مغاليقها وتكشف عن دلالتها في سياقها . وقد ألف العلماء⁵³ كتباً في غريب القرآن كابن قتيبة (ت.893م) وأبي بكر السجستاني (ت.947م) وأبي عبد الرحمن بن المبارك اليزيدي (ت.854م) وأوضحوا نوع الغرابة فيها ومواطن خفائها أو غموضها .⁽⁵³⁾ فقد يكون للكلمة في سياقها دلالة سياقية تختلف عن دلالتها المعجمية فهذا حقل علمي آخر ينظر في نظم القرآن واختلاف أساليبه وأثر الأدوات في ذلك . ولهذا المجال اللغوي أهمية معرفية للمفسر يدخل فيها خصوصية الاستعمال القرآني للكلمة ثم تتوع أنماط الجمل لاختلاف ما يدخل عليها من الأدوات ثم تتوع دلالة الأسلوب الواحد من حيث عبارته على الحقيقة وما يخرج إليه من الأغراض البلاغية والأسلوبية .

⁽⁵³⁾مقدمة محقق كتاب غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن بن المبارك اليزيدي ، عالم الكتب بيروت

6.2- خصوصية استعمال الكلمة القرآنية:

6.2.1- من ناحية الإيقاع الصوتي

إن المتأمل في استعمال الكلمة في النص القرآني يخرج بتصورات منها ما يتصل بإيقاعها الصوتي ومنها ما يتصل بخصوصية استعمالها القرآني .

كثيرا ما نجد الكلمة القرآنية توحى بمعنى يضاف إلى معناها المعجمي أو العرفي من خلال جرس أصواتها التي تحاكي الحدث فتترسم صورة الحدث في ذهن المتلقي أو القارئ و" ذلك غير ما أشارت إليه الدراسات اللغوية منذ عصر الإغريق التي قالت برمزية الأصوات " (54) ، " وغير ما ذكره ابن جني في حديثه عن أصل اللغة من ذهاب بعضهم إلى أن اللغة مأخوذة من الأصوات المسموعة في الطبيعة وظواهرها" (55). نحن لا نعني هذا التفسير فالبحث في أصل معاني الألفاظ عند وضع اللغة غاية لا تدرك إنما نعني هنا الدلالات المكتسبة من حكاية الأصوات وتناسبها وما تضيفه و توحيه صفاتها المؤلفة من ظلال المعاني إلى المعنى المعجمي . فالتكرار الصوتي والمقطعي يوحى بتكرار الحدث والتشديد يوحى بالمبالغة والكثرة ، و انسجام أصوات الكلمات في سياقها يوحى بالسلاسة والرقّة و هذه معاني تضاف إلى معانيها المعجمية .

(54) دور الكلمة في اللغة أولمان ص 99 .

(55) للخصائص 1 / 46 .

ولم يهمل اللغويون المحدثون النظر في الصلة بين اللفظ ودلالته . فقد ناقشها ابراهيم أنيس ، وتمام حسان ومن الغربيين يسيرسن وأولمان وغيرهم فكانت خلاصة موقفهم أن توليد المعنى عن طريق المحاكاة والتقليد بواسطة الصوت له دور ذو أهمية وحيوية وقد وضعت نظم رمزية ترمي إلى بيان القيمة التعبيرية المتصلة بالأصوات المختلفة ولكن ينبغي لنا أن لا نبالغ في ذلك " . (56)

إن النص الإبداعي يهدف إلى الوصول بالكلمة إلى كامل قوتها وإيحائها سواء بالإيقاع و إحياء جرس الكلمة أو التكرير والتشديد على أصوات معينة وغير ذلك من الوسائل الفنية .

6.2.2- من ناحية الترادف و الاشتراك و التضاد:

يمكننا النظر في خصوصية استعمال الكلمة القرآنية من خلال مفهوم ظاهرة الترادف والمشارك والتضاد وموقف اللغويين منها .

فاللغويون في قضية الترادف اللغوي على خلاف ، فمنهم من ذهب إلى وجوده في اللغة والقرآن الكريم ف"يجمع للمعنى الواحد ألفاظا عدة ، ومنهم من ينكر ذلك وحاول أن يوجد الفروق بين الألفاظ المترادفة " (57) على اعتبار ما من لفظ يمكن أن يقوم غيره

(56) دلالة الألفاظ ، ابراهيم أنيس ص ص 68 . 69

(57) مثل الثعالبي في (فقه اللغة) وأبي هلال العسكري في (الفروق اللغوية) وأحمد بن فارس في

مكانه في القرآن الكريم ، وذلك من خصائص اعجازه . فللشيء اسم واحد وما بعده من المرادفات فهي صفات ، فالسيف هو الاسم وأما المهند والحسام والصارم فهي صفات . وأما المشترك فهو أن يكون للكلمة الواحدة أكثر من دلالة، واللغويون فيه على خلاف أيضا خصوصا في وجوده في القرآن الكريم . وقد ألفت تحت هذا العنوان كتب (الأشباه والنظائر) لمقاتل بن سليمان البلخي ، وكتاب (الوجوه والنظائر في القرآن) لهارون بن موسى الأعرور ، وللمبرد النحوي ، كتاب عنوانه (ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد) لكنه اشترط في الكلمة التي يوردها أن يكون القرآن الكريم قد استعملها بمعانيها فبهذا الشرط ضيق مفهوم الاشتراك عما نجده لدى مؤلفي الكتب السابقة ولدى اللغويين .

لقد جعل الزركشي موضوع "الوجوه والنظائر النوع الرابع من علوم القرآن" (58) و " فسر مصطلح (الوجوه) بأنه المشترك الذي يستعمل عدة معاني للفظه ، وفسر مصطلح (النظائر) بالألفاظ المتواطئة المترادفة . وقد عد بعضهم ذلك من معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر".⁵⁹

(الصاحبي) وابن جنبي في (الخصائص)

⁽⁵⁸⁾البرهان 1 / 133 .

⁽⁵⁹⁾البرهان 1 / 134 .

" قلت أن اللغويين قديمهم وحديثهم على خلاف في هذه الظواهر اللغوية" (60) ،
وهناك من يرى أن فيها مبالغة خصوصا في القرآن الكريم ، ويرى أن نسبة الترادف
ليست كما ذكروا من أن للهدى سبعة عشر معنى : البيان و الدين و الإيمان و الداعي
و الرسل و الكتب .." (61) ومع ذلك فالترادف أوسع من المشترك في اللغة وأكثر ما
ذكره على أنه من " المشترك هو أقرب إلى المجاز كالعين الباصرة تستعمل لعيون
الماء ، وأمة بمعنى جماعة من الناس وهو المعنى القرآني المألوف كقوله تعالى ﴿ ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ (البقرة 128) وأمة بمعنى الحين ﴿
واذكر بعد أمة ﴾ (يوسف 45) وأمة بمعنى الدين ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾
(الزخرف 22) . " (62)

ومما ذكر من المشترك في كتب اللغة " لم يستعمل في القرآن الكريم إلا بمعنى واحد
مثل كلمة (الخال) لم يرد لها إلا معنى قرآني واحد وهي من ألفاظ القرابة وقد استعملت
خمس مرات ، وكذلك كلمة (انسان) المستعملة في القرآن خمسا وستين مرة ليست إلا

⁽⁶⁰⁾ كتاب المزهر للسيوطي 1 / 369 ، 430 ،

⁽⁶¹⁾ الإتيان 1 / 301 . 300

⁽⁶²⁾ أيضا الآيات 134 . 141 . 143 . 213 من البقرة و 104 . 110 . 113 من

آل عمران وكثير من آيات آخر

معنى قرآني واحد ، وكلمة الأرض التي تذكر لها كتب المشترك اللفظي معاني كثيرة وردت في القرآن خمسمائة مرة بمعناها القرآني المؤلف⁽⁶³⁾ .

وأما الأضداد من الألفاظ أي " الألفاظ التي تدل على المعنى وضده على وفق سياقها في الاستعمال وقد ذكر منها كلمة (عسعس) في الآية ﴿ واللَّيْلُ إِذَا عَسَعَسَ ﴾ (التكوير 17) بمعنى أقبل وأضاء وبمعنى أدبر⁽⁶⁴⁾ .

و" كلمة (أسر) في الآية ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ (يونس 54) بمعنى الإظهار مرة و بمعنى الإخفاء أخرى .

وكلمتا (شري واشتري) في الآيات:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة 207)

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ (يوسف 20)

﴿ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ (البقرة 102)

﴿ بِنِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ (البقرة 90)

⁽⁶³⁾ المزهر 1 / 387

⁽⁶⁴⁾ إعراب القرآن للنحاس 3 / 638 .

قال الفراء : للعرب في شروا واشتروا مذهبان : فالأكثر منها أن يكون شروا بمعنى باعوا ، واشتروا : ابتاعوا ، وربما جعلوهما جميعا في معنى باعوا." (65) إن ذلك من الظواهر الدلالية التي قال بها اللغويون ومنهم من أنكرها أن تكون في القرآن الكريم ، و " هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات العربية التي جمعها اللغويون " . (66)

كل ذلك يدعونا إلى التأمل في الاستعمال القرآني وما جاء فيه من الفروق في الدلالة بين المترادفات، ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الترادف موجود لكنه بمعناه العام وليس موجودا في الأصل. فينبغي لنا أن ننظر إلى التطور في اللغة واستحداث الألفاظ الجديدة في الاستعمال أو الدلالات المستعمل منها، فالمترادف من الكلم لم يوضع في وقت واحد في بيئة واحدة. فإما أن تكون إحداها أصلا والأخرى صفات استعملت بمرور الزمن استعمال الأسماء كما ذكر ابن فارس أو أنها " لهجات استعملت فيها ألفاظ بمعنى متقارب وعند جمع اللغة عدها اللغويون مترادفات " . (67)

6.3- تأويل الحديث و السنة

إن مشاكل الحديث والسنة ليست مقتصرة على مسألة الثبوت و الصحة؛ فمشكلة دلالة الأحاديث المقطوع بصحة إسنادها وفهمها حق الفهم، ومدى صحة تأويلها، مشكلة لا تقل أهمية عن مشكلة الصحة والثبوت.

(65) معاني القرآن 1 / 56

(66) المزهر 1 / 873 ، 389.

(67) نفسه 1 / 369

إذ لا يمكن استنباط هذه المقاصد والأهداف من مجرد ألفاظ منسوبة للرسول فقط، أو
بعبارة أخرى من ألفاظ ظنية الدلالة بالاعتماد على القواعد اللغوية. وقد تعرضت
الأحاديث لمشكلة دلالية ورواية أكثر الأحاديث بالمشافهة، أو تحريف لفظي من
الراوي، أو عند تحولها من الرواية بالمشافهة إلى نص مكتوب، و تأخر تدوين بعضها.
و الأهم من كل ذلك رواية أكثرها بالمعنى وليس باللفظ ، تمخض عنه مشكلة دلالية
في الأحاديث.

وكما لا يعني بذل جهود كبيرة لحل إشكالية الثبوت و الصحة في الأحاديث ، أنه ليس
هناك محاولات جدية لحل إشكالية الدلالة لتوفير فهمها و تأويلها بشكل صحيح . و
بينما نرى أقول الرسول وأفعاله في المفهوم الإسلامي تعني الحديث و السنة ، و يعتبر
هو نفسه المفسر الأول للقرآن و مؤولا له ، نرى للسنة من ناحية أخرى تأويلات و
مفاهيم متعددة .

إن الحفاظ على توازن اللفظ والمعنى، و المادة والروح في الحديث والسنة من جهة ،
والرواية والدراية من جهة أخرى ، لاقى صعوبة منذ عصر أصحاب الرسول إلى يومنا
هذا . وما اختلاف بعض الصحابة كاختلاف السيدة عائشة مع أبي هريرة ، و عمر بن
الخطاب و ابنه عبد الله، و ابن عباس مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهم إلا انعكاس لهذه الصعوبة أيضا. والشيء الذي حال دون رواية كثير من
الصحابة للحديث هو خوفهم من فوضى رواية بدون دراية ، وهذه هي الحكمة التي

كانت وراء منع عمر بن الخطاب من كتابة الحديث . ذلك لأنه رواية بدون دراية و المعنى اللفظي والتأويل الحرفي كان مضرا دائما . و كما يقول محمد الغزالي: " إن ما عانت منه الأمة الإسلامية على مر التاريخ من الفهم الخاطئ و التأويل الفاسد للحديث والسنة ، لم تعانيه من آلاف الأحاديث الموضوعية المختلفة ."⁽⁶⁸⁾ وفي هذا الصدد خزائن الحكم ونوادرها تقول : "قرب قول صحيح و أفته الفهم السقيم" (⁶⁹)

إن مسألة فهم الحديث والسنة و تأويلهما، أوقعت أهل الحديث و أهل الفقه على طرفي نقيض في طور تكوين الفكر الإسلامي . فبينما اتهم أهل الحديث أهل الفقه بأنهم لا يعرفون الحديث و يفضلون الرأي و القياس على الحديث. فإن أهل الفقه يرون " أهل الحديث حملة العلم و زملة الأسفار ، وأن كل واحد منهم راو و ناقل لا يفكر فيما يرويه و ينقله ."⁽⁷⁰⁾ هذا و مع أن كل واحد من الفريقين قد تأثر بالآخر ، فقد تحقق أخيرا ما قاله سليمان بن مهران الأعمش (ت .765م) لأبي حنيفة (ت.767م) بأن الفقيه طبيب و المحدث صيدلي . " كل واحد من الفقهاء طبيب وكل واحد من المحدثين صيدلي " (⁷¹) لكن لا يفوتنا هنا أن نذكر أنه كما ظهر على مر التاريخ من هؤلاء الصيادلة من لم يجد دواء لأي داء ممن لا يعرف من الطب شيئا ، فقد ظهر أيضا من لا يعرف لا من الطب و لا من الصيدلة شيئا يصف ما بين يديه من الدواء لكل مرض على أنه دوائه .

⁶⁸ محمد الغزالي، فقه السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، 1989، المقدمة .
⁶⁹ محمدج الشيباني، كتاب الحجة على أهل المدينة، عالم الكتب، بيروت، 1983، 1. 443 .
⁷⁰ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم و فضله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 11. 127 .
⁷¹ المصدر السابق. 11. 131 .

و لما لم يتطور منهج مستقل بين علم الحديث أو بين علوم الحديث، لفهم الحديث والسنة و تأويلهما عمد إلى نظام الفهم في أصول الفقه، لسد هذه الفجوة. ذلك لأننا إذا ما وضعنا (البرهان) الذي هو أساس الفلاسفة المسلمين، و (العرفان) الذي هو أساس المتصوفة جانبا، فإن العلم الوحيد بين العلوم الإسلامية الذي طور نظاما مستقلا للفهم هو أصول الفقه. فأصول الفقه الذي جمع بين أسس وأنظمة علوم أربعة (اللغة، و المنطق، و الكلام، و الفقه) سواء من ناحية المادة العلمية و الفلسفية أو من ناحية نظام الفهم والتأويل، نظام متكامل في حد ذاته. من أجل هذا اعتمد علم أصول الفقه كمنهج وحيد في فهم الحديث والسنة و تأويلهما، كما اعتمد في فهم النص القرآني أيضا فمنطقيا و علميا لا يمكننا اعتماد القول بأن نظام الفهم في أصول الفقه منهج كاف لفهم الحديث والسنة و تأويلهما بشكل صحيح ، لأسباب ترجع بعضها إلى أصول الفقه و بعضها الآخر إلى الأحاديث التي هي المادة المكتوبة من السنة . و يمكن ترتيب هذه الأسباب على الشكل التالي :

1. إن الأصوليين لم يضعوا منهج الفهم والاستنباط من أجل فهم النصوص الدينية كلها ، وإنما وضعوا هذا المنهج لاستخراج بعض الأحكام الشرعية والعملية من بعض النصوص " و يخرج من اختصاص أصول الفقه بقيد البزدوي هذا ما ورد في

النصوص الدينية من قصص وأمثال و حكم . بينما وكما هو معلوم فإن مثل هذه الأقوال تشكل القسم الأعظم من الأحاديث⁽⁷²⁾.

2. إن نظام الفهم في أصول الفقه بشكل عام ليس أسلوب فهم و تأويل . إنما هو أسلوب تأويل قانون و تحليل دليل ، لأنه يعتمد على استنباط حكم من أدلة كلية و جزئية . و استنباط حكم وفهم شيء ما ليسا شيئا واحدا، ذلك لأن الفهم نظري بينما الاستنباط يخرج التطبيق العملي إلى حيز الوجود. فالأول معنى و الثاني مدلول . و"المعنى هو ما يفهم مما يشير إليه اللفظ . أما المدلول فليس ما يفهم من اللفظ ، إنما هو المفهوم الحاصل في الذهن".⁽⁷³⁾ . أما الاستنباط فلأنه موجه لغاية معينة ، أي لأنه يتخذ استخراج الحكم أساسا له ، فإنه يحمل الألفاظ فوق طاقتها . فإنه بدل أن يعمل على توضيح أسلوب الفهم للدين ولنصوصه ، عمل على توضيح الدين و نصوصه حسب أسلوب الفهم .

3. كما أن أسلوب فهم أصول الفقه هو منهج تأويل قانون، فقد أولى التأويل اللفظي أيضا اهتماما كبيرا عند تحليل القانون. و يتهم الأصوليون بأنهم لم يلجأوا إلى التأويل المنطقي أبدا عن قيامهم بالتأويل اللفظي ؛ و يقال بأن الأصوليون في أسلوب تأويلهم إنما نظروا إلى ألفاظ النصوص و لم يعيروا المعنى أي اهتمام . لكن القول بأنهم عند التحليل القانوني لم يلجأوا إلى العناصر الضرورية للتحليل القانوني إلى

⁷² كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري ، دار الكتاب العربي ، 1994 ، ط 1 . 79-80 .
⁷³ ،مذكرات حول نظرية الفقه الإسلامي، المترجم باهـاء أريقان، منشورات رئاسة الشؤون الدينية، أنقرة 1955 . ط 1 . ص 85 .

جانب العنصر اللغوي إجحاف في حقهم . لكن العنصر اللغوي و خاصة عند الإمام الشافعي قد برز، وأعير التأويل اللفظي الأولوية حقيقة لا خلاف فيها . وما لم توجد قرينة أو دليل مخالف فقد اعتبر ظاهر الألفاظ هو الأصل.

4 . حتى يكون أسلوب الفهم الذي يتخذه أصول الفقه أساسا للتأويل اللفظي ، وحتى تكون طرق الدلالة التي يعتمد عليها أصول الفقه منسجمة فيما بينها ثابتة التقييم ؛ فإن الألفاظ التي يعبر عنها بالنص لا بد لها من شرطين كما لا بد أن تحتوي على ميزتين :

أولهما : أن يكون المشرع قد وضع تلك الألفاظ بهدف التشريع و التقنين فقط .

و ثانيهما: أن لا تكون هناك أية شبهة في أن تلك الألفاظ منسوبة المشرع .

وعلينا أن نذكر هنا أنه لا يمكن القول بأن ما يصطلح عليه "بالنص" من قرآن أو حديث ينطبق عليه الشرط الأول. صحيح أن القرآن الكريم والسنة مصدران لجميع جوانب الثقافة والمدنية، إلا أنهما مصدران للفقه أيضا. لكن وكما هو معروف لا القرآن الكريم عبارة عن مجموعة من قوانين ولا السنة عبارة عن تشكيلة من أنظمة قانونية خالصة فقط ، فليس كل واحد منهما إطار و نص قانوني بحت .

أما الشرط الثاني، فإن القرآن الكريم ينطبق عليه هذا الشرط بلا خلاف. أي أن ألفاظ القرآن الكريم منسوبة بعينها إلى الشارع . و لكن لا يمكن إطلاق نفس الشيء على نص الحديث . أي لا يمكننا القول بأن كل الأحاديث الصحيحة السند و التي جميع

رواتها ثقة ، مروية باللفظ . و كل المحدثين مجتمعون على أن الأغلبية الساحقة من الأحاديث مروية بالمعنى وليس باللفظ.

5. النقاط التي تحول دون تطبيق مباحث أصول الفقه اللفظية على الأحاديث بعضها يرجع إلى لغة الأحاديث و أسلوب الرسول ﷺ و بعضها الآخر يرجع في مجمله إلى نظام الرواية نفسه.

6. الأحاديث عربية . لكن اللغة المستعملة في الحديث ليست اللغة نفسها - ناهيك عن أن علوم اللغة لم تكن قد دونت بعد-بل نموذج خاص من التخاطب. أي أنها ضرب من الألفاظ و نوع من الأقوال. و " حتى نفهم هذا الضرب من الأقوال فإن القواعد التي أثبتها سيبويه (ت. 796م) أو خليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 786 م) أو الأصمعي (ت. 831 م) ليست أسسا لغوية كافية بحد ذاتها. بينما نجد أصول الفقه قد اعتبر الإعراب أساسا للتحليل اللفظي، و ظل قيد مبادئ اللغة وقواعدها . وهو يستخرج الأحكام من ترتيب الحروف ، و من مكان الأداة في الجملة ، و من التقديم والتأخير ، و من عودة الضمائر ... قد التزم بقواعد اللغة لمدرستي البصرة والكوفة . و أصول الفقه والأصوليون يرون أن النص آية كان أم حديثا لا بد أن يكون موافقا لقواعد اللغة بلا شك و لا شبه " (74).

⁷⁴ السلفية مرحلة سلفية، البوطي ، ، 1990، ص 73 .

7. إن الفروق التي بين اللغة و الألفاظ من جهة و بين الأقوال من جهة أخرى هي نفسها الفروق التي بين لغة الكتابة و لغة الكلام الذين هما نوعان من التعبير، ذلك لأن لغة الكتابة ليس لها مخاطب عيانا ، بل لها مخاطب مفترض و متخيل و بشكل غير مباشر . أما لغة الكلام فلها مخاطب حي و نشيط ، و العناصر التي توجه لغة الكتابة هي أسس قواعد اللغة . لهذا نرى أصول الفقه قد اعتبر المخاطب العنصر الأساسي في عملية نشاط الفهم . أما لو اعتبرت الأحاديث على أنها لغة الكلام و المحادثة ، لأعتبر المخاطب الأول و المخاطب غير المباشر هو العنصر الأساسي في عملية نشاط الفهم ، وعندها لما خرج أي لفظ عن مضمونه و قطع عن مدلوله حتى يفهم فحواه .

8. الرسول ﷺ لم يستخدم لغة الكتابة بل استخدم لغة المحادثة، و مع ذلك فقد استخدم لغة فصيحة بليغة . و لا يمكن مع ذلك تجريد لغته التي استخدمها عن المحادثة اليومية تماما. و بما أن أقواله يغلب عليها طابع الخطابة فهي أقرب إلى لغة الكتابة منها إلى لغة الكلام. و مع ذلك ف "من الخطأ أيضا اعتبار تلكم اللغتين و مدلولهما شيء واحدا".⁽⁷⁵⁾

9. إن الرسول ﷺ قد استعمل جميع أضرب الأسلوب الديني من تشبيه و تمثيل و تجريد و تصريح و التعبير الرمزي بل وجميع الأساليب البلاغية. كما استعمل في كل

⁷⁵ . الجانب الإعلامي في خطاب الرسول، إبراهيم محمد، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986، ص73.

ذلك تعابيراً حرة و أساليباً مرسلة. و لا يفوتنا أن نذكر هنا أن ابن حبان قد قسم صيغ الأمر والنهي فقط من حيث غاياتها إلى مائتي قسم " (76). بينما نجد أصول الفقه - حسب طريقته في استخراج الأحكام- يكاد يعتبر كل عبارة من تلكم العبارات مصدر حكم وكأنها قانون لا محيد عنه. مما تمخض عن ذلك اختلاف التأويل في الأحاديث التي تحتوي على أساليب بلاغية خاصة أساليب الاستعارة و التشبيه منها، حتى أن أحاديث الترغيب والترهيب أيضاً صنفت ضمن أحاديث الأحكام. و أوضح مثال على ذلك "استخراج حكم إباحة قتل تارك الصلاة من الأحاديث الواردة في ذلك (تارك الصلاة)". (77) بينما نجد أن الحديث كما أنه ورد بألفاظ عدة ، فإن مئات العبارات وردت في أحاديث أخرى. فإذا ما استخرجنا من كل عبارة حكماً حسب تلك العبارة سنجد أنفسنا في متاهة . أو في مأزق لا يمكننا الخروج منه.

6.4- شروط صحة التأويل و أهدافه (78) :

6.4.1- الشروط:

يحذر ابن القيم من خطورة التأويل إذا استخدم في غير مكانه ومن غير أهله ، كما وقع في الأديان السابقة ، وبعض الفرق الإسلامية ، فيقول : " فأصل خراب الدين و الدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرد الله و رسوله بكلامه و لا دل عليه أنه مراده، و

76 . الإحسان في تقييد صحيح ابن حبان، ابن لبيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، 48.
77 . تخريج فروع الأصول، ضهابة الدين محمود، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، 81-84.
78 . مفهوم التأويل في فهم الحديث النبوي؛ دراسة تأصيلية نقدية تطبيقية. الدكتور: عمار الحريري. المؤتمر العلمي الدولي بعنوان (التعامل مع النصوص الشرعية (القران والحديث) عند المعاصرين- الأردن 2010.

هل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ و هل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل؟ فمن بابيه دخل عليها، و هل أريق دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل؟ وليس هذا مختصا بدين الإسلام فقط، بل سائر أديان الرسل لم تنزل على الإستقامة و السداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد⁷⁹.

وقد بدت بعض شروط التأويل الصحيح واضحة من خلاله تعريفه ، ومع ذلك فقد نص العلماء على شروط التأويل ليكون صالحا ومقبولا ، ليخرج بذلك التأويل المطلق أو الفاسد ،⁸⁰ وهي:

- أن يكون الناظر المتأول أهلا لذلك .

_ أن يكون اللفظ مما يقبل التأويل أصلا وداخلا في مجاله .

_ أن يقوم التأويل على دليل صحيح قوي يؤيده ، أو أن يكون الدليل الصارف للفظ

عن مدلوله الظاهر راجحا على ظهور اللفظ في مدلوله .

_ أن يكون اللفظ محتملا للمعنى الذي آل إليه لغة أو من عرف الاستعمال أو عادة

الشرع .

_ ألا يتعارض التأويل مع نصوص قطعية الدلالة في التشريع .

⁷⁹ إعلام الموقعين: 127/5.

⁸⁰ الإحكام للأمدي : 54/3

_ أن يكون المعنى الذي يؤول إليه النص أرجح من معناه الظاهر الذي صرف عنه
وذلك بدليل مرجح .

_ وهناك شرط هام يتعلق بالحديث وهو ثبوت صحة الحديثين المتعارضين في حال
تأويلهما⁽⁸¹⁾ .

- وذكر الغزالي شرطاً هاماً وعزاه لبعض الأصوليين وهو أن لا يؤدي التأويل لرفع
النص أو شيء منه، فقال : " قال بعض الأصوليين كل تأويل يرفع النص أو شيئاً منه
فهو باطل"⁽⁸²⁾ .

6.4.2-الأهداف:

6.4.2.1- التأويل لإصابة مراد الشارع : هذا هو الأصل في التأويل ، لأن
الغرض من التأويل إدراك الحقيقة التي يؤول إليها المعنى التي هي أخته و أصله"⁽⁸³⁾
لذلك لم يعترض النبي ﷺ أو يعنف من خرج عن أمره من الصحابة عندما أمرهم
أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال
بعضهم : " لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد لنا ذلك ، فذكر ذلك
للنبي ﷺ فلم يعنف أحدا منهم " ⁽⁸⁴⁾ . فبعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ، ولم
يبالوا بخروج الوقت ، ترجيحاً للنهي الذي هنا على النهي في تأخير الصلاة عن وقتها

⁸¹ خياط ، مختلف الحديث : 130 .

⁸² المستصفي : 498/1 .

⁸³ إعلام الموقعين لابن القيم : 454/1 .

⁸⁴ صحيح البخاري ، كتاب المغازي.. : 1510/4 .

، وأما البعض الآخر فقد حمل النهي على المجازية ، وقالوا : "إنه كناية عن الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة ، فصلوا قبل أن يصلوا إلى بني قريظة" (85).

6.4.2.2- التأويل عند التعارض مع دليل آخر أو مذهب :

إن الأصل عند الجمهور الجمع بين الحديثين ما أمكن ، والتأويل ركن أساسي في ذلك ، فقد اشتهر عن ابن خزيمة مقولته : " لا أعرف حديثين صحيحين متضادين ، فمن كان عنده فليأتي به لأولف بينهما" (86)، فهذه القاعدة تظهر أن التأويل ليس مجرد حالة يقتضيها النص بحد ذاته ، بل أصبح ضرورة يلجأ إليه عند تعارض الأدلة وذلك لغرض توفيق أو حل مشكلة .

وأشار الشاطبي إلى أهمية التأويل في إبطال دعاوى النسخ فقال : " إن غالب ما ادعي فيه النسخ إذا تأمل وجدته متنازعا فيه ، ومحملا ، وقريبا من التأويل بالجمع بين الدليلين على وجه ، ... " (87) .

ويؤكد هذه القاعدة الكرخي بقاعدة شبيهة تخص أصحابه الحنفية ، وتتمثل بأن " كل آية أو حديث يخالف قول أصحابه أي الحنفية ، فهو إما منسوخ ، أو مرجوح ، أو يحمل على التأويل من جهة التوفيق" (88).

⁸⁵ فتح الباري : 410/7 .

⁸⁶ فتح المغيب للعراقي : 329 .

⁸⁷ الموافقات : 106/3 .

⁸⁸ تأسيس النظر ، للدبوسي : 169-171 .

6.4.2.3- تطرق التأويل للحديث قد يكون دلالة على قبوله :

نص الغزالي في المنحول على قاعدة هامة تتعلق بأحاديث الصفات وهي : " كل خبر مما يشير إلى إثبات صفة للباري تعالى يشعر ظاهره بمستحيل في العقل نظر إن تطرق إليه التأويل قبل وأول وإن لم يندرج فيه احتمال تبين على القطع كذب الناقل " (89).

وحرر الزركشي هذه القاعدة على لسان الغزالي بقوله " و أما أحاديث الصفات فكل ما صح تطرق التأويل إليه و لو على بعد قُبَل ، و ما لا يؤول، و أوهم فهو " (90) .
وذكر بعض الأصوليين تأويل العلماء للحديث دلالة على صحته، قياسا على الاحتجاج به فالاحتجاج بالحديث يستلزم قبوله ، وكذا تأويله يستلزم ذلك ، وإلا لم يحتج إلى تأويله ، ولكن اعترض عليه أن " كثيرا من التأويل قائم على افتراض الصحة، أي لو صح الحديث فتأويله كذا، بخلاف الاحتجاج به، فهو قائم على ظنهم صحته " (91).

7-القراءات الحدائيه للنص القرآني

" إن أهم ما يميز القراءات الحدائية للنص القرآني هو سعيها الدعوب نحو إحداث قطيعة كلية مع كل مناهج التفسير التي سادت في التراث الإسلامي " (92). ورفض

⁸⁹ المنحول : 379/1 .

⁹⁰ البحر المحيط : 408/5 .

⁹¹ منهج ذوي النظر ، للترمسي : 103-104 .

⁹² ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وإيديولوجيا الحدائة لعبد الرحمان الحاج.مجلة الملتقى:العدد الأول

استثمار كل الجهود و الفهوم السابقة التي أنتجها علماء الإسلام في تعاملهم مع القرآن الكريم.

وهذا الرفض كان تحت دعوى قدم هذه المناهج وتغييبها كلياً للقارئ من حيث هو أداة و طرف أساسي في إنتاج المعنى الذي يحمله النص. فهي تراهن على المعنى المتعدد والمتنوع بدل المعنى الواحد مع عدم الإخضاع أو الاحتكام إلى المنطق والأصول الحاكمة للتخاطب في اللغة العربية والذي يعد الأصل في التفسير. كما أنها لم تعر أية أهمية للإشكاليات المنهجية التي يطرحها التفسير. رغم أن عملية التفسير تحكمها مجموعة من الضوابط والمعايير وتخضع لمجموعة من الشروط. يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي والثقافي بالتاريخي واللغوي بمستوياته الداخلية والخارجية. ورغم أن المناهج المخصصة للتفسير تظل مؤصلة في كتب التفسير وكتب علم أصول الفقه بشكل قوي. فمع ذلك فإن هذه المناهج الجديدة في التفسير عملت على تخطي كل الأصول وتجاوز كل الضوابط والقواعد بدعوى التجديد و العصرية والتحديث.

فلقد عمل المناصرون لهذا الاتجاه بالدفع بقوة بمشاريعهم من أجل جعل هذه المشاريع الحداثية في قراءة النصوص القرآنية وتأويلها البديل المنهجي المرتقب لكل الإنجازات العلمية التي راكمتها جهود العلماء السابقين واجتهاداتهم في تفسير القرآن الكريم.

وقد دعا المناصرون لهذه المشاريع أن هذه المناهج تحمل من القدرات التفسيرية والإمكانات التأويلية ما لم تحمله المناهج القديمة في التفسير و التأويل. فهي " تعمل

على الحد من سلطة النص المتمثلة في القواعد والضوابط والمعايير الحاكمة للفهم والمنظمة لمنطق التخاطب والتلقي في اللغة العربية، على حساب سلطة القارئ الذي منحته هذه المناهج حق التأويل المطلق والتلقي الحر للنصوص الدينية ومطاوعتها تبعاً لمؤهلاته الفكرية وخلفياته المذهبية الشيء الذي يجعل من النص أداة مطاوعة لتوجهات وقبليات القارئ الفكرية والمذهبية في تفسيره للنص " (93).

والذي استند إليه أصحاب هذا الاتجاه أن النص الديني بصفة عامة و القرآن بصفة خاصة نصوص حاملة بطبيعتها للتأويل وقابلة لأكثر من معنى. كما أن النص المنفتح والمتعدد غير الخاضع للمعايير نص حي يتميز بالحركة وعدم الثبات. أما النص الذي تحكمه القواعد والضوابط فهو نص مكشوف وثابت تغيب فيه الحركة وترتفع فيه المنافسة بحيث يستوي في معرفة دلالاته ومعناه جميع المتلقين له.

وهذا الانفتاح الدلالي للنص هو الذي يكفل لهذا للنص بالبقاء والاستمرار عبر الأجيال والامتداد في الزمان والمكان... فمن مبادئ هذا الاتجاه: أن "النص مفتاح لكل من استطاع قراءته. وأنه لا وجود لمعنى حقيقي للنص. وأن الكاتب لا يدرك ما يقوله..." (94)

⁹³ - نظرية التأويل للدكتور مصطفى ناصف، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 2000.

⁹⁴ - المقاربة الهرمسية للوحي: قراءة في الخطاب اللاديني لنصر حامد أبو زيد يحي رمضان، مجلة إسلامية المعرفة، ع63، 2011.

فالقراءة التأويلية في هذه المناهج تسعى إلى تقديم وجه متعدد ومحتمل من بين عدة وجوه تتصف بالاحتمال بين وجوه عديدة قد يحتملها النص.

ولعل هذه المراهنة على تعدد المعنى في قراءة النص كان من آثاره وتجلياته أن اتجه أصحاب المشاريع القراءات الحداثية إلى رفض التراث التفسيري الذي راكمته جهود المفسرين القدماء ورمي أصحابه بالسذاجة والغفلة والجهل والإعراض عن التعددية والاختلاف التنوع في اكتساب المعنى. لأن " المفسرين القدماء في نظر هؤلاء عملوا على تكريس المعنى الواحد للنص " (95). بما أصلوه من ضوابط وما وضعوه من قواعد ضابطة للفهم وحكمة للتمثل بشكل صارم ودقيق لعملية التفسير و التأويل، وواجهوا كل التفسيرات التي لا ترضخ للأصول ولا تحتكم للشروط ذات الصلة بالتفسير والتأويل.

ومصادرة هذا التراث التفسيري الذي شيده علماء الإسلام على امتداد التاريخ الطويل يعود أن هذه القراءات المعاصرة التي تصدر من مناهج تستمد مرجعيتها من المناهج المعاصرة التي تشكلت من خارج التداول الإسلامي وهي مناهج مستوحاة من العلوم الإنسانية واللسانيات المعاصرة بجميع مدارسها ومذاهبها والتي عرفت بدورها تطورا كبيرا في الآونة الأخيرة. وتوزعت إلى عدة مدارس واتجاهات أهمها : البنوية والتداولية والتوزيعية و التفكيكية ، والتي تعد المتلقي الطرف الأساسي في تلقي النص وبناء

⁹⁵. دعاوي الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها. لعبد المحسن بن زين المطيري دار البشائر: 2007.ص56

المعنى. فسلطته التأويلية في تلقي النص وتفسيره تفوق سلطة النص في قواعده الحاكمة له و التي يعد الالتزام بها وبالمعايير والضوابط اللغوية والدلالية شرطا في التمثل واكتساب المعنى وتحصيل المراد. وإلا تحول النص إلى أداة مطاوعة لاختيارات القارئ تحكمها الفوضى في التأويل والقراءة. فقد اعترض الاتجاه التأويلي على سلطة النص المطلقة ونفى وجود إمكانية قراءة صحيحة بدعوى أن مستويات القراءة والتلقي تتنوع سعة وعمقا من قارئ إلى آخر تبعا لسياقه الفكري والثقافي وتبعا لمؤهلاته الذاتية. إضافة إلى اعترافها بالغياب الكلي لأي قراءة صحيحة للنص وان كل قراءة تبقى قراءة نسبية وهذا ما يجعل كل قراءة مرشحة للتجاوز والتغير تبعا لتغير التاريخ والثقافة والقيم. والأكثر من هذا عملت هذه المناهج على مصادرة المعطى الديني في النص القرآني.

ومن تجليات الخطورة التي تحملها هذه المناهج في تعاملها مع القرآن الكريم. اقتصارها في هذا التعامل على ما هو لغوي في القرآن الكريم وتجريد القرآن الكريم عن رسالته العقائدية والدينية التي اختص بها.

ومن شأن هذا التجريد والإقصاء أن يعطل كثيرا من عناصر القوة والفعالية التي يتميز بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب. فهو رسالة لسانية وعقائدية في آن واحد.

'من هنا كان من اللازم والضروري على المتعامل مع النص القرآني أن يضع المعنى الديني في الاعتبار. وعدم الاقتصار على ما هو لغوي في النص القرآني'⁽⁹⁶⁾. لأن النص القرآني ليس مجرد ألفاظ لغوية. وإنما هو دلالات ومفاهيم تمثل إرادة المشرع في كل نص ومقصده من التشريع'⁽⁹⁷⁾.

لهذا فإن المنهج التأويلي يعمل على إخضاع النص الديني بقوة لتصورات القارئ القبلية تحقيقاً لرغبات هذا القارئ الذاتية من أجل تطويع النص لهذه الرغبات وإفراغه من حمولته الدلالية الأصلية وشحنه بدلالات وقيم هي من خارج النص. تكون هذه القيم في غالب الأحيان خادمة لتصورات ورؤى القارئ. كل هذا من أجل تحقيق الاتساق والانسجام بين النصوص المتعارضة في الصياغة والمتضاربة في المعنى. 'علما أن هذه المناهج المعاصرة في التأويل والقراءة من شعاراتها عدم الرضوخ لأية سلطة غير سلطة القارئ'⁽⁹⁸⁾.

ومن ثم فإن هذه المشاريع هي تفاسير مذهبية لأن المنطلق فيها هو تفسير القرآن الكريم بمقتضى ما يريده المفسر ويقصده لا بما تدل عليه دلالة القرآن الكريم، لأن المفسر يتحيز في التفسير لأفكاره واختياراته فيعطئها الأسبقية والأولوية.

وهذا المعطى يكشف عن " عدم حيادية هذه المناهج أو استقلاليتها مما يجعل استعمالها وتطبيقها محفوفاً بكثير من المزالق والمخاطر خاصة إذا علمنا أن موضوع

⁹⁶ - دراسة الطبري للمعنى: 39.

⁹⁷ - المناهج الأصولية لفتحى الدريني: 22.

⁹⁸ - محمد عائد الجابري في موضوع نقد النص الديني في الثقافة الغربية : مجلة فكر : عددها التاسع ،ص77،1999

التطبيق و أجراء هذه المناهج هو القرآن الكريم الذي يتميز بكثير من الخصائص و المميزات⁽⁹⁹⁾.

كما أن المناهج لها ارتباط وثيق بالإشكال الحضاري الذي عاشه الغرب في تعامله مع كتبه الدينية المقدسة. فلقد واجه فلاسفة أوروبا التنويريين في القرنين السابع عشر والثامن عشر مشكل التحريف الذي حملته هذه الكتب في مضامينها وقيمها.

ومن بين تجليات وأشكال هذه المجاوزة دعوتهم إلى تجاوز ما تحمله هذه الكتب من قيم ومبادئ وأفكار وعدم الرضوخ لمبادئها عن طريق إطلاق الحرية الكاملة للقارئ في تأويل هذه النصوص.

بل الأكثر من هذا أن السند الذي استند إليه أصحاب هذه القراءات الحداثية أن في مجال نقد النص تستوي النصوص وتتماثل بصرف النظر عن جنسها أو نوعها أو مصدرها. فالنصوص التي تستمد مرجعيتها من الوحي تتماثل مع النصوص التي ينتجها البشر. لأن كل النصوص تستمد مرجعيتها من الثقافة التي تنتمي إليها، وهذا ما يلغي الافتراق والاختلاف و يحقق التماثل والتجانس بين جميع النصوص من حيث المقاربة المنهجية. فالنصوص دينية كانت أم بشرية محكومة بقوانين ثابتة والمصدر الإلهي لا يخرج عن هذه القوانين لأنها تأنست منذ تجسدت في التاريخ واللغة فالنصوص ثابتة في المنطوق متحركة ومتغيرة في المفهوم⁽¹⁰⁰⁾.

⁹⁹. المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله لعبد الرحمن الحاج، مجلة رسالة المسجد، ع 1، 2003.
¹⁰⁰. نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبو زيد 118

فأغلب الذين يناصرون هذا الاتجاه ينطلقون من أن الخطاب القرآني شأنه شأن أي خطاب ديني فهو نتاج معرفي وإنساني" يخضع للشروط النقدية التي تخضع لها كل النتاجات المعرفية الأخرى أي خطابات البشر التي تحكمها السياقات التاريخية والثقافية..."⁽¹⁰¹⁾.

ومن المؤثرات التي ساهمت في هذا الإشكال التأويلي ظاهرة الاستشراق الذي كان لها الأثر الأكبر في ظهور هذا الاتجاه. بحيث يجب ألا يغيب على البال أن الدراسات الاستشراقية ساهمت بشكل أكبر في ظهور هذا النوع من القراءات والتي كانت تروم الوصول إلى بشرية النص القرآني ورفع القداسة عن هذا النص. ف"الاتجاه التأويلي في نقد الكتاب المقدس تأثر بحركة الاستشراق في دعواها القائلة ببشرية النص القرآني ومن رموز هذا التوجه المستشرقان: نولدكه وبلشير الذين عملوا في مؤلفاتهم على تحقيق هذا الهدف..."⁽¹⁰²⁾

وعلى الرغم من اختلاف مناهج المستشرقين في التعامل مع القرآن الكريم فإن المسعى المشترك الذي يجمعهم هو سعيهم نحو رفع مصدرية القرآن . والتعامل معه من حيث هو" نتاج بشري خاضع لعاملي الزمان والمكان وليس هو وحي و خطاب رباني جاء للهداية البشرية"⁽¹⁰³⁾.

¹⁰¹ - الاستلاب والارتداد لعلي حرب : 94

¹⁰² - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره لإبراهيم رضوان . دار طيبة: 1994، ص 112

¹⁰³ - المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية لعلي بن إبراهيم النملة، ط: 1، بيروت: 2010، ص 57

بل من المستشرقين من اخضع النص القرآني للمنهج التاريخي باعتباره نصا جاء استجابة لظرف تاريخي معين. لأن "منهج يسجن النص الديني بشكل خاص داخل الحقبة التاريخية بذاتها التي ظهر فيها دون أن يتعداها بسلطته التشريعية إلى ما بعده من الحقبة التاريخية..".⁽¹⁰⁴⁾

إن المنهج الجديد ينتهي حيث يبدأ المنهج القديم. فالمنهج القديم يسلم بأن القرآن إفتراء ثم يبدأ يبحث عن حجج ليثبت هذه المسلمة عن طريق البحث عن التأثيرات و الاقتباسات. أما الجديد فإنه ينتهي عند مسلمة الأول إما تصريحاً أو تلميحاً. إنها نتيجة ضرورية، وعليه أرى أن النظرة الجديدة المزعومة خدعة كبرى بل إن الجهة التي أنشأت هذا التوجه فهمت القرآن جيداً وتعلمت منه أن النفاق أفضل من الكفر في هدم النخبة الإسلامية من الداخل.

على الرغم من كثرة المحاولات في بناء تأويلية جديدة للنص الديني، لا يزال هذا المنحى ضعيفاً في الدراسات الإسلامية المعاصرة، سواء تلك التي عنيت بالمستوى المنهجي الاصطلاحي أو التي تناولت النص نفسه وبصفة أخص النص المرجعي الأساس أي القرآن الكريم.

¹⁰⁴ - النص الديني بين التاريخية لمحمد عمار، دار النهضة 2007، ص34

سلكت المحاولات التأويلية المذكورة في الغالب مسلكين:

أولهما: النقدية التاريخية للنص من حيث مسار جمعه وتقنيته، وهو اتجاه فيلولوجي معروف في الأعمال الاستشراقية.

وثانيهما: التفسير الموضوعي باستكشاف الأفق الدلالي للنص في مراميّه ومقاصده وقيمه الموجهة بدل الاكتفاء بالوقوف على دلالة الألفاظ وأسباب النزول التي تحيل إلى السياق الظرفي للنص.

فالتقاليد التأويلية في الغرب خرجت إجمالاً من هرمونوطيقا النص الديني في بعديها النقدي التاريخي الذي استوجبه العمل على المدونة المقدسة من حيث الصحة والمرجعية، والوجودي الذي اقتضاه الخروج من ضيق اللفظ إلى العالم الرمزي الأوسع الذي يندرج فيه.

وهكذا يتضح أن التأويلية الغربية تتأرجح بين بعدي الانتماء والمسافة، التقليد والقطيعة، الاعتقاد والانتقاد، الفهم والتفسير. وكل هذه الأبعاد والمسالك مستمدة في جذورها من الخلفيات التأويلية اللاهوتية المسيحية من حيث الإشكال الذي طرحته في أفق الحداثة مسألة العلاقة بين الذات المعترفة؛ الاعتراف كصلب للاعتقاد والسلوك الديني، والذات العارفة أي الواعية التي تتحكم في مساراتها النظرية والعملية من خلال أفكارها الذاتية. ومن البديهي أن هذا العمل التأويلي لم يواز جهده مماثل في الفكر الإسلامي المعاصر

يستكشف الآفاق الرحبة التي يزخر بها التقليد التأويلي في الإسلام الوسيط الذي يشكل محور العلوم الإسلامية كلها من علوم قرآن وأصول دين وفقه وعلوم بلاغة ولغة.

نكتفي بالقول إن المنظور التأويلي في التقليد الإسلامي الوسيط تأرجح بين نمطين من التأويلية، تأويلية العبارة وتأويلية الإشارة، اللذان يحيلان إلى تصورين متمايزين للدلالة والمعنى وعلاقة النص بالوجود والذات. فالنظر إلى دلالة اللغة من منظور أنطولوجيا الظهور والتجلي، من حيث هي إشارات لوجود متسع لا ينحصر في تصورات العقل الذاتي أو حدود المنطق، ومن ثم تجاوز ثنائية اللفظ والمعنى، وتأكيد أهمية الحرف والبدال اللفظي الذي لا يحيط به معنى ولا ينحصر في وظيفة إجلاء المضمون القائم في النفس.

أما النظر إليها من حيث أن الأصل في اللغة هو المجاز الذي هو السمة الغالبة على اللغة الطبيعية أين يتداخل الخيال بالواقع وأحكام الوجود بأحكام القيمة، في حين أن العبارة هي استدلال اصطناعي قائم على إجراءات اختزالية وتميضية تفرغ الوجود من ثرائه وزخمه القيمي والجمالي.

خاتمة

إن مسؤولية الإستشراق في تشكيل تصورات الغرب للإسلام ورسم سياساته في البلاد الإسلامية واضحة جلية والأخطر من ذلك أنه يوجه الرأي العام الشعبي الغربي ضد الإسلام الذي جاء للناس كافة وضد القرآن الكريم الذي حمل الرحمة والهداية للعالمين ويتضح أن هذه الرؤية مهدت المسبيل أمام صموئيل هنتنجتون (صاحب نظرية صراع الحضارات) ليطرح نظريته التي أبقى فيها على الإسلام كطرف في الصدام مع الغرب، وهذا الأمر طبيعي ما دام الإستشراق احتفظ بالإسلام كعدو ثابت على مر الزمان .

إلا أنه من باب الإنصاف، نؤكد على ضرورة التفريق بين المستشرقين وعدم التعميم في النظرة إليهم . فالإستشراق في رأيهم ليس شراً كله على الإسلام والمسلمين وصحيح أن هناك الكثير من الأخطاء في ترجمات معاني القرآن الكريم التي أعدها نفر من المستشرقين إلا أن يجب أن يفرق بين الأخطاء المتعمدة والأخطاء غير المتعمدة فالذين يخطئون بصورة عفوية - يكون ذلك دائما نتيجة عدم إلمامهم باللغة العربية، التي هي لغة القرآن الكريم - ونتيجة أيضا لعدم فهمهم لمعاني الآيات القرآنية الكريمة.

ويوجد بين المستشرقين كثير من المنصفين الذين يردون على ادعاءات المستشرقين الخاطئين حتى إن بعضهم اهتدى بعد دراسات القرآن وأبحاثه إلى اعتناق الإسلام منهم روجيه جارودي، موريس بوكاي ، مراد هوفمان ، فضلا عن هؤلاء المستشرقين الذين

اهتدوا إلى الإسلام ثمة طائفة أخرى تميزت بأبحاثها بالمنهج العلمي والموضوعية دون أن تعلن إسلامها مثل جون إسبوزيتو، توماس كارلايل ، زيجريد هونكه للدفاع عن الإسلام والقرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم ضد افتراءات المستشرقين حتى سمت أحد كتبها : (دفاع عن الإسلام) وقد كتبت مؤكدة علو شأن القرآن ومفندة الطرح الاستشراقي الزاعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن. لقد أثبت موريس بوكاي بمنهج علمي مصداقية القرآن . وأسقط ادعاءات المستشرقين

لكن أغلب المستشرقين رغم ادعائهم الحياد والنزاهة العلمية يتبعون كل المناهج ويسلكون كل المسالك التي تخدم مآربهم وتحقق أهدافهم وهم كعادتهم يحددون عن كل المقاييس وينحازون عن كل المناهج العلمية والمحايدة حين يبحثون فيما يتعلق بالإسلام وعلومه وهكذا عند ترجمتهم لمعاني القرآن الكريم يتبعون المنهج الذي يتسم بالقصور والخلل ومن معالم منهجهم:

-الخضوع للهوى والبعد عن التجرد العلمي.


-التفسير بالإسقاط.

-إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم.

-التحكم فيما يفرضونه أو يقبلونه من النصوص.

-تأويل معنى النص حيث لا يجدون مجالاً للتحريف.

- تصيد النصوص الملائمة والموافقة لهوام.
- الخلط بين ما هو مبرهن في المصادر وما تمليه تخيلات وتكهنات المستشرقين.
- اللجوء إلى الترجمة الحرفية للعبارات الاصطلاحية.
- إعطاء معنى واحد للكلمة في كل مكان بصرف النظر عن السياق والموضوع.
- نسبة المفردات العربية إلى جذور أجنبية قدر الاستطاعة.
- استخدام مصطلحات نصرانية في الترجمة قدر الإمكان.
- التحريف المباشر في المعنى .
- إساءة الترجمة باستخدام معان غير صحيحة للمفردات والعبارات.
- إعطاء معان خيالية وخاطئة نتيجة لعدم فهم اللغة العربية.
- إدخال عبارات تأويلية وتفسيرية في نص الترجمة.



الفصل الثاني

مقدمة

من طبيعة العقل الإنساني الاستفسار والتساؤل حول أية قضية أو موضوع يطرح عليه، لاسيما في مجال العقيدة والاعتقاد، وهذا أمر لا يرفضه الدين الإسلامي الحنيف ولا يضيق به بحال من الأحوال. بل إنه أجازته وربما حض العقل على ممارسته والإقدام عليه، إيمانا منه بأن الدين الحقيقي لا يقف ضد تطلعات العقل البشري الذي يسعى إلى الوعي بالدين وقضاياه الرئيسية والأساسية.

والحق أن هناك عدة قضايا يثيرها بعض الذين لم تنتح لهم الفرصة الكافية لدراسة هذا الدين دراسة متعمقة، خلافا لما فعلوه عند دراستهم للفلسفات والأفكار الغربية، أو الرؤى والتصورات المستوردة من الخارج. وغني عن البيان الإشارة إلى أننا لسنا ضد الاطلاع على ما عند الآخر من أفكار ورؤى وفلسفات، لأن في ذلك نوعا من أنواع التواصل الفكري والثقافي والمعرفي مع العقل الإنساني الذي احترمه الإسلام وأشاد به أينما كان وحيثما كان، غير أن عشاق الفكر الغربي ضروري أن يمنحوا عقلم الفرصة الكافية والوقت المستحق لدراسة الدين الإسلامي الحنيف وبذل الجهد في فهمه واستيعابه بنفس الدرجة والقدر الذي يعطونه لأنفسهم عند دراستهم للفلسفات الغربية أو الأفكار التي أنتجتها بيئات مغايرة لنا، لأن من لا يدرس الإسلام بتؤدة وروية تتوقف حصيلته المعرفية عن هذا الدين الحنيف وأسسه ومفاهيمه وقضاياه عند حدود ضيقة، وأطر معرفية غير كافية لإدراك وفهم طبيعته و قضاياها؛ فهما متعمقا ووسطيا.

من هنا نرى بعضهم يكتب أو يتحدث عن بعض القضايا في الإسلام على عجل، ومن دون مخزون معرفي مناسب لها ولعمقها الديني و التشريعي، ولا مانع عنده من أن يغمز هنا أو يلمز هناك؛ معتمدا على الرمزية في الطرح أو الأسلوب غير المباشر في التناول.

وتأتي قضية النظم القرآني نسقا و سياقًا في إجلاء المعنى ضمن تلك القضايا التي يثيرها بعضهم من دون دراية كاملة بها، أو إدراك سليم لحقيقتها. ويذهب هؤلاء النفر إلى ترديد التساؤلات والاستفسارات التي يطرحها جماعة من المستشرقين أو بعض المنقذين من بني جلدتنا ممن قرأوا شيئا في علوم القرآن على عجل، ومن دون روية أو درية على التعامل مع تراثنا وثقافتنا.

وليس ثمة غرابة في أن يتساءل العقل الإنساني المعاصر عن تناغم النسق و السياق في كتاب الله تعالى في نظم منظم متقن محكم يبقيه متفردا ببلاغته متحصنا ببنيته التي لا يهزها باطل؛ لأن هذه القضية شغلت قطاعا كبيرا من علماء الأمة السابقين، وسودت فيها الآلاف من الصفحات، الأمر الذي يكشف النقاب عن اهتمام أهل العلم قديما ببيان تلك المسألة في سبيل إيضاح مكنونها وإبراز جوهرها وحقيقتها. ونظرا لدقة القضية واستفراغ العديد من علماء أمتنا الجهد في دراستها، فقد تعددت فيها الآراء وتباينت فيها وجهات النظر، ما يؤكد أن أهل الاجتهاد من السابقين أعملوا عقولهم

وشحذوا همهم وقدحوا قرائحهم من أجل إزالة التباسها بإلقاء الضوء عليها، وتجلية الغامض فيها.

ولما كانت بعض الفعاليات المعاصرة تثير مثل تلك التساؤلات فإن واجب المفكر المسلم في العصر الحديث أن يتتبع ما عندهم بالنقد والتحليل ليشفى الغليل المعرفي لمن استوقفته هذه الأقوال وشغلته تلك الأطروحات.

نظام النظم القرآني

1- القرآن من حيث النص والخطاب:

القرآن الكريم ليس قراطيسا من النصوص، يستقل بحفظها فريق من الناس ويجعلها الأكثرون، بل هو خطاب مفتوح مستوعب حي، حيوية من شأنها أن تجعل السامع المنصت يقف موقف الحيرة والانبهار تمتلكه مشاعر الخشوع والامتثال .

فالقرآن الكريم ليس تجميعا لنصوص محفوظة، وإنما هو 'جمع آيات التحمت عبر لحظات متدافعة في مواقع متجددة وبأغراض توجيهية معلومة سواء كان هذا التوجيه بالإعمال أو الإبطال، بالدعم والتثبيت أو بالتقويم والتصويب. وإذا ما انقضت المناسبات والملابسات بقيت هذه الآيات لا بمثابة الذكرى التي تسجل واقعة انقضت، وليست كمحفظة تاريخية أو بيان توثيقي، وإنما بقيت هذه الآيات تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف إنساني اجتماعيا أو تاريخيا، يحتوي على عناصر الموقف الأساسي الذي كان سببا في النزول. ولأن المواقف التي تتخلل حياة الأفراد والجماعات والأمم لا تخلو من عناصر تلازمها ملازمة الفطرة للإنسان، فلا عجب أن ظل البيان القرآني ينبض حيوية وتفصيلا بوصفه تنزيلا من لدن عليم خبير، خالق الإنسان معلمه البيان، مدبر ومهيء الأسباب" (105).

¹⁰⁵ نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، منى عبد المنعم أبو الفضل. مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط.1، 1417هـ/1996م. ص21-22.

فنحن حين نرجع إلى القرآن الكريم، لا يجب أن نرجع إليه بصفة المراجعة للنصوص ولكن من قبل التدبر في آياته البيّنات، وعلى خلاف النص الذي يتجمد في قلبه فإن الآيات حية أبداً، سياقها القراءة المستمرة المتجددة لتكون موضعاً لتدبر أولي السمع والبصر وأولي القلوب والأبصار.

وبينما النصوص هي موضع للنظر العقلي المجرد تستوعبها الأبصار، فإن الآيات القرآنية تحمل من البصائر ما تستهدف به البصيرة.. لتنفذ إلى القلوب التي في الصدور، فتجعلها قلوباً مبصرة، مندبرة متفكرة، متعلقة، متفهمة. فالنصوص مجردة بخلاف الآيات، فوجب بذلك التعامل مع القرآن الكريم باعتباره آيات وبصائر وعلامات، وليس نصوصاً وإن كانت الآيات مجموعة في كتاب.

فالخطاب القرآني ليس نصوصاً محدودة ومتناهية على مستوى المعاني وتفرعاتها، وإن كانت نصوصاً محدودة ومتناهية على مستوى اللفظ. فالخطاب القرآني يتميز بالإطلاقية التي تجعل الإحاطة به مطلقاً أمراً مستحيلًا في أي زمان أو مكان بل هو يعطي لكل زمان ومكان ما لم يعطه لما قبله. بخلاف النص البشري فهو محدود المعنى محدود اللفظ.

2- نسق القرآن الكريم:

لقد أنزل القرآن الكريم على نظام مرثل متسق، يشد بعضه بعضا كما تشتد الحجرات في البنيان، ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو و الاعتراض، أو ما يقال فيه إنه تغوث واستراحة كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء، بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذي تمكنت به مفردات النظام الشمسي وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها و سدادها، لم يتهيا ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة⁽¹⁰⁶⁾. فكل حرف وكل كلمة في القرآن وضع لتأدية غرض ما في ترابط وتشابك عجيبيين، وليس فيه حرف و لا كلمة زائدين كما ذهب إلى ذلك أغلب شراح النص القرآني.

فليس للأمة من سبيل لإدراك حقيقة القرآن والاهتداء به نحو التي هي أقوم، إلا إذا تجاوزت النظرة الجزئية إلى كتاب ربها واستوعبت آياته في إطار السور، ونجومه في إطار الأجزاء، وكذلك لن يتحقق لها المقدره على التعامل مع كليات الكتاب الحكيم، ما

¹⁰⁶ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، 1410هـ/1990م، ص 224-225.

لم تستطع تجاوز المبنى إلى المعنى، وعندها يعود القرآن الكريم إلى موقعه الذي قدر له في حياة الأمة كمرشد ودليل وفرقان وبيان للهدى والحق.

وجب استيعاب النسق القرآني جملة، وليس فقط الوقوف على الجزئيات فيما عساها أن تحمل من محتوى معنوي، فهناك علاقات لا يمكن أن تكتشف إلا من خلال المعنى الكلي من خلال أنماط التجاور والتقابل وعبر الانتقال من مواضع إلى أخرى، أو من خلال متابعة إيقاعات الخطاب في حركاته. فبقدر استيعاب النظرة الكلية وبقدر التمكن من جوهر الوحدة التي ينطوي عليها النظم القرآني، في معناه ومقصده وليس فقط في شكله و بنيانه، بقدر ما يأتي الفهم للقرآن وافياً شاملاً، يحمل دلالات توجيهية عملية بالنسبة للمخاطبين.

يقول الدكتور عبد الله دراز الذي أبصر بنائية القرآن الكريم بنظرة ثاقبة فريدة: "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً؛ فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل فصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول: فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة: لا تحس بشيء من تتاكر الأوضاع في التقسيم والتتسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين أحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام.

كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً.

ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظامان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كئيب، كما يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي مجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية⁽¹⁰⁷⁾. فما قيل عن السورة الواحدة يقال عن القرآن الكريم جملة. و"هذه الوحدة العضوية في القرآن المجيد، والتي تشكل أحد أهم وجوه الإعجاز فيه، تفتح المجال أمام القراءة المنهجية للآيات/البصائر صعوداً نحو مآلات معرفية لا حصر لها"⁽¹⁰⁸⁾. "إن القرآن المجيد في اتساق وحدته البنائية يحقق للبشرية وحدة معرفية تلمم شتات الإنسان المعرفي، وتوحد بين زوايا إدراكه، بما يشبه إكسابه جهاز

¹⁰⁷ د. عبد الله دراز، ص 115.

¹⁰⁸ مفهوم الترتيل في القرآن الكريم النظرية والمنهج، د. أحمد عيادي. رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 1422-1423هـ/2001-2002م، جامعة القامضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش. ص 43-44.

تتسيق معرفي يمكنه من الخروج من التفرع الإدراكي ومرحلة الشركاء المتشاكسين إلى صيرورته سلماً لله رب العالمين. فيطلق في السير سوياً على صراط مستقيم" (109).

3- لسان القرآن وألفاظه.

3.1- عربية القرآن:

أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، متوجهاً إلى الإنسان وأمرأ إياه بأن يقرأ ويفقهه عن ربه، فلفهم الخطاب القرآني وفقهه وجب فهم لسانه و فقهه، فاللغة العربية هي المدخل الرئيس لفهم الخطاب القرآني. ولهذا السبب ظن البعض أن القرآن خاص بقوم العرب دون غيرهم، لأنه نزل بلغتهم ولا سبيل إليه إلا من جهة لغتهم، ونسوا بأن القرآن الكريم فوق لغة العرب، يقول د. مصطفى الرافي: "ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإن أحداً من البلغاء لا تمتنع عليه فصح هذه العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها و معانيها، لأنها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فتترف به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة" (110).

¹⁰⁹ - نفسه، ص 52.

¹¹⁰ - إعجاز القرآن، ص 226.

لقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز بعضه و كله معاً، فكان "أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض. وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكارها، وأجراها على بواطن أسرارها. فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحول التراكيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهرها لا يقضي العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أو صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها"⁽¹¹¹⁾.

فلسان القرآن الكريم يتفرد عن لسان العرب، فهو إن كان يتصل به من جهة الألفاظ فهو ينفصل عنه من جهة الأغراض. وعلاقة لغة العرب بلغة القرآن هي علاقة النسبي بالمطلق، فلغة القرآن الكريم لغة مطلقة شاملة ومستوعبة للعرب وغيرهم، وليس بحثنا عن أوجه تداخل اللغات مع اللغة العربية، ولكن حسبنا معرفة كيف يستعان باللغة العربية على فهم ألفاظ القرآن ومعانيه.

¹¹¹ - نفسه، ص 74.

3.2- ألفاظ القرآن الكريم:

اللغة ألفاظ، وهذه الألفاظ ينظر إليها من حيث هي أبنية صوتية مادتها الحروف وصورتها الحركات و السكنات، ومن حيث هي ألفاظ ذات معان و دلالات، وهذا النظر أهم من الأول، فالألفاظ تكتسب أهميتها من حيث تصويرها للمعاني والدلالات ونقلها من المتكلم إلى المخاطب بها، لا من حيث أجراسها وأنغامها.

يقول الراغب الأصفهاني: "أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه. وليس ذلك نافعا في علوم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فالألفاظ القرآن هي لب كلام العرب و زبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكاماء في أحكامهم و حكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالفشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة و كالحنثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"⁽¹¹²⁾.

إن الاستخدام الإلهي للمفردة اللغوية يرتقي بدلالاتها إلى مستوى المصطلح المحكم الدقيق، خلافا للكسب البلاغي البشري عامة. إن الفرق بين كلام الله وكلام البشر أكبر

¹¹² - المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني 1422هـ/2001م، ص 10.

من الفرق بين الإنسان والتماثيل الطينية. إن استخدام القرآن للمفردة اللغوية يعطيها الطابع المرجعي الذي يحكم دلالاتها حيثما وجدت في القرآن، فإذا تم التعرف على دلالة مفردة لغوية قرآنية بالآليات المنهجية المناسبة... فإنه يتم الانفصال بالدلالة الحاكمة التي تفهم اللفظة بحسبها في القرآن كله"⁽¹¹³⁾.

فألفاظ القرآن الكريم هي المفتاح لفقده و فهمه، وبفهمها وفقهها يفهم ويضبط الدين، فالوحي نسق وبناء مفهومي مركب من مجموعة من المفاهيم التي تتولد عن ألفاظه. ولا سبيل إلى فقه النسق أو المفاهيم المكونة للقرآن، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم، فهي 'مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا و سنة، وهي المدخل المصطلحي المقطوع بأنه من الوحي، واختيارها من الله جل وعلا، واستعمال السنة لها تابع لاستعمال القرآن ، فدراستها في القرآن والسنة تفضي إلى العلم بمفاهيمها المفردة، وأنساقها المركبة"⁽¹¹⁴⁾.

فدراسة ألفاظ القرآن الكريم تكون في القرآن الكريم، وما تتبع ألفاظه في لسان العرب إلا مرحلة أولية من مراحل الدراسة لمعرفة التطور الحاصل على اللفظ في لسان العرب ثم التطور الذي أحدثه القرآن على اللفظ، وبهذا يكون تتبع ألفاظ القرآن في لسان العرب ليس هدفا في ذاته وإنما هو وسيلة معينة على الفهم، على عكس ما هو حاصل في علوم اللغة العربية، فبعدما كانت وسيلة يستعان بها على إيضاح معاني القرآن، أصبح

¹¹³ - الترتيل في القرآن المجيد: دراسة في المفهوم والمستويات. د. أحمد عبادي. مجلة رسالة القرآن، 2005م، ص 82.
¹¹⁴ . القرآن الكريم والدراسة المصطلحية. د. الشاهد البوشيخي. ص: 4.

القرآن وسيلة على إيضاها، ولأن من مهام القرآن تقديم شواهد لتوضيح القواعد النحوية والبلاغية وغيرها من علوم اللغة.

إن القرآن يتعالى عن تقنين المعرفة به، ووضع قوالب وقواعد لفهمه من خارجه، وإن بدا أن هذا الخارج هو المحيط اللغوي " المشترك "، إذ لغة القرآن أسمى وأكبر من قواعد اللغة، ناهيك عن ضوابط المناهج المعرفية البشرية، فاللغة العربية وقواعدها بإزاء القرآن المجيد ولغته، لا تعدو كونها تحديدات نسبية إيجابية لا غرو تقرب من القرآن، ولكن لا تقننه، لأن القرآن العظيم مطلق، والمطلق لا يقنن من خارجه. فلا يصح أن يقال عن القرآن (نيابة عنه)، فالقرآن يقول عن كل شيء بما في ذلك اللغة. وعلى اللغة التفهم بالرد إليه وليس إلى ذاتها، على ما يسوء وينوء. إذ تحديد معاني ألفاظ القرآن من خارجه دون الرد إليه عن طريق الترتيل، ثم فرض تلك التحديدات عليه حجب للقرآن وليس بيان له.

وذلك أن الألفاظ في القرآن مترابطة ترابطا عضويا بعلم الله و إحاطته، ترابطا يجعلها تتد عن الزمان والمكان فتصبح غير نهائية المعاني التي يمكن أن تتدهق منها. فألفاظ القرآن رغم عربيتها ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج ﴾ ورغم كون اللغة العربية درجا أساسيا لفهمها، لا تكفي العربية وحدها لتحديد معانيها. فاللغة القرآنية مندمجة اندماجا كليا بالرؤية الشمولية للحياة و الأحياء، وللمصدر والمأل، التي يستدرجها بين آياته.

إن القرآن المجيد، بما أنه وحي أوحى به من عند الله، أكبر من الواقع العيني المشخص الذي ينتزل عليه، فلا يكون - بالتبع - فهمه إلا في ضوء ما تكرم الموحى به سبحانه بإيداعه فيه من ضوابط فهمه، ومداخل المعرفة به. ومن هنا، ضرورة الترتيل على المستوى اللفظي لتحقيق الألفاظ، في ضوء الاستبعاد الكلي لاحتمال وجود ترادف بالمعنى الشائع للترادف⁽¹¹⁵⁾.

فالألفاظ القرآنية لا بد من تتبعها قصد تحقيقها وبيان مدلولاتها ومفاهيمها من داخل القرآن نفسه حتى لا تحمل من خارج القرآن ما لم ينزل به الله من سلطان. وذلك أن الألفاظ القرآنية مترابطة بينها ولا يمكن فهمها إلا برد بعضها إلى بعض وقراءة بعضها في ضوء وإثر بعض.

وهذا الترابط هو ما يعبر عنه بالنظم/النسق أو الوحدة البنائية أو الترتيل، يقول د. أحمد عبادي: "إن من لم يدرك بنائية القرآن ووحدة ألفاظه العضوية، يمكن أن يقع في تعضية وتمزيق خطيرين بإدخاله فيه من خارجه مدلولات ألفاظ لا تمت (أي المدلولات) إليه بصلة، مما من شأنه أن يحول دون الاستهداء به نحو التي هي أقوم. إن الترتيل وحده هو الذي يمكن من ربط المفردات ببعضها، ومن اختبار ما فهمناه منها بفننته على نور الآيات، عن طريق المسير في القرآن وفي الآفاق"⁽¹¹⁶⁾.

¹¹⁵ - الترتيل في القرآن المجيد، مرجع سابق، ص: 67.
¹¹⁶ - مفهوم الترتيل، ص 68.

إن القرآن الكريم أنزل على نظام مرتل، شديد الاتساق والانتظام. ولا سبيل إلى فهم القرآن إلا بفهم النظام الذي أنزل عليه، وفهم ألفاظه وقضاياها في ظل هذا النظام. وليس يكشف عن هذا النظام غير الدراسة المصطلحية. إن للدراسة المصطلحية مستوى من مستويات الترتيل وهو المستوى اللفظي. نقول د. فريدة زمرد: "قد يكون من الغلو الزعم بأن جدوى الدراسة المصطلحية لا تظهر حقا إلا بإعمالها في مجال النص القرآني، ولكنها حقيقة يؤكدتها هذا النص الكريم الذي تميز -من بين ما تميز به- "بنسقية" مصطلحاته و"سياقية" نصوصه - واشتماله على (نظام مفهومي) متناسق الأطراف مترابط العرى متكامل الفصول، وليس يبين عن عرى هذا النظام سوى الدرس المصطلحي الذي يكشف ما يكتنف كل مصطلح ولفظ ومفهوم من دلالة، وما يعتريه من مميزات وصفات، وما يربطه من علاقات، وما ينشأ عنه من ضمامم وتركيبات، وما يتعلق به من قضايا و مستفادات"⁽¹¹⁷⁾.

إنه بضبط مفاهيم القرآن الكريم، تضبط تبعاً لذلك مفاهيم الدين، و"أمكن تكوين الميزان الذي به تقوم عطاءات واجتهادات العصور... ومتى تجدد فهم المفاهيم فقد تعبد الطريق لتجديد أمر الدين لمريديه"⁽¹¹⁸⁾.

إن معين القرآن الكريم لا ينقضي، ومعانيه لا تنتهي، وكلماته لا تنتقد، فترى للآية الواحدة أو الكلمة "وجوها عدة، كلها صحيح أو محتملة الصحة، كأنما هي فص من

¹¹⁷ - مفهوم التأويل في القرآن والحديث الشريف، معهد الدراسات المصطلحية كلية الآداب -فاس، ط 1 أكتوبر 2001، ص 78.
¹¹⁸ - نحو منهج لدراسة الألفاظ القرآنية، د. الشاهد البوشيخي، كلية الآداب بأكادير. نقلا عن أحمد عبادي، ص 68.

الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع. ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت. وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له، بل ترى محيطا مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال.

ألم تر كيف وسع الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها في الأصول والفروع؟ وكيف وسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها في القديم والحديث؟ وهو على لينة للعقول و الأفهام صلب متين. لا يتناقض ولا يتبدل. يحتج به كل فريق لرأيه، ويدعيه لنفسه، وهو في سموه فوق الجميع يطل على معاركهم حوله، وكأن لسان حاله يقول لهؤلاء وهؤلاء: ﴿ كل يعمل على شاكلته فريكم أعلم بمن هو أهدى ميلا ﴾ (الإسراء 84) ⁽¹¹⁹⁾.

ففهم ألفاظ القرآن الكريم و معانيه، غير متوقف على زمان أو مكان أو إنسان، بل هو فهم مستمر ويتجدد بتجدد القراءة و استمرارها، ويتوالي الأجيال والأزمان، فهو القائل فيه عز وجل: ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ﴾ (الكهف 109)، وقوله عز وجل: ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ (لقمان 27). فلا يدعي الإحاطة بمفاهيم ومعاني القرآن وحصرها إلا جاهل! بل هي تتجدد بتجدد الأزمان والأجيال ¹²⁰.

¹¹⁹ - النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، محمد دراز ، دار القلم للنشر والتوزيع ، 2005 ، ص 117-118.

¹²⁰ - نفسه ص 120

فالقرآن كتاب مكنون تتكشف معانيه عبر العصور والأمكنة لذوي القلوب الطاهرة
المطمئنة بالإيمان.

فالقرآن مصدره الله جل جلاله، ومقصده الإنسان أيا كان وحيثما كان، وهو لا يمكن أيا
كان من الفهم والبيان حتى يؤمن به كامل الإيمان وتكتسي نفسه منه بجميل الخلق
والإحسان.

و دراسة القرآن نظما يسهل طريق تيقن المشككين و المرتابين في قدسية القرآن، و أنه
لا ريب من عند الله.

4- تجلي الدلالة القرآنية من خلال السياق

4.1- أهمية السياق¹²¹:

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ومن قديم
أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا
عبارتهم الموجزة الدالة " لكل مقام مقال ". فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق
بطريقة ما¹²² ولذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما
أراده من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

¹²¹ أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى. الدكتور: محمد سالم صالح.
كلية المعلمين، جدة. جامعة الملك عبد العزيز، 2009
¹²² النحو والدلالة الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ط 1 القاهرة سنة 1403 هـ 1983 م.

كما أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه،" وربما اتحد المدلول واختلف المعنى طبقا للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقا لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه¹²³.

وأشار الدكتور أحمد نصيف الجنابي إلى أهمية السياق في التفريق بين معاني "المشترك اللفظي"، و"أن التحديد الدقيق لدلالة هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق"¹²⁴. ولقد تعرض سيوييه إلى هذه القضية في أول كتابه تحت عنوان "هذا باب اللفظ للمعاني"، فيقول "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. " فاختلف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير"¹²⁵.

"فاختلف اللفظين لاختلاف المعنيين هو المختلف، ومثل له بجلس وذهب، (اختلاف اللفظين والمعنى واحد) هو المترادف، ومثل له بذهب وانطلق، و اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين هو المشترك اللفظي، ومثل له بوجود من الموجدة أو من وجدان

¹²³التحر والدلالة 33، 36

¹²⁴ ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة للدكتور أحمد نصيف الجنابي، ص 400 - 401، مجلة المجمع العلمي، 1984،

¹²⁵الكتاب 24/1.

الضالة. وهكذا أشار سيبيويه إلى ظاهرة المختلف والمترادف والمشارك اللفظي، مما لا يدع مجالاً للشك بين اللغويين العرب حول وجود هذه الظواهر في اللغة العربية¹²⁶.

ويستفاد من ذلك أيضاً أنه "إذا تعدد معنى الكلمة، تعددت بالتالي احتمالات القصد منها. وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعنى. ويقوم السياق ووضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها ويصرف ما يدعى من التباس أو إبهام أو غموض في الدلالة بسبب هذه الظواهر"¹²⁷.

وحول تحديد السياق لدلالة هذه الظواهر، يقول فنديس: "الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياس هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها"¹²⁸.

كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدرس الدلالي في فوائد منها: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، ورد المفهوم الخاطي.. وغيرها"¹²⁹.

¹²⁶ علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب ط3 سنة 1993م. 215

¹²⁷ ظاهرة المشارك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة 361، 398.

¹²⁸ اللغة، ترجمة الدواخلي والفصاح، فنديس ص231 مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1950م.

¹²⁹ (سياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية. 2002، ص50)

4.2- السياق¹³⁰:

للسياق أهمية في القراءة التأويلية، فأى نص يواجهه المؤول لا يواجهه معزولا عن سياقه، أو معزولا عن سواه من النصوص، فلا يمكن ان يتشكل الخطاب من دون وحدات عدة تعمل في شكل سلسلة مترابطة ترسم التشكيل الدلالي للنص، فالمتلقي يحاول إدراك تماسك النص بأداة ربط نسيج الخطاب وهذا يعطي ضمانا لفهم معنى النص، وقد ميز احد الباحثين بين ثلاثة أنواع من السياق: السياق المقامي والسياق النصي والسياق الثقافي. وقد استوعب علماء البلاغة العربية قديما وحديثا هذه السياقات ففي قولهم أن لكل مقام مقال و لكل كلمة مع صاحبيتها مقام. المقام يدل على ظروف القول كما يدل على علاقات القول، وفي النص البديعي لا غنى عن أي نوع من هذه الأنواع في ترسيم جمالياته. فقد اتهم البديع بلفظيته، واتهمت البلاغة العربية بشكل عام بحركيتها ضمن نطاق الشاهد بمعزل عن سياق النص. حيث "لا يمكننا التعامل مع الدلالة المعجمية للكلمة بمفردها بل يشارك السياق في وضع ملامحها، لان السياق يحمل حقائق إضافية تشارك هذه الدلالة الخاصة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها المبدع، فالكلمة المفردة تصبح بتزامنها مع غيرها داخل النص عالما من العلاقات الصورية المتشابهة، ففنون البديع جزء فاعل في النص يأخذ من الكل ويعطيه،

¹³⁰البديع والتأويل؛ قراءة بلاغية. الدكتور: أسماء سعود الخطاب. مجلة حروف. مؤسسة السياب - لندن. 2010.

والوصول إلى المعنى فيه بصورته الشاملة يقتضي الاهتمام بهذه السياقات فالخطاب
البيديعي بوصفه تشكيلا ينتظم داخل نظامين¹³¹.

الأول: لساني

الثاني: دلالي . تواصلية

'فالنظام اللساني يتجلى بتلك المتواليات اللفظية، التي قد تشكل مجموعة من الدوال في
حين يتمثل النظام الثاني في مجموعة المدلولات التي تحمل جانب المعنى ويعمل
النظامان جنبا إلى جنب لتكوين العلامة، لارتباط وجهي المعنى (الدال والمدلول) وبهذا
يتحدد الشكل البلاغي بوجود ذلك المعنى الذي يتحدد بوجود العلامات البديلة المحتملة
وبروز خواصها¹³² و تأتي أهمية هذا الشكل البلاغي بوصفه "عنصرا مهما و أساسا
في عملية التفاعل مع الدوال اللغوية المختلفة داخل النص، لأنها تنتج في النهاية نصا
متماسكا تستغل فيه الوحدات اللغوية لتؤدي وظيفتها التواصلية"¹³³.

5- التأويل في علم البديع:

5.1- أسلوب الحكيم: وهو أن " تحدث المتلقي بغير ما يتوقع وهو ضربان¹³⁴:

¹³¹ نقد النقد، مدخل استمولوجي، محمد الدغمومي / 51 .

¹³² بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل / 176

¹³³ التشكيل البلاغي وأثره في بناء النص، ماجد الجعافرة / 7

¹³⁴ البلاغة العربية فنونها وأفانها، حسن فضل: 289/2.

5.1.1 - تجاهل سؤال المتلقي فتجيبه عن سؤال آخر لم يسأله.

فالعلمية الخطابية في هذا الضرب قائمة على جدلية السؤال والجواب سؤال المتلقي وجواب النص و"عملية الجواب تخرج عن كونها مجرد عملية آلية يسيرة الى كونها عملية متشعبة يتطلب فيها الجواب عن السؤال بمعناه (الرد على السائل) الى رد ذي بعد مقامي تداولي أساسه التفاعل بين السائل والمجيب، أو يخرج الرد عن أن يكون افهام السائل ما يسأل عنه، وإنما الغرض يكون ذلك إلى جانب غرض آخر يختلف من مقام إلى آخر بوسائل تتجاوز دلالة الألفاظ وتوجد في مقتضاه أوفي المقام¹³⁵.

قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى، واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (البقرة 189).

فكل متلقي حين يشرع في قراءة النص فإنه ينتظر منه أن يرضي انتظاره أي ان ينسجم مع المعايير الجمالية التي تكون تصوره عن النص، فالسؤال في النص جاء عن ماهية الهلال وبيان السبب والعلة في تقلب أحواله كما جاء في أسباب النزول الذي أكد هذا المنحى في السؤال، بيد أن النص سعى إلى خرق المعايير المنطقية لهذا المتلقي مما يجعل عملية الجواب تدخل في صراع مع أفق انتظاره (قل هي مواقيت

¹³⁵التفسير البياني / 201 (أطروحة سابقة).

للناس...) (وليس البر أن تأتوا البيوت...) حيث شكل الجواب عدول عن تلقي المخاطب بغير ما يتوقعه، فهو خروج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف المسائلين إلى غير ما يتطلب تنبيها على أن ما صرف إليه هو المهم لهم (لأنهم في مبدأ تشريع جديد و المسؤول هو الرسول -صلى الله عليه و سلم- وكان المهم أن يسألوه عما ينفعهم في صلاح دنياهم و أخراهم وهو معرفة كون الأهله ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام و العده، ولذلك صرفهم عن بيان مسؤوليتهم إلى بيان فائدة أخرى¹³⁶. وقد ارتبط بهذه القضية قضية أخرى تبدو لأول وهلة أن لا ترابط بينها وبين الجزئية الأولى ولكن بأعمال التأمل ومن خلال مرجعية من خارج النص . وهي أن " الأنصار إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم إذا رجع احدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام الحجة لأنهم يعتقدون وهو اعتقاد جاهلي أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل وكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم".¹³⁷ " فالعلاقة بين الهلال و الأبواب أن كلاهما عنوان فالأول عنوان لأمر مهمة في عالم المخاطبين بعده قوام حياتهم ومنظم لأوقاتهم ومواسم عبادتهم... والثاني عنوان البيوت وهي متعلقة بتنظيم خروجهم ودخولهم"¹³⁸. و اللامتوقع هذا هو الذي ترك فراغا للمتلقى ليساهم في

¹³⁶التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: مج1/195.

¹³⁷النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير /57

¹³⁸التفسير البياني /206 (أطروحة سابقة).

إنتاج المعنى للوصول إلى المنحى الصحيح لطرح السؤال أو ما يجب معرفته والسؤال عنه .

فالجواب جاء مما يخالف توقع السائلين بدخول مكونات جديدة ترتبط بمقام السؤال فشكلت بدورها منبها واستفزازا لذهن المتلقي ليشارك في لبحث عن قصد النص لذا فإن 'عدم مطابقة الجواب للسؤال شكل من أشكال إدخال مواضيع جديدة عن الموضوع المسؤول عنه حيث تتحول بنية الجواب إلى بني مولدة للمعنى'¹³⁹ فالخروج بالجواب عن طبيعة السؤال الراسخة في ذهن المتلقي خلق فجوة أو مسافة للتوتر بينهما، وهذه الفجوة تعمل على إيجاد علامة للمتلقي تتبين بها أن الأجزاء المختلفة تحتاج إلى ربط 'فتعليق الفراغات تماسك النص، وبذلك تحول نفسها إلى حوافز لخلق الأفكار'¹⁴⁰ وهي في ذات الوقت تمثل تعديلا مستمرا لأفقه مما يؤدي إلى تنويع تصوراته على النص.

5.1.2- أن تحمل كلام المتلقي على غير ما كان يقصده و يريده، وفي هذا توجيه للمتلقي الى ما ينبغي عليه أن يسأل عنه أو يقصده في كلامه.

¹³⁹ نفس الرجوع/202

¹⁴⁰ (المعنى الأديبي من الظاهرانية إلى التكيكية، وليم راي /46)

فالعلمية الخطابية فيه قائمة على سياق تحاوري يجمع بين طرفين لكل منهما ملفوظ غير ان ملفوظ الثاني يأتي على غير معنى الظاهر¹⁴¹ .

وذلك من خلال دخول الدال في علاقات تركيبية تعطي لهذا الدال دلالة من خلال أنساق بنائية تشكل الهيكل المعرفي للنص ويتمثل ذلك بعلائق الفعل مع الفاعل والفاعل مع المفعول و أنساق الجملة الأخرى ويمكن ان يطلق على هذه العلاقات ذاتيات النص و " بدون اعتبار فاعلية التعليق لا يمكن انتاج المخالفة في بنية العمق "¹⁴² وتأتي أهمية هذا الضرب بتشكيله الذي يكسر مقولة وقوف البلاغة عند حدود الجملة لأنها تنظر في السياق جملة، وفي عملية التعليق التي تربط بين الدوال، لأن هذا التعليق هو الذي ينتج المخالفة العميقة رغم التماثل السطحي¹⁴³ وهنا تقع منطقة التأويل او حدوده حيث تعمل هذه البنية على تغيير الناتج الكلي للنص .

¹⁴¹البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب /377

¹⁴²البيان والتبيين، الجاحظ:1/ 65

¹⁴³البلاغة العربية /377

6- النظرية السياقية ومفهوم التداولية¹⁴⁴:

لقد قامت هذه النظرية على مفهوم السياق الذي حدده أصحابه في أنه " الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة"، أو " مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، وتعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، أو سياق الحال Le Contexte de situation"¹⁴⁵، وهذا هو المبدأ العام الذي انطلقت منه هذه النظرية في تفسير الأفعال اللغوية. ويرى الباحث أحمد مختار عمر أن " مدرسة لندن عرفت بما سمي بالمنهج السياقي Contextuelle l'Approche، أو المنهج العملي l'Approche Opérationnelle، وكان زعيم هذا الاتجاه John Rupert Firth الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة... ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو (استعمالها في اللغة) "¹⁴⁶ إذا ارتبطت النظرية السياقية La Théorie Contextuelle باللساني البريطاني فيرث، "وتقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق. وأحدثت بذلك تغيراً جوهرياً في النظر إلى المعنى... وقد استخدم السياق في هذه النظرية بمفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي،

¹⁴⁴ إلهامات التداولية في التراث العربي. /صلاح الدين ززال. الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب - مجلة الأثر - العدد الخاص- جامعة قاصدي مرباح 2009

¹⁴⁵ Jean dubois, dictionnaire de linguistique, pp 120, 121. 14)

¹⁴⁶ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 68.

والصرفي، والنحوي، والمعجمي، ولا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة

الدلالية للألفاظ المستخدمة¹⁴⁷.

وتزعم فيرث فكرة السياق وأصل دراسة المعنى من خلال إطار منهجي، لغوي، وغير

لغوي، والسياق نوعان:

6.1- السياق اللغوي **Le Contexte verbal**¹⁴⁸

وفيه تراعى القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النظم، وهذا لا يشتمل على الجملة وحدها، بل ينظم الفقرة أو الصفحة أو الفصل أو الباب أو الكتاب كله.

والمثال على ذلك: الفعل " أكل " ومعانيه المتعددة من خلال السياقات القرآنية التالية:

1- فالأكل هنا بمعنى التغذية {و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام} (الفرقان 7)

2- فالأكل هنا بمعنى الافتراس {وأخاف أن يأكله الذئب} (يوسف 13)

3- فالأكل هنا بمعنى {هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله} (الأعراف 7)

الرعي

4- فالأكل هنا بمعنى {أحبيب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه} (الحجرات 12)

5- فالأكل هنا بمعنى {إن الذين يأكلون أموال اليتامى بالباطل} الغيبة (النساء 10)

¹⁴⁷مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد بونس علي، صص 27، 28.

¹⁴⁸نظرية السياق، الدكتور محمد داود - <http://www.mohameddawood.com>

6- فالأكل هنا بمعنى الإحراق {حتى يأتينا بقریان تأكله النار} (آل عمران 183) ¹⁴⁹

ومن هنا تظهر أهمية السياق اللغوي ودوره في تحديد المعنى وفهمه.

6.2- السياق غير اللغوي ¹⁵⁰ Le Contexte de Situation

كيف يدرس السياق غير اللغوي في كلام مكتوب؟
التعرف على السياق غير اللغوي في كلام مكتوب يتأتى من خلال الظروف
والملازمات المصاحبة للنص، والمسجلة كتابة، وكلما كان الوصف المكتوب وافيا في
بيان الموقف الذي تم فيه النص اللغوي، أصبح السياق غير اللغوي واضحا، يقول د.
تمام حسان:

'فإذا كان "المقال" لا يقع- في أثناء قراءته في وقت لاحق- في مقامه الاجتماعي
الذي كان له في الأصل، فإن هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضروري أن يعاد
بناؤه في صورة وصف له مكتوب، حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح،
وفي بناء هذا المقام الأصيل بناء جديدا بواسطة وصفه كما كان، لا بد من الرجوع إلى
الثقافة عموما والتاريخ بصفة خاصة، وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلا، كان

¹⁴⁹ أصول تراثية في علم اللغة، كريم حسام الدين، ص 72
¹⁵⁰ نظرية السياق، الدكتور محمد داود - <http://www.mohameddawood.com>

المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه في تحديد المعنى أكثر وضوحاً في النهاية"

151

كما ارتبط مصطلح المعنى السياقي مع مصطلح المقام، يقول أحد الباحثين موضحاً المصطلح الأول: " نقصد بالمعنى السياقي ما يوضحه سياق الحال، وأنا أستعمل سياق الحال بالمعنى الفني الذي استعمله أستاذنا فيرث وقد كان يأخذ في الاعتبار الأقوال والأشخاص والأفعال... "،¹⁵² " والمعنى المقامي: معنى يفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب أو من القرائن الخارجية التي تصحب اللفظ من الموقف الاجتماعي الذي قيل فيه النص، فالمقام، هو العالم الخارجي الذي أنتج فيه النص، و يدخل في تحديد دلالاته والمراد به، فقد نعجز عن فهم المراد إذا اجتث النص من سياقه الخارجي، وسوء التفسير من عدم النظر في القرائن الخارجية، مثل: المكان والزمان، والأفراد المشاركين في الحدث، والمناسبة التي قيل فيها، وقناة التواصل، وقد أعطى علماء المسلمين سياق المقام (السياق الخارجي) أهمية كبيرة في تفسير النص القرآني وفي استنباط الأحكام الشرعية، فبحثوا أسباب النزول والظروف الخارجية التي تتعلق بالنص. واللفظ يعطي أكثر من دلالة، ويحددها السياق اللغوي والسياق الخارجي...

¹⁵¹ اللغة العربية معناها ومبناها، د. شمام حسان ص 346

¹⁵² المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، 1966، ص 15.

وهناك سياق خارجي يفسر في ضوءه المعنى... "،¹⁵³ وعلى هذا آمنت هذه النظرية أن
المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات
مختلفة".¹⁵⁴

7- أهداف نظرية السياق:

- أ- معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات، وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة
بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها.
- ب- وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً.
- ج- معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية.
- د- إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الكلام.
- هـ- وجوب تحديد بيئة الكلام؛ لأن هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى...
- و- يجب تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته الداخلية المكونة له، والكشف عما بينهما
من علاقات داخلية لكي نصل إلى المعنى "،¹⁵⁵ وهذه الأهداف تحيلنا على " أن اهتمام

¹⁵³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص 171، 172.

¹⁵⁴ علم الدلالة، حمد مختار عمر، ص 68.

¹⁵⁵ فريد عوض حيدر، علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ص 163، 168.

فيرث، كان منصبا على إحلال القول محله ضمن (السياق الاجتماعي) ومن ثم الخروج بتعميمات حول أنماط المعاني التي تفرزها سياقات اجتماعية محددة. وقد اقترح منهاجاً مقنناً لوصف هذه السياقات يشبه إلى حد كبير المناهج الوصفية الأخيرة الأكثر حداثة...¹⁵⁶ " وقد اقترح كارل أمر KARL AMMER تقسيمات للسياق تمثلت فيما يلي: السياق اللغوي LINGUISTIC CONTEXT، السياق العاطفي EMOTIONAL Context، سياق الموقف SITUATIONAL Context، السياق الثقافي CULTURAL Context.¹⁵⁷

يحيل الكثير من الباحثين على أن فكرة السياق تعزى إلى لغويي القرن التاسع عشر، وخاصة الباحث اللغوي فيجنر Wegener، حيث قرر " أن السياق هو الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها و فهمها، وأنه لا يتضمن عند الاتصال اللغوي الكلمات فقط، بل الصلات والظروف المحيطة والحقائق السابقة".¹⁵⁸ وهناك من يردّها إلى ظهور الفلسفة التحليلية التي تأسست حديثاً على يد فريجه Frege، من خلال " أهم التحليلات التي أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا، ومنها تمييزه

¹⁵⁶ تحليل الخطاب، تر/ محمد لطفي الزليطي، منير الثريكي، جامعة الملك سعود، 1997، ص46.

¹⁵⁷ عوض حيدر، علم الدلالة، ص ص158، 162.

¹⁵⁸ محمود جاب الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، محمود جاب الرب، دار المعارف، 1985، ص148.

بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميًا ووظيفيًا، وهما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية".¹⁵⁹

ركزت المدرسة الاجتماعية على دور السياق في تحديد المعنى، فالكلمة يتحدد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث إن للكلمة عدة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدد أحد هذه المعاني أو وجها منها، وقد أكد باحثون أيضا أن النظرية تعزى إلى نظرية فلسفة اللغة العادية، لفيتغنشتاين Wittgenstein، فيقول: 'معنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة'¹⁶⁰، وهو يقول أيضا: "لا تسأل عن المعنى، ولكن سل عن الإستعمال"¹⁶¹.

إذ قامت هذه النظرية على المقصدية، وجاءت نتيجة حتمية بعدما أعطي الاعتبار في مرحلتين متتاليتين للمتألفين للمتكلم ومقاصده، ثم للنص خالصا، يقول الباحث حميد لحمداني مفسرا هذا التحول المعرفي في قضية التأويل: "إن مسار تأويل الخطاب الأدبي و تلقيه لا يمكن فصله عن مسارات تأويل مجالات أخرى من النتاج الفكري: النص الفلسفي، النص الديني، النص الصوفي، الأحلام. هناك مرحلة كانت في الواقع ضد التأويل، وهي مرحلة سادت فيها القصدية، وكل ما له علاقة بسلطة الكلام الفردي أو بالفكر المطلق؛ إما أن ترفض التأويل أو أن توقفه في نقطة حرجة لا يجوز

¹⁵⁹ التَّأويلية عند العلماء العرب، مسعودي صحراوي، ص 18.

¹⁶⁰ القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، 2003، ص 80.

¹⁶¹ Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar. P. 19.

تخطيها. هناك مرحلة الموضوعية، التي تهمل الذات والمقصدية، وعلى إثر ذلك يهمل (التأويل) لصالح المعاينة وإدراك القوانين، وهذه الموضوعية إما أن تكون متعلقة بالنص، أو بالنص ذاته لكن في إطار سياقه التاريخي والاجتماعي. المرحلة الثالثة أعادت الاعتبار لقضية التأويل من خلال الاهتمام بالمؤول، ذلك أنه في المرحلة الأولى كانت سلطة صاحب النص شبه مطلقة، وفي المرحلة الثانية تم تهميش صاحب النص أو ألغى تماما، ولم يلتفت إلى المؤول لصالح موضوعية (حرفية). لكن في هذه المرحلة الأخيرة أعطي الاعتبار للقارئ ولتأويلاته،¹⁶² فإذا كانت المرحلة الأولى نابعة من صميم الفلسفة المثالية، والثانية من الفلسفة البنيوية، فإن المرحلة الثالثة نابعة من صميم الفلسفة التحليلية التي غيرت المسار الأساس من المعرفة إلى النص. وإذا كان فلاسفة الوضعية المنطقية قد رأوا أن الوظيفة الأساسية للغة هي التسمية أو الوصف، ومن ثم راحوا يبحثون عن قواعد التطبيق أو قواعد التركيب، فإن فلاسفة أكسفورد قد ذهبوا إلى وجود استعمالات متباينة منوعة للغة، وبالتالي راحوا يبحثون عن قواعد الاستعمال؛ أي القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت هذا الظرف المعين أو ذلك...¹⁶³

¹⁶² التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، إسماعيل عبد الحق، دار الشؤون، 1993، ص58.

¹⁶³ نفسه ص 279 ، 280.

ولذلك نرى جل الباحثين يرد البحث التداولي للثقافة الأنجلو ساكسونية بدءا بالنظرية السياقية، " فلا أحد يماري في أن البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوساكسونية LA CULTURE ANGLOSAXONNE، وقد تطورت في الولايات المتحدة وإنجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل (إخفاق) نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب L'Autonomie de la Syntaxe، مما أدى للتفكير بجدية في البعدين الدلالي la Sémantique، ثم التداولي Pragmatique".¹⁶⁴

8- سياق القرآن :

السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص و وحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها و تتربط، و بيئة لغوية و تداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ .و يضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص ، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق .و كثيرا ما يرد الشبه بين الجمل و العبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي و لحظ الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل . فكل مساق للألفاظ يجر ضربا من المعنى بجزئياته و تفاصيله. و السياق هو الصورة الكلية التي تنتظم فيها الصور الجزئية ، و لا يفهم كل

¹⁶⁴ - للساليات والدلالة، منذر عياشي، ص 93، 94.

جزء إلا في موقعه من الكل ، و قد أثبت العلم أن الصورة الكلية تتكون من مجموعة كبيرة من النقاط الصغيرة المتشابهة أو المتباينة ، التي تدخل كلها في تركيب الصورة . هذا و إن "التحليل بالسياق يعد وسيلة من بين وسائل تصنيف المدلولات"¹⁶⁵ ، لذلك يتعين عرض اللفظ القرآني على موقعه لفهم معناه و دفع المعاني غير المرادة. لذلك يتعين عرض اللفظ القرآني على موقعه لفهم معناه و دفع المعاني غير المرادة. وللسياق أنواع كثيرة منها :

8.1- السياق المكاني :و يعني سياق الآية أو الآيات داخل السورة و موقعها بين السابق من الآيات و اللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها بين السابق من الآيات و اللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، و سياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه ، و لا تقطع عما قبلها و ما بعدها .

8.2- السياق الزمني للآيات، و هو سياق التوارد، أو بالنسبة إلى النص القرآني هو السياق الزمني للآيات، أو سياق التنزيل ، و يعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول .

8.3- السياق الموضوعي ، ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد، سواء أكان الموضوع عاما كالقصص القرآني أو الأمثال أو الحكم الفقهية ، أم كان

¹⁶⁵ مدخل إلى علم الدلالة لألسني مورييس أبو ناضر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإفتاء القومي، ع:18-19، 1982

خاصا كالقصة المخصوصة بنبي من الأنبياء أو حكم من الأحكام أو غير ذلك، و
تتبع مواقعها في القرآن الكريم كله .

8.4- السياق المقاصدي و معناه النظر إلى الآيات القرآنية من خلال مقاصد القرآن
الكريم والرؤية القرآنية العامة للموضوع المعالج .

8.5- السياق التاريخي بمعنييه العام و الخاص؛ فالعام هو سياق الأحداث التاريخية
القديمة التي حكاها القرآن الكريم و المعاصرة لزمن التنزيل، والخاص هو أسباب
النزول.

8.6- السياق اللغوي و هو " دراسة النص القرآني من خلال علاقات ألفاظه بعضها
ببعض و الأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ، و ما يترتب على تلك العلائق من
دلالات جزئية و كلية".¹⁶⁶

و ينبغي تحكيم كل هذه الأنواع من السياق عند دراسة النص القرآني بمنهج سياقي
متكامل، و إلا فإن الاقتصار على السياق التاريخي سيحوم حول النص و لا يعدهو،
وأمّا الاقتصار على السياق الداخلي وحده دون الالتفات إلى الأحداث التاريخية
المحيطة به أو المصاحبة لنزوله فسيجعل النص بنية لغوية مغلقة تقتصر على ما نفيده
الألفاظ من معان و دلالات .

¹⁶⁶ منهج السياق في فهم النص د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، ع: 111، المحرم 1427هـ-فبراير 2006م

9- سياق الحديث النبوي الشريف

قد ذكر فقهاء الشريعة الإسلامية أن ظروف الزمان والمكان تؤثر بشكل مباشر في عملية تطبيق الحكم الشرعي، وأن أحوال الناس وأعرافهم جزء من الحقيقة الواقعية التي لا يجوز إهمال أي جزء منها، وإذا تغيرت من مكان إلى مكان أو من زمان إلى زمان، فإنه من الممكن أن تتغير معها بعض الأحكام الشرعية اعتباراً لها. وقد ذكر ابن القيم أن الفتوى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد¹⁶⁷، كما وضع أهل العلم من الفقهاء قاعدة فقهية تقرر أنه: "لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان"¹⁶⁸، وفي هذا الصدد يقول أحمد الزرقا: "أي أنه إذا كان عرفهم وعاداتهم يستدعيان حكماً ثم تغيرا إلى عرف وعادة أخرى، فإن الحكم يتغير إلى ما يوافق ما انتقل إليه عرفهم وعاداتهم."¹⁶⁹، يقول الشاطبي كلام الخبير: "إننا وجدنا الشارع قاصدا لمصالح العباد، والأحكام العادية تدور معه حيثما دار، فتبقى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإذا كانت فيه مصلحة جاز..."¹⁷⁰، فلا بد إذن على الناظر في الحديث النبوي أن يفتش عن الزمن الذي تحدث فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-

¹⁶⁷ ابن القيم، إعلام الموقعين، 3/3

¹⁶⁸ المادة 39 من مجلة الأحكام العدلية المادة 39 من مجلة الأحكام العدلية

¹⁶⁹ أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص: 317

¹⁷⁰ الشاطبي، الموافقات، 305/2

بالحديث المعين، فإن ما يفهم من أقوال قيلت قبل الفتح ليست كالتي قيلت بعد الفتح، وما قيل في الفترة المكية، ليست بل غير التي قيلت في الفترة المدينة، ثم لا بد من معرفة طبيعة المكان الذي تحدث فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- بالحديث المعين، ذلك أن الأمر في مكة غير الذي صارت إليه الأحوال في المدينة وما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- زمن كان مستطيعا غير الذي فعله زمن كبر وبدن كما قالت عائشة في تعليل إتيان النبي -صلى الله عليه وسلم- بجملة الاستراحة.

9.1- السياق الزمني للحديث: إن معرفة الزمان الوارد فيه حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الأمور الضروري معرفتها في فقه الحديث؛ ذلك أن السياق الزمني له دور في معرفة معنى ما قيل أو فعل؛ ومثال ذلك ما أعطاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أبا سفيان يوم فتح مكة إذ قال له عمه العباس: "إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا، فأعطاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- شيئا مما يرضيه به، فأمر مناديه أن يعلن؛ ألا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"¹⁷¹، مع أن دار أبي سفيان لم تكن لها أية خصوصية. ومثاله كذلك تخلي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن إعادة بناء الكعبة، ولم يكن ذلك زمن الفتح ولكن كان زمن الدعوة الأولى، ولم يكن ذلك منه -صلى الله عليه وسلم- إلا بسبب أن الوقت لا يناسب ذلك، وحتى لا يؤلب قريشا عليه؛ ولأن كثيرا من الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام، وهو المقصد المباشر الذي راعاه

¹⁷¹ محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منتهج ورسالة، 4 محمد الصانق عرجون/323

النبي -صلى الله عليه وسلم-، والسب الوارد ذكره في نص حديث عائشة يبين ذلك

بوضوح وجلاء

جاء في صحيح مسلم عن عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة، إقتصروا عن قواعد إبراهيم؟"، قالت: فقلت: لا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لولا حديث قومك بالكفر لفعلت»¹⁷²، فعلق النووي على هذا الحديث بقوله: «وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام... ومنها: تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم، وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي»¹⁷³، وهذه الحادثة تدل على مدى معرفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحال الزمان وأهله، فهو يتحرك بحذر وحيطة ودراية تامة بأوضاع الناس ومستوى وعيهم، ودرجة استعدادهم لقبول الحق أو الإعراض عنه أو مناوئتهم له، فهو يبتعد عن كل ما من شأنه أن يربك الرأي العام، ويثيره ويتحدى مشاعره، فيكون تربة خصبة لانتشار ونمو الأفكار المخربة.

وهذا الذي يسميه ابن القيم واجب الوقت؛ أي ما التصرف المطلوب شرعا في هذا الوقت بالذات، بحيث تتحقق مقاصد الحديث التي يبتغيها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، فيقول: «إذا تزاومت عليه الخطرات كنتزاحم متعلقاتها، قدم الأهم فالأهم

¹⁷²مسلم، المنهاج الصحيح، كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها، 94/9

¹⁷³النووي، المنهاج، 94/9

الذي يحشى فوته وآخر الذي ليس بأهم، ولا يخاف فوته...¹⁷⁴، ويقول مبرزاً الأمر بدقة: "... الخامس الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه فالعارف ابن وقته فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبداً فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة¹⁷⁵.

9.2- السياق المكاني للحديث: القصد منه معرفة المكان الذي قيل فيه القول أو حدث فيه الفعل أو أقر النبي -صلى الله عليه وسلم- شخصاً أو مجموعة من الأشخاص على قول أو على فعل، ومثاله: اختيار النبي -صلى الله عليه وسلم- للأئمة من قريش؛ حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الأئمة من قريش"¹⁷⁶، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش»¹⁷⁷، ويرجع سبب اختياره -صلى الله عليه وسلم- للأئمة من قريش؛ لأن الغلبة كانت لقريش؛ ولأن مكة المكرمة كانت محجاً للناس جميعاً، ومكاناً معتبراً في قلوب كل الناس، وموطناً للحراك الاقتصادي، والتقافي¹⁷⁸، ولقد حاول بعض الفقهاء، تجاوز شرط القرشية اعتماداً على بعض ظواهر الأحاديث كقوله -صلى الله عليه وسلم- "اسمعوا واطيعوا و إن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة"¹⁷⁹.

¹⁷⁴ الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، ص: 108

¹⁷⁵ نفس المرجع، ص: 109

¹⁷⁶ مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك، رقم: 129/3.

¹⁷⁷ فتح الهاري، 533/6.

¹⁷⁸ نفسه 121/16

¹⁷⁹ ابن خلدون، المقدمة، 1/ 194

وما قاله ابن خلدون من أن هذا الحديث لا يمكن التعويل عليه في تجاوز شرط القرشية، "لأنه خرج مخرج التمثيل، والغرض منه المبالغة في إيجاب السمع والطاعة"¹⁸⁰، ولو كان الأمير حبشياً جد وجيه، ودون المساس بصحة الحديث عمد ابن خلدون إلى فهم وتفسير الحديث تفسيراً يراعي المناسبة والسبب الذي لأجله قال النبي-صلى الله عليه وسلم- هذا الحديث، ثم السياق المكاني الذي ورد فيه هذا الحديث، ذلك أن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها، وتشرع من أجلها، ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه، لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي-صلى الله عليه وسلم- كما هو في المشهور، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية....، فلا بد إذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيتها"¹⁸¹؛ وهنا يطرح سؤال: ما هي المصلحة المقصودة شرعاً من اشتراط القرشية؟ يقول ابن خلدون: "إذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها؛ وذلك أن قريشاً كانوا عصابة مضر وأهلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف"¹⁸²، وهكذا "فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو

¹⁸⁰ ابن خلدون، المقدمة، 1/ 211

¹⁸¹ نفسه

¹⁸² نفس المرجع/195، 194.

لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام
بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها، وطردها العلة
المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية، فاشتربنا في القائم بأمر
المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستتبعوا
من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية"¹⁸³.

وبهذا التحليل أكد عبد الوهاب النجار من أن "السر في تخصيص قریش بالخلافة أو
بالإمارة في ذلك الوقت، هو ما كان لهم من العصبية والنفوذ الساري في جميع قبائل
العرب، وبطونها يعترفون لهم بالتقدم، ولا ينكرون عليهم الرياسة فيهم، فإذا كان الخليفة
منهم ألفت إليه العرب المقاليد وتقطعت أسباب المعاذير في الخلافة عليه والنصب
له"¹⁸⁴.

10- حال المتلقي عن النبي -صلى الله عليه وسلم:

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسأل في أوقات مختلفة عن أفضل الأعمال، وخيرها
وعرف أنه تحدث عن بعضها في بعض الأوقات من غير سؤال، فأجاب بأجوبة
مختلفة كل واحد منها لو حمل على إطلاقه أو عمومه لاقتضى مع غيره التضاد في
التفضيل، ولكن اختلاف أحوال المتلقين اقتضى التنوع فيما يصلح لكل أحد، ولما

¹⁸³ نفسه

¹⁸⁴ الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، ص: 8

يصلح به كل متلق، وأمثله كثيرة منها:

ما جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري عن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: سئل النبي-صلى الله عليه وسلم-: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله»¹⁸⁵.
وسئل عليه الصلاة والسلام أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قيل: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»¹⁸⁶.
وفي النسائي عن أبي إمامة قال: أتيت النبي-صلى الله عليه وسلم-فقلت: «أمرني بأمر آخذه عنك»، قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»¹⁸⁷.
وفي الترمذي: أي الأعمال أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»¹⁸⁸.

وفي مسند أحمد: سئل النبي-صلى الله عليه وسلم-: أي الإسلام خير؟ فقال: «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»¹⁸⁹.
وفي الترمذي: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن..»¹⁹⁰.

¹⁸⁵فتح الباري، كتاب الحج، باب: فضل الحج المبرور، 381/3

¹⁸⁶مسلم، الصحيح، كتاب:الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، المنهاج:2/263

¹⁸⁷النسائي، السنن الكبرى،كتاب:الصيام، باب: ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة، رقم: 2219 ، 474/4.

¹⁸⁸الترمذي، الجامع الصحيح،كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الذكر، رقم: 3376، 428/5

¹⁸⁹أحمد، المسند ، مسند: أبي درة بن أبي لهب، 432/6

¹⁹⁰الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب: البر والصلة،باب:ما جاء في حسن الخلق، رقم: 2002، 318/4

وفي الصحيح: أي الإسلام أفضل؟ قال: " من سلم المسلمون من لسانه ويده"¹⁹¹.
وفي الصحيح: " وما أعطي أحد عطاء خير أوسع من الصبر"¹⁹².
يعلق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حول اختلاف أجوبته-صلى الله عليه وسلم-بقوله:
"إنما يرجع الاختلاف فيها إلى رعاية الفروق الفردية بين أفراد السائلين وجماعاتهم أو
أوقات سؤالهم، فأعلم النبي-صلى الله عليه وسلم-كلا بما يحتاج إليه، أو بما لم يكمله
بعد من دعائم الإسلام ولا بلغه علمه، أو بما له فيه رغبة، أو بما هو لائق به، أو أعلم
السائل بما كان الأفضل من غيره في وقت سؤاله، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام
أفضل الأعمال؛ لأنه الوسيلة إلى القيام بها و التمكن من أدائها، وقد تضافرت الأدلة
على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون
الصدقة أفضل، و النبي-صلى الله عليه وسلم-هو المعلم المرشد والهادي البصير،
يبصر كلا بما يحتاج إليه وبما يليق به..."¹⁹³، إلى أشياء من هذا النمط جميعها يدل
على أن التفضيل ليس بمطلق ويشعر إشعاراً ظاهراً بأن القصد إنما هو بالنسبة إلى
الوقت أو إلى حال السائل.

يقول الشوكاني: "وأحق ما قيل في الجمع بين الأحاديث أن بيان الفضيلة يختلف
باختلاف المخاطب فإذا كان المخاطب ممن له تأثير في القتال وقوة مقارعة الأبطال،

¹⁹¹فتح الباري، كتاب: الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل، رقم: 11، (الفتح: 1/54)

¹⁹²فتح الباري، كتاب: الزكاة، باب: الاستغفار عن المسألة، رقم: 1429، 3/335

¹⁹³الرسول المعلم-صلى الله عليه وسلم- و أساليبه في التعليم، أبو غدة ص: 91-92

قيل له: أفضل الأعمال الجهاد، وإذا كان كثير المال، قيل له، أفضل الأعمال الصدقة، ثم كذلك يكون الاختلاف على حسب اختلاف المخاطبين¹⁹⁴.
ويعلق الكتاني بقوله: "ومن تأمل أجوبته عليه الصلاة والسلام لأسئلة السائلين وأفراد المستفتين يرى أنها كانت تتنوع بحسب الأحوال والأشخاص والمعاملات والأعراف...¹⁹⁵".

أما النووي ففي شرحه قال: "أجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كل واحد من السائلين بما رآه أنفع له وأخص به، فقد يكون ظهر من أحدهم كبر وانقباض عن الناس فأجابه بإطعام الطعام وإفشاء السلام، وظهر من آخر قلة مراعاة يده ولسانه فأجابه بالجواب الآخر، أو يكون -عليه السلام- تخوف عليهما ذلك أو كانت الحاجة في وقت سؤال كل منهما أخص به فجاوب به"¹⁹⁶، فاختلف الأجوبة عن السؤال الواحد دليل على أن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأعراف.

¹⁹⁴ الشوكاني، نيل الأوطار، 1973م، 282/4

¹⁹⁵ نظام الحكومة النبوية المسمى، عيد الحى الكتاني 321/2

¹⁹⁶ المنهاج، النووي/263، 265

11-قواعد الفهم :

11.1- النص القرآني نص لغوي بداية:

يعد النص القرآني بادئ ذي بدء نصا لغويا منسوجا من جنس لسان العرب، مؤلفا من جمل مترابطة تشكل عناصر ذات دلالات خاصة بها ، و تتضافر هذه العناصر لتؤلف كلاما يفيد قصدا دلاليا معينا .

و هذه قاعدة ثقافية ثابتة لفهم النص القرآني ، و اقتضت هذه القاعدة من علماء التفسير الوقوف عند ظاهر اللفظ باعتباره أساسا لفهم المعنى ، و لم يلتفت إلى الجوانب التاريخية أو النفسية أو الثقافية إلا في إطار ضيق و بحذر شديد خشية الوقوع في محذور التفسير بالرأي ، و تبين أن للنص القرآني ثابتا يلتزم بالوقوف عنده و متغيرا يكون عرضة للاجتهاد و التأويل و الفهم المجازي ، و لا ينبغي أن يحول النص القرآني إلى ميدان للفهم الظاهري الحرفي مطلقا و لا للفهم الباطني الذي من هذا النص كتابا رمزيا لا يراد منه ظاهره بل يراد منه فهم كلماته باعتبارها مصطلحات خاصة ذات رموز معينة يستعصي فهمها .

و قد أساء كل واحد من هذين الاتجاهين إلى النص القرآني و المفاهيم القرآنية، لما يتصف به من غلو فكري و شطط منهجي و بعد عن المنهج الوسط الذي يحكم الأدوات الموضوعية في فهم النص كما أنزل و كما أراده منزله سبحانه و تعالى ، و هي دلالات الألفاظ في عهد التنزيل ، و علوم القرآن ، و قواعد الفقه و أصوله ، و

عادة القرآن الكريم و منهجه في الخطاب ، و أسلوبه في التربية و التعليم و التقريب ، و تحكيمه في تفسير آياته ، ثم تحكيم الحديث النبوي القطعي الثبوت أو الظني الثبوت الذي ثبت ، في تفسير القرآن ؛ لأن القرآن الكريم محتاج إلى كثير من البيان بخبر الثقة - هذه فيه علامة الكلية- ، أما السنة فهي لكثرتها و كثرة مسائلها و تفاصيلها بيان للكتاب . فالسنة تفسر القرآن الكريم و تبينه و توضح معانيه ، و لا تحتاج إلى إيضاح من القرآن لأنها واضحة المعاني و العبارات .

11.2- كيفية تحكيم السياق في فهم القرآن :

11.2.1- لغة قريش هي المرجع في التفسير :

"ينبغي أن تعد اللغة التي كانت متداولة في عصر التنزيل المرجع في تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام منه، دون الالتفات إلى اللغة الحادثة"¹⁹⁷ وما طرأ عليها في العصور التالية من تطور في دلالات الألفاظ ، مما لا ينبغي تحكيمه في فهم القرآن الكريم، ويعيدا عن الرواسب الفكرية التي يحملها المفسر فيسقطها على القرآن الكريم ، بما يخرج النص عن بلاغته و أصالته ، و "معنى ذلك أن لغة التنزيل ترافق سياق التنزيل و تلازمها"¹⁹⁸ ولا تحيد عنها ، فلا ينبغي إخراج المصطلح

¹⁹⁷ همام التاويل محمد جمال الدين القاسمي تح. محمد فواد عبد الباقي، دار الفكر، 1398هـ-1978م، 1/236.

¹⁹⁸ كيف نتعامل مع القرآن العظيم د. يوسف القرضاوي، ص:232 .

الشرعي عن مدلوله الأصلي وإلا فسيصير " لفظ الشارع غير مطابق لمسمّاه الأصلي " 199 ، " وهذا أمر يوجب الجهل بالحق والظلم للخلق " 200 .

11.2.2 - مجاوزة مدلول الكلمة إلى تركيب الكلام:

يقتضي منهج التفسير اللغوي السياقي ألا يقتصر المفسر على دلالة الكلمة بل يجاوزها إلى تركيب الكلام ؛ قال المفسر أبو حيان النحوي الأندلسي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ و لقد همت به و هم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ (يوسف 24) " طول المفسرون في تفسير هذين (الهمين) ، و نسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبه لأحد الفساق ، والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان ، كما نقول : لقد قارفت لولا أن عصمك الله ، و لا نقول : إن جواب (لولا) متقدم عليها ، و إن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك ... بل نقول : إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه ، كما نقول جمهور البصريين في قول العرب : (أنت ظالم إن فعلت)، ولا يدل قوله (أنت ظالم) على ثبوت الظلم ... و الذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب... و قد ظهرنا كتابنا هذا... و اقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات " 201 ؛ فقد

¹⁹⁹ مجموع فتاوى ابن تيمية أحمد بن تيمية، جمع و ترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط. المكتب التعليمي السعودي بالمغرب،

الرباط، مكتبة المعارف، 395/35

²⁰⁰ المرجع نفسه : 395/35

²⁰¹ البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف، دار الفكر للطباعة 1412هـ-1992م : 258/6 ، 146/9 .

تبين أن المعنى الصحيح في نفي الهم عن يوسف عليه السلام، يبينه تركيب الكلام كما ورد على أصله ، و لا معنى للقول بخروجه عن ترتيبه .

11.2.3- تتبع الكلمة القرآنية في مواردها المختلفة :

و "مما يعين على حسن الفهم أن يتتبع القارئ الكلمة القرآنية في مواردها المختلفة"²⁰² "ويستقربها في مواضعها كلها ، حتى يتبين له السياق الدلالي الصحيح الذي وردت فيه، وذلك مثل كلمة (الاجتتاب) التي وردت في معرض النهي عن الخمر ؛ فإن الموارد التي وردت عليها الكلمة في القرآن الكريم تفيد اقترانها بالشرك و ما في معناه"²⁰³ ، و يستنتج من ذلك الاقتران أن الكلمة تفيد التحريم القطعي .

و ' لقد اعتبر العلماء مراعاة السياق في فهم القرآن الكريم المنهج الأمثل في التفسير وضابطا من الضوابط المهمة في حسن الفهم و التأويل ، و تجلت هذه القاعدة المنهجية، أي المنهج السياقي، في تفسير القرآن بالقرآن"²⁰⁴ ، و دلالة السياق من أعظم القرائن التي تدل على مراد المتكلم و ترشد إلى تبين المجمل و إثبات المعنى المراد دون غيره وتخصيص العام و تقييد المطلق ، و كل قول أو تفسير لا يؤيده السياق فلا عبرة به .

²⁰² كيف لتعامل مع القرآن العظيم ص:236 .

²⁰³ الحج:30 ، النحل:36 ، الزمر:17 ، النساء:31 .

²⁰⁴ البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بن عبد الرحمن الزركشي، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، 175/2 .

فمن ذلك أن قوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (الدخان : 49) إنما يعني به الدليل الحقيّر ، و أن قوله تعالى : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إن ربي غفور رحيم ﴾ (يوسف : 53) إنما هو من قول امرأة العزيز و ليس من قول يوسف²⁰⁵؛ لأن السياق يفيد أن كلام يوسف عليه السلام قد انقطع ، و ابتداء كلام امرأة العزيز في جمل متصلة، أمام الملك ، و لم يكن يوسف حاضرا معها في ذلك الوقت ، ولكنه استدعي فيما بعد ؛ قال ابن كثير : " تقول المرأة : و لست أبرئ نفسي فإن النفس تتمنى، ولهذا راودته ، لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، أي إلا من عصمه الله تعالى، إن ربي لغفور رحيم . و هذا القول هو الأشهر و الأليق و الأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، و قد حكاها الماوردي في تفسيره ، و انتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله، فأفرده بتصنيف على حدة " ²⁰⁶ .

و تقتضي مراعاة السياق " مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة ، و سياق الجملة في موقعها من الآية ، فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه و لا تقطع عما قبلها و ما بعدها ، ثم تجر جرا لتفيد معنى أو تؤيد حكما يقصده قاصد "

207

²⁰⁵ تفسير ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر، 1401هـ، 482/2.

²⁰⁶ تفسير ابن كثير، 482/2.

²⁰⁷ كيف نتعامل مع القرآن العظيم من: 238 .

12-مكونات السياق القرآني

السياق القرآني هو جزء من السياق بعمومه في معناه العام، إلا أن له مكونات خاصة يتميز بها، لا بد من اعتبارها فيه، وهي:

12.1- أغراض آي القرآن

من أعظم ما تميز به القرآن تضمنه لأغراض متعددة في الآية الواحدة، ولا شك أن هذا من كمال القرآن، فإنه محتمل للوجوه بحسب اختلاف الأغراض التي تضمنتها الآية، وهذا سر تعدد المعاني في الآية و اختلافها، ولهذا فلا بد من اعتبار هذه الخاصية في السياق القرآني. والأغراض التي تتضمنها الآية هي :

1- أغراض القرآن ومقاصده العظمى.

2- غرض السورة.

3- غرض المقطع أو القصة الواردة في موضوع واحد .

4-غرض الآية .

قال ابن القيم في بيان قيمة معرفة الغرض ومراد المتكلم: "والفقه أخص من الفهم، وهو

فهم مراد المتكلم، وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت

مراتب الناس في هذا، تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم"²⁰⁸

²⁰⁸اعلام الموقعين ابن القيم (1/281)

12.2 - الأسلوب البياني

إن الأسلوب البياني الذي انتلف منه القرآن يمثل البناء المحكم المتسق الذي تميز به القرآن عن سائر الكلام، وهو خاصية مهمة في السياق القرآني بل هو ركن فيه؛ إذ لا يمكن تفسير القرآن إلا باعتباره .

قال ابن تيمية: "أكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني".²⁰⁹

و قال الزركشي: "وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد، ويعتمد ماسبق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك... واعلم أن هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة".²¹⁰

وقال السيوطي: "على المفسر مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له".²¹¹
وقال الخطابي: "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض".²¹²

²⁰⁹مجموع الفتاوى ابن تيمية (418/20)
²¹⁰البرهان في علوم القرآن الزركشي (311/1)
²¹¹الإتقان في علوم القرآن السيوطي (185/1)
²¹²إعجاز القرآن الخطابي ص36

12.3- أسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية وأحوال المخاطبين بها .

أسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية من أعظم ما يدل على تحديد الغرض والمعنى المقصود في الآية، وعليه فلا بد من اعتبار هذه الخاصية في السياق القرآني .

قال الشاطبي في الضابط المعول عليه في الفهم: "إن المساقات تختلف باختلاف

الأحوال، والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان²¹³

وقال السيوطي في الإتيان: "قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على

قصتها وبيان نزولها"²¹⁴

وقال السعدي: "النظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول و سيرته مع أصحابه

وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه"²¹⁵

وعليه يكون السياق القرآني مركبا من ثلاثة عناصر أساسية :

أولا: الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.

ثانيا: النظم والأسلوب القرآني المؤلف من مجموع الكلام والتعبير فيه .

ثالثا: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها فيها .

وقد جمع شيخ الإسلام هذه العناصر جميعا فقال: "وتختلف دلالة الكلام تارة بحسب

²¹³المواقفات الشاطبي (266/4)

²¹⁴الإتيان (93/1)

²¹⁵تفسير الكريم الرحمن، السعدي (4/1)

اللفظ المفرد، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه إلى قصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال²¹⁶

وقال صاحب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: "أما السياق القرآني، فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته"²¹⁷.

ونخلص من هذا كله إلى أن السياق القرآني هو: الأغراض التي بنيت عليها الآية، وما انتظم بها من القرائن اللفظية والحالية وأحوال المخاطبين بها. والمقصود بالقرائن اللفظية: القرائن النصية وهي ما احتواه النص من التعبير والتركيب والارتباط بين الآيات ونحوها .

والمقصود بالقرائن الحالية: الأسباب والأحوال التي نزلت الآية فيها .

وهذا المعنى الذي تحدد به السياق القرآني، والعناصر التي انتلف منها، راجعة إلى عموم معنى السياق وعناصره الأساسية كما تبين .

الملاحظ أن بعض المفسرين كثيرا ما يستعمل السياق بعبارات مرادفة يطلقونها في معنى السياق، ومنها: "نظم الآية، نسق الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملاءمة الكلام،

²¹⁶القنواي الكبرى بن تيمية (208/3)

²¹⁷دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، أبو صفية الحارثي ص88

مقتضى الكلام، فحوى الكلام، الإطار العام، الجو العام، المعنى العام، القرينة ، المقام، ونحوها، وهذه المصطلحات كلها معتمدة على النص الذي هو مناط السياق".²¹⁸

13-أنواع السياق القرآني

السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه. وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته. وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع :

النوع الأول: سياق القرآن .

النوع الثاني: سياق السورة.

النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات.

النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة انتلافا عجيبا فلا تجد بينها تعارضا، بل إنها متكاملة تكاملا، ينتج عنه معاني متعددة وأغراض متنوعة، وهذا والله أعلم سر كون القرآن محتملا للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة)²¹⁹

وقد حقق هذا التنوع في سياق القرآن الدكتور عبد الوهاب رشيد أبو صفية الحارثي، فقال " :السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي

²¹⁸السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية ،د.سعيد الشهراني ص87
²¹⁹البرهان في علوم القرآن (193/1).

واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافئة حول إيضاح المعنى²²⁰.

13.1 - سياق القرآن

المراد بهذا النوع من السياق القرآني، مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى بعادة القرآن. وعلى هذا فيمكن تقسيم هذا النوع إلى وجوه :

13.1.1- مقاصد القرآن العظمى:

القرآن مبني على أغراض ومقاصد أساسية، وهذه الأغراض والمقاصد معتبرة في تفسير كلام الله تعالى كله، بل يجب الاعتماد عليها في كل سورة وآية منه حسب ما يقتضي المقام فيها. ومقاصد القرآن ظاهرة فيه، وقد أجمل ابن عاشور مقاصد القرآن كلها في ثمانية مقاصد:²²¹

الأول: إصلاح الاعتقاد، الثاني: تهذيب الأخلاق، الثالث: بيان التشريع، الرابع: سياسة الأمة وصلاحها وحفظ نظامها، الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للناسي بصالح أحوالهم، السادس: التعليم بما يناسب حاله عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي

²²⁰ دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم ص88.

الشرعية ونشرها، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول²²¹.

ودليل اعتبار مقاصد القرآن كله ما جاء في السنة من اعتبار سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، واعتبار سورة البقرة سنام القرآن، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وهذا إنما يكون بالنظر لمعاني هذه السور بالنسبة لمعاني القرآن كله .

13.1.2- المعاني الكلية:

والمقصود بالمعاني الكلية هو ما يرد في القرآن من الألفاظ التي يطرد أو يغلب معناها في جميع القرآن، فيستعملها القرآن بمعنى واحد غالباً، وهذا ما يسمى بكليات القرآن . قال شيخ الإسلام بن تيمية: "إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرد في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله تعالى ورسوله بقول فيه نزاع"²²².

13.1.3- الأساليب المطردة:

والمقصود بالأساليب المطردة هو ما يستعمله القرآن من الأساليب، ويطرد في القرآن كله، وهذا ما يسمى بعادة القرآن .

²²¹التحرير والتتوير، الطاهر بن عاشور (8/1)
²²²مجموع الفتاوى (35/7).

وهذا الأسلوب هو الذي يستخدم فيه القرآن الكريم الكائنات للتدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته وسعة قدرته وعظيم حكمته، والقرآن الكريم يتخذ كل شيء في الكون دليلاً له خاصة وجود الكون من العدم، وانتظامه على قوانين مطردة، ونواميس محكمة، وقيامه على غاية التدبير، والتكامل بين أجزائه، والعناية بما فيه من عجائب الأشياء والأحياء.

وفي كل هذا يتجه القرآن الكريم إلى الإنسان مخاطباً قلبه وفكره، ومطالباً أن يتأمل بحسه هذه الموجودات، الحواس كما نعلم السمع والبصر واللمس والشم إلى آخره، مطالباً أن يتأمل بحسه هذه الموجودات؛ لينتقل من ملاحظاتها في أوضاعها المختلفة إلى ما وراءها، ليدرك من هذه المقدمات الحسية البديهية نتائجها القطعية؛ فيعلم أن لهذا الكون رباً موجداً، وإلهاً واحداً مطلق القدرة، والإرادة واسع العلم والحكمة، وبذلك يدور الدليل بين السمع والبصر والفكر والنظر والمقدمات البديهية القريبة، والنتائج السهلة المسلمة.

وهذا النوع على سهولته ويسره هو أقوى أنواع الأدلة، وهو أقربها إلى القلوب والنفوس وأعظمها في التأثير والإقناع لدالاته على المطلوب بذاته؛ ومن أقصر سبيل. ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشنقيطي قال: «كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ استقها مات تقرير، يراد بالربوبية يلزمه الإقرار بالإلوهية ضرورة، نحو قوله تعالى ﴿أفي الله شك﴾ لأن المقر

، وقوله تعالى: ﴿ قل أغير الله أبغي ربا ﴾ (الأنعام 164)²²³. (إبراهيم 10)

13.2 - سياق السورة

من أعظم دلائل الإعجاز في هذا القرآن العظيم، أنه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم، وكل سورة منها وحدة متكاملة متناسقة، يجمعها غرض واحد يسمى بسياق السورة .

والسياق العام للسورة هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها، ولو تدبر القارئ وتفحص وتبصر في سورة واحدة لرأى قرآنا عجايبا ذلك بما سيتجلى له من ترابط السورة وقوة بنائها وانتظامها في خيط واحد، وكيف لا يكون ذلك وهو كلام رب العالمين الذي أتقن كل شيء .

إن فهم مراد المتحدث من حديثه، يسهل معرفة معاني كلماته، ومكانتها من ذلك الهدف المنشود، كما ان ذلك يسهم في استيعاب مراده وغايته من الحديث.

كذلك الامر بالنسبة الى الآيات والسور القرآنية، فإن كل آية مضمومة الى إختها، تهدف الى معالجة أمر أو تأسيس آخر، لذلك تتحد في غايتها ومحتواها، وهكذا كانت السور تحمل هدفا تختص به دون سائر السور القرآنية وان اشتركت مع سائر السور في الغاية العليا والهدف الأساس ومن هنا فان للسورة الواحدة محورا أساسيا يكون محله محل القطب من الرحي تدور حوله مجمل الآيات الواردة في السورة.

²²³نفسه

وتعتمد معرفة الاطار العام على توقيفية السورة في نظم آياتها، إذ إن جمع القرآن الكريم كان ايضا وحيا من الله عز و جل، كما هو الحال في تنزيل الآية، فلا يتصور ان الآية في سورة الاعراف ، مثلا، لا بد لها ان تكون في سورة الأحزاب او غير ذلك، بل ان الآيات قد رتبت في اماكنها بأمر من الله عز و جل.

وان بحث المتدبر عن السياق الموجود في مجموعة من الآيات، والاطار العام الذي تدور حوله آيات السورة الواحدة، يمهد له الطريق في فهم أمرين :

الأول: الوصول الى ذلك الهدف الذي ترومه السورة من خلال معرفة الروابط الدقيقة بين الافكار التي قد تبدو غير مرتبطة ببعضها البعض في السورة، وذلك لأن وظيفة القرآن الكريم هي الهداية، ولذلك فانها لا تتبع الاسلوب التعليمي في بيان الموضوع الواحد والاقتصار عليه، بل تتبع السور القرآنية الأسلوب التوجيهي، بمعنى انها تعالج موضوعا ما، فتتعدد الافكار وتتنوع من شتى العلوم ما دامت تحقق الغرض ذاته.

الثاني: الفهم الدقيق للافكار الجزئية ومعرفة الروابط بينها، فيساهم الامر في فهم أعمق للآية الواحدة.

قال البقاعي: "إن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن، مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سيقَّت لها السورة"²²⁴.

²²⁴نظم الدرر، البقاعي (17/1)

وحين نرى العناية بهذا العلم العظيم نرى أن كثيرا من المفسرين أغفلوه ولم يلقوا له بالا مع أنه من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله تعالى. وممن عنى بهذا المجال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم اللذان أبديا في تفسير كتاب الله تعالى واستخراج دقائقه. فنرى مثلا شيخ الإسلام يبرز وحدة سورة البقرة ويحدد سياقها وغرضها العام فيقول: «وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم وقواعد الدين»²²⁵.

ويبين سياق سورة الأحزاب وغرضها العام، فيرى أنها تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في نصرة الله له وهزيمة الأحزاب الذين تحزبوا عليه، وذكر خصائصه وحقوقه؛ ولهذا افتتحت بنداؤه بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾²²⁶

ونرى أيضا ابن القيم الذي كان بارعا في استخراج دقائق القرآن وأسراره، يبين سياق سورة التحريم وأنها في بيان مقام النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وتحذيرهن من التظاهر عليه ولهذا افتتحت بنداؤها بقوله تعالى: «يا أيها النبي»، قال: «في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سبقت في ذكر أزواج النبي والتحذير من تظاهرن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالها بهما»²²⁷.

ومن أشهر من تناول هذا العلم من السياق وبرع فيه محمد دراز صاحب كتاب (النبأ

²²⁵مجموع الفتاوى (41/14)

²²⁶نفسه (433/28)

²²⁷الأمثال في القرآن، ابن القيم ص57

العظيم). فقد أبدع في دراسته لسورة البقرة واستكشف غرضها. ويقول في مقدمته : "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة بحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا، و أوزاعا من المباني جمعت عفوا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس و أصول، وأقيم على كل أصل منها شعب و فصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بناء واحد قد وضع رسمه مرة واحدة.. ولماذا نقول إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان.. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"²²⁸.

ويدخل في سياق السورة الاستدلال بما غلب وروده في السورة كلها. ومن أمثلة ذلك: ما ذكره ابن جرير في ترجيح ما ورد من القراءات في قوله تعالى: ﴿ سلام على إيل ياسين ﴾ (الصافات 130) ، ووردت قراءة بلفظ "آل ياسين"²²⁹، فرجح الأولى بدلالة سياق السورة فقال: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا: قراءة من قرأ "سلام على إيل ياسين" بكسر ألفها، على مثال إدراسين؛ لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عند كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه - صلوات الله عليهم - في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على

²²⁸النبأ العظيم، د. محمد دراز ص 154-

²²⁹ التيسير في القراءات المصنوع، أبو عمر الداني ص 187

آله، فذلك السلام في هذا الموضع، ينبغي أن يكون على إلباس، كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله²³⁰.

13.3 - سياق القصة

سياق النص يأتي كجزء ووحدة من جملة السورة، يكون موضوعه واحدا وغرضه واحدا لكنه يتناسق ويتناسب مع وحدة السورة العام. ويظهر النص غالبا في سياق القصص، وبعض التشريعات، والموضوعات. كقصة آدم، وآيات بني إسرائيل، وآيات القبلة، وآيات الحج في سورة البقرة .

يشغل القصص مساحة واسعة في القرآن الكريم، وهذا يؤكد ما لهذا الفن السردى من أهمية بالغة في إيصال الخطاب القرآني والتأثير به في المتلقي، والذي يظل مشدودا بتقنية السرد الحكائي لما لها من جاذبية وجدانية وفكرية، ما دامت تفرض عليه سلطة تأثيرية قوية في تقبل المعاني، واستيعاب المواقف بطريقة فنية بعيدا عن الوعظ والتوجيه المباشرين.

وباستقراننا لكافة الأنماط والأشكال القصصية الموجودة بخاصة في القرن المكي، نجد أن القصة القرآنية قصة هادفة ذات وظيفة دلالية محورية، بعيدة عن مجرد سرد الأخبار التاريخية للتسلية المؤقتة أو المتعة المزاجية أو التعليم التلقيني البارد. وهي وظيفة مرتبطة أساسا بخدمة مقاصد علمية وسلوكية ترمي في العمق إلى الكشف عن

²³⁰جامع البيان، الطبري، (10/523)

الصراع بين القيم الإيجابية والأخرى السلبية، من خلال استعراض مواقف الشخصيات المتضاربة، وأحداث تاريخية ماضية غنية بالعبير والمواقف والقيم النبيلة، كما ترجمها أنبياء وصالحون في سيرتهم وسلوكهم. فهي تضع أيدينا على مكن الداء كما أبرزته حيوات الأمم السابقة وتجاربها، لتمهد الطريق في النهاية إلى كشف مكامن الدواء كما يريدنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

ولو تدبرنا كل سورة لوجدناها تتجزأ إلى عدة مقاطع كل مقطع يتضمن غرضاً مستقلاً. فمن أمثلة ذلك آيات النفقة والربا والمداينات في سورة البقرة كل موضوع جاء لغرض، وقد اجتمعت كلها في غرض واحد وسياق واحد هو حفظ الأموال وبناء النظام الاقتصادي للأمة. قال ابن عاشور: "نظم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات، فابتدأ بأعظم تلك الأصول، وهو تأسيس ما للأمة به قوام أمرها.."²³¹.

13.4 - سياق الآية .

كل آية في كتاب الله تعالى تحمل غرضاً مستقلاً، وقد تناول المفسرون هذا النوع كثيراً في بيانهم لتفسير كلام الله والترجيح بين المعاني فيه، ومن على الأمثلة في ذلك: ما ذكره بعض المفسرين في المراد بالإحصان في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَحْصَنْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (النساء 25). فقد رجح ابن كثير والشنقيطي أن المراد بالإحصان في الآية التزويج لدلالة السياق .

²³¹لتحرير والتوير (78/3)

و قال ابن كثير "والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان ها هنا التزوج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول الله تعالى ﴿و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ (النساء 25) والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله تعالى: ﴿فإذا أحصن﴾ أي تزوجن كما فسرهن ابن عباس ومن تبعه²³².

ومن الأمثلة في تعيين غرض الآية :

1- قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة و الله يضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم﴾ (البقرة 261) غرض هذه الآية هو بيان شرف النفقة ومضاعفة أجرها، تحريضا على الإنفاق في سبيل الله تعالى .

قال ابن عطية: "هذه الآية لفظها بيان مثل بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك"²³³. هذه هي أنواع السياق القرآني، وهي بمجموعها تبرز عظمة القرآن في ترابطه وبنائه وإحكامه.

²³²تفسير ابن كثير (1/631).
²³³المحرر الوجيز، ابن عطية (1/355).

14- القواعد المتعلقة بترجيح السياق .

14.1- أن القول المعتبر في التفسير هو الموافق للسياق:

إنّ السياق القرآني أصل معتبر في كلام الله تعالى، وهو الدال على المعنى الصحيح، فالقول الذي يتوافق مع السياق هو القول المعتبر والراجح .وهذه القاعدة من أهم قواعد الترجيح في التفسير .وقد اعتبر السلف والعلماء هذه القاعدة في تفسيرهم، ومن ذلك ما قاله صاحب رسالة دلالة السياق عند ابن جرير في تقرير القواعد المعتبرة عند ابن جرير: "يختار من المعاني ما اتسق وانتظم معه الكلام"²³⁴.

وقد قرر هذه القاعدة ابن تيمية أتم تقرير في معرض رده على نفاة الصفات الذين يؤولون الصفات استدلالاً بنصوص أخرى دل سياقها على معنى آخر، كتأويل إتيانه تعالى بإتيان عذابه استدلالاً بقوله تعالى ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ (الحشر 2) فقال: " لما رأوا بعض النصوص تدل على الصفة، جعلوا كل آية فيها ما يتوهمون أن يضاف إلى الله تعالى - إضافة صفة - من آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ فرطت في جنب الله ﴾ (الزمر 56) وهذا يقع فيه طوائف من المثبة والنفاة، وهذا من أكبر الغلط، فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية"²³⁵.

²³⁴ دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، د.عبد الحكيم القاسم، ص219
²³⁵ نفسه ص220-221

وقد قرر حسين بن علي الحربي صاحب قواعد الترجيح عند المفسرين هذه القاعدة بقوله: " قاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه".²³⁶

14.2- وجوب حمل كلام الله على المعاني والأوجه اللانقّة بالسياق والموافقة لأسلوب القرآن:

هذه القاعدة تعني أنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعاني والأوجه اللغوية والإعرابية والبلاغية اللانقّة بسياق الآية والموافقة لأسلوب القرآن، دون الأوجه القاصرة عنه، و" ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه "²³⁷، إذ القرآن هو أعظم الكلام، فلا بد من حمله على أكمل الوجوه وأعظمها، و"لا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي "²³⁸.

14.3- كل تفسير خارج عن دلالات الألفاظ والسياق باطل مردود .

هذه القاعدة نتيجة للقاعدة التي قبلها، فإذا ورد تفسير خرج بمعاني كتاب الله تعالى عما تدل عليه ألفاظه وسياقه ولم يدل اللفظ على هذا المعنى بأي نوع من الدلالة: مطابقة، أو تضمنا أو التزاما، أو مفهوما، أو موافقا، أو مفهوما مخالفا، فهو مردود"²³⁹ . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن هذا القرآن كلام الله عز وجل فضعوه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم)²⁴⁰.

²³⁶مجموع الفتاوى (14/6)

²³⁷قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين بن علي الحربي (1/299)

²³⁸نفسه (2/635)

²³⁹أثر السياق في النظام النحوي، نوح بن يحيى بن صالح الشهري (197)

²⁴⁰قواعد الترجيح عند المفسرين (2/349).

و قال السيوطي: " ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ، كما يفعله الباطنية، و الاتحادية، و الملاحدة، و غلاة المتصوفة"²⁴¹. وقال ابن تيمية كلاما فصلا في هذه القاعدة: "وأما النوع الثاني من سببي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان... والقائلون بالجهتين المتقدم ذكرهما قسمان :

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها. والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به. فالأولون: راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرين راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط بذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق .

وهم صنفان: " تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا فيكون

²⁴¹ الدر المنثور، السيوطي (7/330).

خطوهم في الدليل و المدلول، وقد يكون حقا فيكون خطوهم فيه في الدليل لا في المدلول. فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة و أمتهأ، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم: تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه...²⁴².

14.4- حمل كلام الله على الغالب من عرفه ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك²⁴³

وعرف القرآن ومعهود استعماله مما يتضمنه السياق من جهة أن القرآن وارد على أسلوب منتظم مؤتلف، ومن جهة أن ذلك داخل في السياق القرآني، فالأولى أن يرجح القول الذي يوافق عادة القرآن ومعهود استعماله وسياقه العام، إلا أن يدل دليل من سياق الآية أو دليل آخر على معنى آخر مستقل .

قال ابن تيمية: "إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرده في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء"²⁴⁴.

²⁴²الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي ص352
²⁴³مجموع الفتاوى، (13/355)
²⁴⁴قواعد السياق عند المفسرين، حسين الحارثي، (1/172)

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن تيمية في بيان رده على من جعل السراح والفراق صريحا في الطلاق مستدلا بغالب استعمال القرآن: "الوجه الثاني: وهو القاصم: أن هذه الألفاظ أكثر ما جاءت في القرآن في غير الطلاق"²⁴⁵.

14.5 - توحيد مرجع الضمانر في السياق الواحد أولى من تفريقها²⁴⁶.

إذا جاءت ضمانر متعددة في سياق واحد، واحتملت في مرجعها أقوالا متعددة، فتوحيد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد أولى و أحسن؛ لانسجام النظم، واتساق السياق. وقد اعتمد هذه القاعدة أنمة اللغة من المفسرين كابن جرير، والزمخشري، وابن عطية، وأبي حيان وغيرهم²⁴⁷.

و قال الزمخشري في ترجيحه لعود الضمير إلى موسى دون التابوت في قوله تعالى: ﴿ فاقذفه في اليم ﴾ (طه 39) "والضمانر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التابوت فيه هجنة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم... ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"²⁴⁸.

وقال أبوحيان: "وتناسق الضمانر لشيء واحد أوضح"²⁴⁹.

²⁴⁵اضواء البيان 51/1

²⁴⁶مجموع الفتاوى (450/15)

²⁴⁷قواعد الترجيح عند المفسرين (2/ 613)

²⁴⁸نفسه

²⁴⁹الكشاف الزمخشري (2/536)

14.6- القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا أن يدل السياق على

الحذف²⁵⁰.

"الأصل في كلام الله تعالى أن يكون كاملا لا يحتاج إلى تقدير، إلا أن يدل السياق على الحذف؛ لأن الإضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل"²⁵¹.
قال أبو حيان: "متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار كان أولى من أن يسلك به الإضمار و الافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها عن التكلف، وأسوغها في لسان العرب"²⁵².
ولا يقال بالحذف في كلام الله تعالى إلا بدليل من السياق يدل عليه.
قال ابن جزي في معرض ذكره لأوجه الترجيح التي قررها: "الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار"²⁵³.
وقال ابن عاشور: "إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفًا، ولكن لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق"²⁵⁴.
ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿...ولا تقولوا ثلاثة﴾ (النساء 171) فإن الحذف هنا ظاهر لدلالة رفع "ثلاثة" بعد القول.

²⁵⁰البرهان في علوم القرآن (35/4).

²⁵¹قواعد الترجيح عند المفسرين (424/2)

²⁵²مغني اللبيب بن هشام (599/2)

²⁵³البحر المحيط (61 /1)

²⁵⁴التسهيل لابن مالك الجبائي الأندلسي(9/1)

وقال أبو علي الفارسي "التقدير: هو ثالث ثلاثة، لموافقته لما ظهر في القرآن في قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة 73)²⁵⁵. وهذا أولى .

14.7 جميع حذف القرآن لا تقدر إلا على أكمل الوجوه اللانقة بالسياق .

إذا دل السياق على حذف في الآية، فإنه لا يقدر إلا أفصح التقديرات وأنسبها للسياق والغرض، أو ما دل عليه سياق آية أخرى .

قال العز بن عبد السلام: "جميع حذف القرآن من المفاعيل و الموصوفات وغيرها لا يقدر إلا أفصحها وأشدها موافقة للغرض؛ لأن العرب لا يقدرن إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام"²⁵⁶. وقال أيضا: "لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدها موافقة و ملاءمة للسياق"²⁵⁷.

14.8 - حمل اللفظ على معنى جديد أولى من حمله على التأكيد، إلا أن يدل السياق على التأكيد .

إذا احتمل اللفظ في السياق بين أن يكون مفيدا معنى جديدا لم يسبق في الكلام، أو يكون مؤكدا للفظ أو جملة سابقة، فحمله على الإفادة أولى من الإعادة إلا أن يدل السياق على كونه تأكيدا.

²⁵⁵جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (37/6)

²⁵⁶البحر المحيط (144/4)

²⁵⁷الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، ص4

قال الشنقيطي: "إن المقرر في الأصول أنه إذا دار الكلام بين التأكيد والتأسيس معاً، وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه"²⁵⁸.

إن القرآن الكريم تصدى لبيان أمور كثيرة غير محسوسة ولا يمكن تصويرها ولا التعبير عنها بالطريقة المتعارفة إلا إذا استعين بالمجازات والاستعارات و الكنايات، وتقريب تلك المعاني بتشبيهها بالمحسوسات، ولو كان القرآن كله محكما لفاتت الحكمة من الاختبار به تصديقاً وعملاً لظهور معناه ، وعدم المجال لتحريفه ، والتمسك بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ولو كان كله متشابها لفات كونه بيانا ، وهدى للناس ، ولما أمكن العمل به ، وبناء العقيدة السليمة عليه ، ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آيات محكمات ، يرجع إليهن عند التشابه ، وآخر متشابهات امتحانا للعباد.

15- المتشابه:

المتشابه في القرآن كثير، وكثيرا ما يتساءل القارئ لكتاب الله والمتأمل فيه عن سر هذا التشابه ووجه الفرق بين الآيات المتشابهة. وقبل أن نبين صلة هذا العلم بالسياق، نعرض للمحة موجزة عنه :

²⁵⁸نفسه ص2

15.1- المقصود بالمتشابه:

التشابه في الكلام يطلق على تماثله وتناسبه ، بمعنى أنه يصدق بعضه بعضا في أوامره ، فلا يأمر بشيء في موضع وينهى عنه في موضع آخر ، ويصدق بعضه بعضا في أخباره فإذا أخبر بثبوت شيء في موضع لم يخبر بنفيه في موضع آخر ، والقرآن كله متشابه بهذا المعنى فلا تناقض فيه ولا اضطراب.

وعرفه فهد بن الشنوي بقوله: "الآيات المتكررة في موضوع واحد متقارب المعنى مع اختلاف في لفظها أو نظمها أو كليهما"²⁵⁹.

15.2- الغرض من علم المتشابه في القرآن :

لهذا العلم فوائد عظيمة تظهر من وجوه :

1- أنه يظهر عظمة القرآن وإعجازه ببلاغته النافذة التي عجز عنها أرباب البلاغة دالا بذلك على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار مبينا ذلك: "إن العرب لم تستطع أن تأتي بمثل هذا المكرر الصحيح المعنى الذي ليس عليه اعتراض، ولا سبيل لها أن تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إن المعنى الذي ذكرته من القصة قد ذهبت بلفظه، فلا

²⁵⁹قواعد الترجيح عند المفسرين (473/2)

يمكن لنا أن نأتي بمثله، وذلك أن المكرر قد أبطل حجته بإعادته المعنى بلفظ آخر بليغ كتنظيره، فتبين بهذا أن الإتيان بمثله لم يكن مستطاعا إلا من منزله²⁶⁰.
2- أن هذا التشابه يظهر عظمة القرآن في كونه يورد القصة الواحدة لعدة أغراض، كل موضع منها يرد لغرض معين، فتأتي ألفاظه متفقة مع غرضه، وهذا لاشك أنه دال على بلاغة عظيمة لا يستطيعها البشر في بيانهم. وهذا هو السر الأعظم من التكرار والتشابه اللفظي والله أعلم .

ودراسة علم المتشابه تعتبر ضربا من التفسير لكلام الله تعالى، وهو باب عظيم من أبواب التأمل في آيات الله التي حث البارئ تعالى على تدبرها، وهو أيضا مما يزيد الإيمان حين يتأمل القارئ لكتاب الله تعالى ويظهر ما فيه من وجوه البلاغة وعظيم المقاصد.

15.3- الصلة بين السياق وعلم المتشابه:

يعتمد المتشابه على السياق اعتمادا ظاهرا، ويعتبر السياق هو عمدة حل المتشابه وركنه الأساس؛ إذ أن أعظم معنى يظهر الفرق بين الآيات المتشابهة هو العلم بمقاصد الآيتين أو المقطعين و أغراضهما، وهذا هو السياق. كما أن المتشابه يجلي السياق من جهة ما يتضمنه من وجوه الاختلاف في التعبير. فظهر بذلك أن بينهما علاقة مشتركة

²⁶⁰البرهان في علوم القرآن (112/1)

قال فهد بن الشتوي: "ومن فوائد علم المتشابه اللفظي عونه في الكشف عن السياق، هذا مع أن السياق يطلب له"²⁶¹. ويتجلى ذلك بالأمثلة :

المثال الأول: في توجيه قوله سبحانه في شأن مريم ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ (الأنبياء 91) فأضاف النفخ إلى جملتها، أما ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ (التحریم 12) فأضاف النفخ إلى فرجها .

وقد وجه الخطيب الإسكافي الآية بالنظر في السياق فقال : لما كان القصد في سورة الأنبياء عن حال مريم وابنها، وأنهما جعلتا آية للناس، وكان النفخ فيها مما جعلها حاملا، والحمل صفة للجمله.. فلما كان القصد التعجب من حالهما، وأنها بالنفخ صارت حاملا، ردّ الضمير إلى جملتها.. أما قوله في التحريم ﴿ و مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدقت ﴾ (التحریم 12) فلما كان القصد فيه التعجب من حالها بالحمل عن النفخ، وولادتها لا عن اقتراب فحل، لم يكن ثم من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليها قبلها ما كان في الآية الأولى، فجاء اللفظ على أصله، والمعنى:نفخنا في فرجها، ولم يسق الكلام إلى ما سيق في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ، فاختلفا لذلك²⁶².

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿ ما أهلّ به لغير الله ﴾ (البقرة 173) مع قوله في سورة المائدة آية 3، والأنعام آية 145، والنحل آية 115 ﴿ ..أهلّ لغير الله به﴾.

²⁶¹دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي (100/1)
²⁶²الانتصار للقرآن الباقلائي (803/2)

وجه ابن جماعة الموضعين بالنظر في السياق بأن آية البقرة في سياق المأكول، وحله وحرمة، فكان تقديم ضميره وتعلق الفعل به أهم. وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره، والأمر بتقواه، وأيضا فآية النحل بعد قوله تعالى: ﴿ .. واشكروا نعمة الله ﴾ (النحل 114) وكان تقديم اسمه أهم، وأيضا فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة، فكان تقديم ذكر الله بترك الأصنام على ذبائهم أهم، لما يجب من توحيدهِ وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل لهم وما يحرم، فقدم الأهم فيه. والله أعلم²⁶³.

15.3.1- معطيات السياق القرآني و احتمالات المعنى:

قد يتعدد المعنى من خلال ما يفيدهِ السياق اللغوي للآيات، و يقود هذا التعدد إلى تعدد في الإعراب. و من أمثلة الاحتمال و التعدد قوله تعالى ﴿ و قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ (البقرة 35-36) .
 يحتمل الضمير -ها- في قوله "وكلا منها" إعرابين اثنين بحسب المعنى الذي يفيدهِ

²⁶³ دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي (139/1)

السياق اللغوي؛ أحدهما عود الضمير على أقرب مذكور و هو الشجرة ، فيكون المعنى : فحملهما الشيطان على الزلة بسببها، وتكون -عن- نقيض معنى السببية²⁶⁴.
 و' الثاني عوده على -الجنة- لأنها أول مذكور²⁶⁵ ، و قيل "إن الضمير عائد على غير مذكور يفهم من المعنى الحاصل من السياق ، و هو معنى -الطاعة- ، بدليل قوله تعالى: «و لا تقربا» ، و المعنى : أطيعاني بعدم قربان هذه الشجرة ، فعاد الضمير على معنى الطاعة المتحصل من السياق²⁶⁶، وقيل أيضا إن الضمير يعود على الحالة التي كانوا عليها من التفكك و رغد العيش، بدليل قوله تعالى : "وكلا منها رغدا" .

15.3.2- التقديم و التأخير و السياق :

التقديم و التأخير باب من العلم في البلاغة يتعلّق بتقديم لفظ على آخر و تحويله عن مكانه الأصلي، و سنة من سنن العرب في كلامها، و سبيل²⁶⁷ إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها²⁶⁷ .

²⁶⁴ البحر المحيط، نج. عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض وآخرين، (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية، 1995/1416

314/1.

²⁶⁵ المصدر نفسه

²⁶⁶ المصدر نفسه

²⁶⁷ ضوابط التقديم و التأخير وحفظ الترتيب في النحو العربي: رشيد بلحبيب، ط1، الدار البيضاء، 1998م .

و هو لا يخرج الشيء المقدم من تأخير أو المؤخر من تقديم عن حكمه الإعرابي الذي كان له في الأصل، و لكنه قد يخرج عن حكمه البلاغي الذي كان له إلى حكم آخر اقتضاه المعنى.

و لهذا الباب البلاغي أهمية بالغة؛ إذ لا يتم تقديم كلام على نية التأخير أو تأخيره على نية التقديم عبثاً، بل لبواعث موجبة تخرج الكلام في صورة أبلغ و أفصح .

و قد درس علماء البلاغة والنحو والتفسير التقديم و التأخير في كتاب الله تعالى، و قدموا نماذج عملية تفيد قيمة هذا الباب البلاغية و الدلالية ، منها" قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء 31)، أي خوف إفتار و فقر ، في حالة ، و هو إخبار عن العرب؛ لأنهم كانوا يندون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار و العيلة، فوعظهم الله في ذلك و أخبرهم أن رزقهم و رزق أولادهم على الله . فالآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد، كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث، خلافا لما كان عليه أهل الجاهلية من عدم إيراث البنات و من قتلهن ، فنهى الله تعالى عن ذلك و قال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ أي خوف أن تفنقروا في ثاني الحال ، و لهذا قدم الاهتمام برزقهن فقال : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ .

أما في سورة الأنعام فنجد قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ (الأنعام 151) ، فقد قدم رزق الوالد على الولد، وهو خطاب للفقراء المقولين ، أي لا تقتلوهم من فقر بكم ؛ فحسن « نحن نرزقكم » أي نرزقكم ما يزول به إملاقكم ، ثم قال : « و إياهم » أي نرزقكم جميعا، خلافا للآية السابقة التي قدم فيها رزق الولد على رزق الوالد ؛ لأنها خطاب للأغنياء أي خشية فقر يحصل لكم بسببهم²⁶⁸ .

و الخلاصة في الفرق بين الآيتين أن الباعث على القتل في قوله «من إملاق» الإملاق الناجز ، و الباعث على القتل في قوله : «خشية إملاق» الإملاق المتوقع²⁶⁹، وهذا الفرق بين الآيتين إنما هو فرق بين معنيين سببهما تقديم اللفظ أو تأخيره .

15.3.3- أثر السياق في دفع شبهة التأويل :

يقع كثير من الناس في الوهم و الخطأ عندما يعمدون إلى تفسير بعض الآيات بالظاهر تفسيراً يتعارض و حقيقة ما أنزلت بسببه، فمن ذلك تفسيرهم للفظ -التهلكة- في قوله تعالى : ﴿و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة : 195) باقتحام ميادين القتال و منازلة العدو، ومن ذلك ما روي عن المغيرة ؛ قال : بعث عمر بن الخطاب جيشاً فحاصروا أهل حصن وتقدم رجل من بجيلة فقاتل فقتل فأكثر الناس فيه يقولون : ألقى بيده إلى التهلكة ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال : كذبوا ، أليس الله عز

²⁶⁸ الإقنان : 308/2

²⁶⁹ التفسير أبي السعود: 169/5

وجل يقول : ﴿و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، و الله رؤوف بالعباد﴾
(البقرة : 207)²⁷⁰، فأنت ترى كيف أن عمر رضي الله عنه صحح ما علق
بأذهان الناس من معنى هذه الآية ، و ذلك بوضعها في سياقها،وأعطاهم أنموذجا
قويا و نهجا سليما في فهم معاني الآيات .

لقد وردت هذه الآية في سياق معين لا ينبغي عزلها عنه و الاستدلال بها على
ظاهر اللفظ ؛ فإن الاستدلال بها مقتبسة من القرآن الكريم إخراج لها من سياقها الذي
وردت فيه و إكراه لها على إفادة معنى لا تعنيه ؛ فقد وردت مسبوقة بآيات في القتال
وعدم إمساك اليد عن الإنفاق ؛ لأن الإمساك هو منتهى التهلكة؛ قال الله تعالى : ﴿و
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على
الظالمين، الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، و تقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين ، و
أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و أحسنوا ، إن الله يحب المحسنين
﴾ (البقرة 193-195) .

ففيه الأمر بالإنفاق في سبيل الله أي في طريقه الذي أمر أن يسلك فيه على عدوه
من المشركين لجهادهم ؛ فإن الله يعوض المنفقين أجرا و يرزقهم عاجلا ، فإن تركوا
النفقة عرضوا الجهاد للخطر؛ لأنه يحتاج إلى تجهيز بالمال و العتاد ، و لذلك سمي

²⁷⁰ تفسير الطبري: 321/2

البخل هلاكا و تهلكة ، و هو في الأصل انتهاء الشيء إلى الفساد ، ثم يأمر الله الأمة بالمزيد من البذل و العطاء : ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة 195).

15.3.4-مظاهر المناسبة بين آيات القرآن الكريم :

معرفة المناسبات بين الآيات مظهر من مظاهر مراعاة السياق في الفهم و التفسير، وهو موضوع ألف فيه العلماء ، و فائدته جعل أجزاء الكلام بعضها مرتبطا ببعض حتى يصير التأليف كحال البناء المحكم المتلائم الأجزاء و قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ، و ممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي ، و قال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط .

و هذا و "يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، و من ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يسان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه"²⁷¹. وأما القول بأنه لا يطلب للآيات الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة ، فالجواب عنه "أن نزول الآيات على حسب الوقائع تنزيلا و على حسب الحكمة ترتيبا، وسوره مرتبة بالتوقيف. و الذي ينبغي في كل آية أن يبحث عن كونها

²⁷¹ *الرحمان في علوم القرآن* : 40/1-43

مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم ، و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها و ما سيقت له²⁷² .

و هناك مظهر آخر من مظاهر المناسبة بين الآيات ، و هو مناسبة صدر السورة أو أوائل الجمل لما يعقبها من كلام ، أو ما يمكن أن يدعى بالاستهلال أو الافتتاح، حيث يكون الكلام المستهل به ذا أهمية و عناية و تركيز ، مما يؤثر في أجزاء الكلام اللاحق، و يستحق بذلك التقديم و الاستهلال؛ "و قد ذكر العلماء الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح و افتتاح سورة الكهف بالتحميد؛ أن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد؛ يقال: سبحان الله و الحمد لله ، و أن سورة الإسراء افتتحت بحديث الإسراء و هو من الخوارق الدالة على صدق النبوة و الرسالة ، و التسبيح تنزيه الله تعالى عما صدر عن الكفار من تكذيب بشأن الإسراء تكذيب عناد ، فنزه نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبوه . و أما سورة الكهف فإنه لما احتبس الوحي و أرجف الكفار بسبب ذلك أنزلها الله ردا عليهم و أنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ ، بل أتم عليه بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة²⁷³ .

و أما سورة سبأ فلما تضمنت ما منح الله سبحانه داود عليه السلام من تسخير الجبال و الطير و الريح و إلانة الحديد ناسب ذلك ما افتتحت به السورة من أن الكل

²⁷² البرهان: 43-40/1

²⁷³ البرهان في علوم القرآن: 39/1

ملكه و خلقه ، فهو المسخر لها و المتصرف في الكل بما شاء ﴿الحمد لله الذي له ما في السماوات و ما في الأرض و له الحمد في الآخرة﴾ (سبأ 1) .

و الملاحظ هنا أن السياق اللغوي للنص القرآني ، على أهميته في تفسير معنى الآيات ليس كافيا وحده ؛ بل لا بد من مواكبة هذا المنهج اللغوي الداخلي لمنهج آخر خارجي ، و هو المؤلف من عوامل أخرى مساعدة على الفهم و التفسير ، و هي أسباب النزول و مصادر التاريخ والمسيرة، و غير ذلك ... و إذا تعارض المنهجان قدم التفسير بالآثار و النصوص النقلية والروايات الصحيحة .

15.3.5- أثر المناسبة الصوتية لسياق الكلام في بيان المعنى :

لا شك أن اللغة العربية من أدق اللغات احتفاظا بالمعاني الفطرية للحروف ، أي بحركة الإنسان الأول في الإشارة إلى المعاني ؛ ذلك أن كثيرا من الحروف لها دلالة في ذاتها قبل أن تقترن بغيرها من الحروف ؛ فمن ذلك دلالات النداء و التعجب و التأوه والأنين و الإشارة و التنبيه و غير ذلك من المعاني التي تدعو إليها معاناة الحياة الفطرية الأولى؛ فالنداء يعتمد على أصوات الحلق المقذوفة من الجوف مطلقا في الهواء لتبلغ بالصوت أقصى ما يطيقه تدافع النفس ، و كذلك الإشارة و التنبيه يتطلبان من صاحبيهما إرسال الصوت خارجا من الحلق إلى المثار إليه أو المنبه ، و هكذا في أكثر الحروف المجردة: فالهمزة الممدودة هي الصدى الصوتي الذي يرد به التنبيه و الإشارة و النداء، و حروف النداء تعتمد على الهمزة ، أما الياء الممدودة

فهي تسهيل لمجرى الهمزة و تليين لها، و تأتي الهمزة للدلالة على الاستفهام و التعجب من طريق الاستفهام، و تثبت الهمزة في أول التعجب كقولك : (ما أكرمك) و (هو أكرم من فلان) ، و يشترك مع الهمزة حرف الهاء، و احتفظت العربية بالهمزة في أكثر حروف الاستفهام نحو أين و أنى . و أما الهاء فأكثر موردها على التنبيه و الدلالة و الإشارة ، مثلما وقعت في أسماء الإشارة (هذا وهذه وهؤلاء) و ما كان نحوهن ، و في ضمائر الرفع المنفصلة التي تدل على الغيبة نحو (هو وهي وهما و هم و هن) ، التي فيها معنى الإشارة إلى الغائبين²⁷⁴.

فقد اعتنى القرآن الكريم باختيار الأصوات الدقيقة المناسبة للأحوال الدلالية المختلفة؛ لأن للأصوات و الحروف حرارة و توهجا يضيء المعنى المراد ؛ فكانت كل كلمة بما تتألف به من أصوات، مناسبة لصورتها الذهنية؛ فما كان يستلذه السمع و يستميل النفس فحظه من الأصوات الرقة و العذوبة، وما كان يخيفها و يزعجها فحظه من الأصوات الشدة، و هذا التناسب الصوتي بين اللفظ والمعنى وسيلة سياقية من وسائل تنبيه مشاعر الإنسان الباطنة و استثارة المعاني النفسية المناسبة للموقف الخارجي .

²⁷⁴ جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر: 717/2 - 724 ، جمع وتقديم: عادل سليمان جمال، ط1، القاهرة، نشر مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة، 2003م

خاتمة

إن النظرة النصفية إلى الشيء - أي شيء كان - لا تعكس حقيقة ذلك الشيء ككل، وذلك لأن النصف سيظل نصفاً، ومن هنا فهو ليس مخولاً أن يحكم على الكل. بل إن النظرة النصفية قد تجني أحياناً على الكل، وتحوّل الأمر إلى ضده، فاللوحة الزيتية الجميلة التي رسمتها يد فنان ماهر قد تتحوّل إلى منظر بشع عندما نغطي نصفها بالمنديل، والطبيب الذي لم يستوعب إلا نصف الطب قد يقع في أخطاء قاتلة تلقى بالذين يراجعونه بين أنياب الموت، ولذلك قيل: "أحياناً يكون الجهل المطلق خيراً من الفهم الناقص".

وعندما نجزئ كلمة "لا إله إلا الله" ونقتصر على المقطع الأول فإن شعار الإيمان هذا يتحوّل إلى كلمة كفر، وهكذا يكون نصف الشيء ضد ذاته في كثير من الأحيان.

ولقد أصاب القرآن الكريم ما أصاب غيره من النظرات التجزئية، فتحوّل إلى أشلاء مبعثرة ومقاطع متفرقة لا يرتبط أحدها بالآخر، بل ويتناقض بعضها مع البعض الآخر أحياناً.

وماذا يحدث عندما نأخذ الجسم الحي ونحوه تحت ضربات المبضع إلى أجزاء متفرقة؟ ألا يعني ذلك تعطيله عن العمل؟ هذا هو - بالضبط - ما حدث للقرآن الكريم حينما فرقناه شيعاً، وفصلنا بين آياته.

للسياق أثر كبير على مقصود دلالة المتكلم، فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل مدلولين متناقضين تماما دون أن تختلف الكلمة في بنائها الداخلي، وإنما الذي تغير هو السياق والقرائن المحيطة.

إن جمال التعبير لا يتأتى من توالي الألفاظ أو العبارات، فمجرد السرد اللفظي لا يدل على جمال في ذاته، أو روعة في أدائه. وإنما يتحقق ذلك من خلال التناسق في الدلالة، والتألف في المعنى، والتناغم في النسق. فليست للألفاظ جماليات خاصة بها تلازمها كلما استخدمت، أو نُطق بها. ففصاحة اللفظ و بلاغته لا تكمن في ذاته، فقد يجمل، وقد يقبح حسب الأسلوب وطريقة الأداء. فليس للألفاظ حسن ذاتي منفرد، وإنما حسنها يكمن في تألف الدلالة وانسجام المعنى، مع تلاؤم في الحروف وبعد التنافر، وتمايز في الصورة، وتواصل في الإيقاع.

فإذا وجدت الألفاظ وفق المعاني، والمعاني وفق الألفاظ ، لا يفضل أحدهما على الآخر، فالبراعة أظهر - كما يرى الباقلاني - والتوافق هنا ينسحب أيضا على الجانب التعبيري الخاص بالصوت الموسيقي، والإيقاع المناسب. فالحروف والكلمات والعبارات ألحان لغوية تبدو في انتلافها وتألفها كأنها قطعة واحدة.

إن كل لفظ قرآني له معناه الخاص به، يتجلى فيه هذا الإشعاع التصويري الجميل الذي عبر الجمل والتراكيب، تتأخى المعاني وتتلاقى الألحان في انسجام وتوازن، ويصاحب ذلك كله الصور الخيالية الجميلة المنبثقة من هذا التألف المنسجم، ومن هذا المعنى المطلوب.

واللفظ في القرآن له تفرده ودقته من حيث المعنى والدلالة والسياق، مما ينتفي معه الترادف، وإن لاح الأمر من حيث الشكل، فالسياق يضيف على اللفظ مصاحبات دلالية وتصويرية تعطيه ملمح التفرد والتميز.

وثمة ألفاظ تتردد متكررة في آيات القرآن الكريم، وتحمل دلالات متفردة لا تتعدها إلى غيرها من الدلالات التي يمكن أن يتصورها الإدراك الفكري - وتصبح متلائمة تماما مع المعنى والسياق الذي وردت فيه.

ومن ثم تصبح الدقة الدلالية في اختيار اللفظ ملمحا أسلوبيا متفردا. وتبقى هنا ملاحظتان:

الأولى: أن السياق القرآني - وإن كان عاملا هاما في فهمنا لمعاني القرآن - إلا أنه يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع العوامل الأخرى المساعدة على فهم الآيات الكريمة من التفاسير والروايات وموارد نزول الآيات وما أشبهه.

الثانية: في حالة تعارض الروايات الصحيحة مع السياق القرآني المتصور تقدم الروايات بالطبع، وذلك لأن السياق لا يشكل أكثر من تجلي للجمل، ومن الواضح أن التجلي يمكن

التصرف فيه بالقرائن المنفصلة التي تكشف عن كون الإرادة الجدية غير مطابقة للإرادة الإستعمالية، وتفصيل الكلام في ذلك موكل إلى علم الأصول.

ما استفدناه من معنى النسق في ما يتعلق بالتنظيم، أنّ السياق متشعب، واسع المعاني، يغوص في أعماق الحياة الإنسانية، والنسق يتولى تنظيم هذه الحياة؛ فالنسق يأتي لينظم الاتجاهات المتنوعة داخل المنظومة السياقية.



الفصل الثالث

مقدمة

إن الترجمة وسيلة تبليغ لرسالة الله، وهمزة وصل بين الثقافات، وأداة اتصال وتفاهم بين الشعوب والأمم، لذلك "فإن الحاجة إلى الترجمة ضرورية"²⁷⁵. ويرى فضيلة الشيخ محمد صالح بن عثيمين -رحمه الله- أن ترجمة معاني القرآن الكريم واجبة "وأما الترجمة المعنوية فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة لإبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين بالعربية. لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"²⁷⁶. كما أن الترجمة - شأنها في ذلك شأن كل العلوم تقريبا - سلاح ذو حدين: يمكن استعماله أداة للبناء أو معولا للهدم.

وقد بدأ الصحابة رضوان الله عليهم في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم²⁷⁷، واستغلها المسلمون الأوائل استغلالا حسنا في جزء لا يستهان به من أنحاء المعمورة، وذلك بشرح معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والكتب الإسلامية المعتمدة، بواسطة مترجمين، للشعوب غير العربية في المجالس العلمية والاحتفالات الدينية. والواقع الملموس يشهد على أن جهود هؤلاء المسلمين الأوائل - مع حسن معاملتهم للناس - قد آتت ثمارها في كل أنحاء العالم، في نشر الإسلام من أقصى الأرض إلى أقصاها في فترة وجيزة وبسرعة مذهلة لم يشهد

²⁷⁵ فتاوى للمسافرين و المغتربين. ابن باز و ابن عثيمين، وزارة الإعلام، الدمام، السعودية، 1413هـ، ص ص 86-87.

²⁷⁶ نفسه

²⁷⁷ نفسه

التاريخ لها مثيلاً. وفي المقابل استغل بعض أعداء الإسلام من المنصرين و المستشرقين وغيرهم الترجمة في محاربة الإسلام الذي أقض مضجعهم سرعة انتشاره وشدة تمسك معتقيه به، وذلك رغم كل ما يستعملونه ضد الإسلام من مختلف أنواع التهديد والإغراء ورغم ما يتهمونه به من التخلف والجمود والسحر والشعر والكهانة وغير ذلك، فبدؤوا يفكرون في تطوير هذه الأساليب التي باءت بالفشل الذريع وصارت موضع سخرية لدى الجميع، حتى وصلوا بأفكارهم العنيدة إلى القيام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم. فأروا في ذلك ضالتهم المنشودة لما يتيح لهم من فرصة ظهورهم أحياناً في ثياب أصدقاء مع أنهم في الحقيقة أعداء ألداء، كما يسهل عليهم دس السم في الدسم كما يريدون. لذلك اهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، ويشجعهم في هذا العمل العدائي ضد كتاب الله الكريم كون عدد قارئى الترجمات أكثر من عدد قارئى النص العربي، وبعبارة أخرى كون المسلمين غير العرب أكثر من المسلمين العرب.

1- ترجمة النصوص الإسلامية²⁷⁸

إنه لمن الغني عن البيان أن الترجمة قضية بالغة الصعوبة، وأن الشروط التي تشترط في المترجم ليست سهلة، وبسبب تخلف بعض تلك الشروط وقع في جملة من تلك الترجمات أغلاط كثيرة، طالت جوانب متنوعة، غير أنها جميعاً تصبح هيئة أمام ما يمس حمى العقيدة وجناب التوحيد؛ فالأصل أن المخالفة في باب الاعتقاد ليست كالمخالفة في غيره؛ فرب زلة من هذا الباب نقضت إيمان المرء بالكلية، أو أنقصته وقدحت فيه، قال الشافعي رحمه الله: "والله لأن يفتي العالم فيقال: أخطأ العالم، خير من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله".²⁷⁹

وإذا كان الأمر بهذه المثابة؛ فلا شك أن القيام بواجب البيان والتحذير من تلكم الأخطاء العقديّة من الواجبات العظام، ومن فروض الكفايات، وهو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن التواصي بالحق، ومن النصح لكل مسلم.

²⁷⁸ الأخطاء العقديّة في ترجمات السنة النبوية، أسبابها، والتدابير الواقية منها. بحث أعده: الدكتور صالح بن عبد العزيز بن عثمان سنيدي. ندوة ترجمة السنة والسيرة النبوية - بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - جدة 2008

²⁷⁹ سير أعلام النبلاء (18-19).

2-أسباب وقوع الأخطاء العقديّة في ترجمات السنة النبويّة

2.1- ضعف المترجم في اللغة العربيّة

إن تمكن المترجم من اللغة العربيّة الركيّزة الأولى في الترجمة، ويقدر إمامه بها تكون ترجمته أقرب إلى الصواب؛ وعليه فإن جهله بها من أسباب وقوع الأخطاء العقديّة وغير العقديّة.

وفي موضوع ترجمة السنة: فإن نقل معنى الحديث النبوي إلى لغة من اللغات مبني على فهم معناه، وهذا لا يتأتى إلا من معرفة دقيقة باللغة بفروعها؛ فالقرآن نزل بلغة عربيّة فصيحّة «بلسان عربي مبين» (الشعراء: 195)، واللغة العربيّة فيها من بلاغة البيان وبراعة التعبير ما ليس في غيرها، كما أنها أوسع اللغات وأرحبها وأعمقها؛ حتى إنه لا يكاد يحيط بها أحد ولو كان من أساطين أهلها، قال الشافعي رحمه الله: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، لكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه"²⁸⁰.

إن المتأمل في بعض الترجمات المنشورة ليظن أن حب الخير والحماسة للدين قد دفعت أصحابها -لا سيما من حدثاء العهد بالإسلام- إلى خوض غمار الترجمة مع كونهم ليسوا من أهل الدراية باللغة العربيّة؛ فأدى هذا إلى وقوعهم في الخطأ من حيث لم يشعروا، مع أن الحقيقة التي يجب ألا تغيب عن الأذهان أن من المتعذر على

²⁸⁰ الرسالة (42).

الضعيف في علوم اللغة اقتحام أسوار الترجمة؛ فالكلمة الواحدة في اللغة العربية قد تحتمل عدة معان؛ فتعيين المعنى المراد منها في الحديث يحتاج إلى فهم جيد لسياق الكلام الذي يحدد المقصود، كما أن للتقديم والتأخير والحصر وأنواع الكنايات وغيرها من ضروب البلاغة أثرها في فهم المعنى، وهذا ما لا يهتدي إليه الجاهل باللغة.

ولأجل هذا فقد قرر أهل العلم أن شرط جواز الترجمة أن يكون المترجم ذا علم باللغة العربية²⁸¹.

قال مجاهد بن جبر رحمه الله: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب)²⁸².

وقال مالك رحمه الله: (لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا)²⁸³.

ولعل من أدرك ما تقدم ثم تأمل واقع الترجمات التي كتب كثيرا منها من ليس من حذاق العربية - علم أن موضوع الترجمة بحاجة إلى عناية كبيرة: مراجعة وتنقيح وتصويبها.

²⁸¹ تفسير القرآن الكريم ، أصول التفسير لابن عثيمين (37/1).

²⁸² البرهان في علوم القرآن (292/1).

²⁸³ المصدر السابق، وقد أخرجه البيهقي في الشعب (232/5).

2.2- ضعف المترجم في اللغة المترجم إليها

لا شك ان إتقان اللغة التي يقوم المترجم بالنقل عنها، بالإضافة الى اللغة التي ينقل إليها من الامور الاساسية التي يجب ان يتقنها المترجم حتى ينجح في اداء مهمته.

و من الأمور الواضحة أن الترجمة الصحيحة تستلزم إدراك المترجم للغة المترجم إليها. ولا يكفي أن يكون المترجم من المتكلمين باللغة حتى يكون مؤهلاً للقيام بالترجمة؛ بل لا بد من أن يكون ذا فقه في تلك اللغة وتبحر في علومها؛ بحيث يستطيع أن يعبر تعبيراً دقيقاً يفيد المعنى المقصود من النصوص.

وهذا - كما قرر أهل العلم - شرط في صحة الترجمة²⁸⁴.

إن الكلمة العربية الواحدة قد يقابلها في اللغة الأخرى مفردات عدة، وقد يكون من بين هذه المفردات فروق دقيقة؛ فاختيار اللفظ المناسب من بينها ليس أمراً سهلاً.

وتعظم المسألة أكثر حين لا يكون ثمة مفردة تقابل الكلمة العربية؛ فالمقام حينئذ يحتاج إلى شيء من الإطناب حتى يتبين المقصود؛ ومن واجب المترجم توضيح المراد وشرحه بما يقرب المعنى قدر الاستطاعة، وهذا في مسائل الاعتقاد يفتقر إلى تحر ودقة فائقة.

من نماذج الأخطاء التي تذكر في هذا المقام: ما جاء في إحدى الترجمات الإنجليزية لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) الحديث²⁸⁵.

³⁰⁰ أصول التفسير لابن عثيمين (37/1).

فقد جاء في ترجمة قوله: (أنا عند ظن عبدي بي): (أنا أسكن في أفكار عبدي حين

يذكرني)!²⁸⁶

وجاء في ترجمة قوله: (ذكرته في نفسي): (ذكرته في قلبي)!²⁸⁷

وتبلغ القضية ذروتها في الإشكال في شأن المصطلحات الشرعية؛ فإن المصطلحات الشرعية ذات مدلول محدد في الشرع، وقد لا يكون في اللغة المترجم إليها مصطلح يقابله، وقد يوجد لكنه لا يؤدي معنى المصطلح بدقة وإن وافقه في معناه اللغوي، بل إن اللفظ أحياناً قد يفهم منه معنى مخالف لدى أصحاب الدين الذي يتكلم أهله بتلك اللغة؛ فيفهمون النص الشرعي في ضوءه؛ وهذا إشكال كبير. وأضرب مثلاً يوضح المقصود: وقع في كثير من ترجمات كتب السنة إلى الإنجليزية " 288 ترجمة كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم بـ: (Apostle)

وهذا اللفظ يعني: "رسول أو حوارى"²⁸⁹، فإذا اعتبرنا أن المترجم أراد استعمال اللفظ بمعنى الرسول لا الحوارى؛ فإنه يلحظ أن (الرسول) في اصطلاح النصارى بهذا اللفظ: (يراد به الرسول الذي هو من تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام -أي

²⁸⁵ فتح الباري، رقم 7405.

²⁸⁶ صحيح مسلم باللغة الإنجليزية، ترجمة الدكتور محمد محسن خان - مكتبة دار السلام

²⁸⁷ المصدر السابق.

²⁸⁸ ترجمة موطأ الإمام مالك بالإنجليزية لمحمد رحيم الدين

²⁸⁹ المورد - قاموس عربي إنجليزي

الحواريين- وليس الرسول المرسل من عند الله تعالى؛ ولذا فإنهم يستعملون مصطلح:

APOSTLES CREED

بمعنى: (قانون الإيمان المسيحي [أي النصراني] المنسوب إلى الرسل الاثني

عشر)²⁹⁰ . ويؤيد ما سبق ما جاء في قاموس الكتاب المقدس: (يطلق الاسم [أي:

رسول] بصفة خاصة على تلاميذ الرب يسوع الاثني عشر الذين اختارهم ليعاينوا

حوادث حياته على الأرض ويروه هكذا بعد قيامته ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول

الروح القدس عليهم)²⁹¹ .

وهنا يجدر التنبيه على أن من المتأكد على المترجم أن يراعي الجوانب الدينية والثقافية

والاجتماعية والتاريخية للبيئة التي ينتمي إليها من يقرأ هذه الترجمة؛ فاللفظ قد يكون له

معنى في اللغة وله معنى آخر في العرف؛ فلا يسوغ أن يعمد المترجم إلى استعمال

اللفظ في معناه اللغوي مع إغفال المعنى العرفي مع كونه أقرب إلى ذهن القارئ.

2.3- ضعف التأصيل العلمي للمترجم

إن حقيقة الترجمة مبنية على قضيتين: فهم النص - وهذا هو الأساس - ثم التعبير عنه

بلغة أخرى.

²⁹⁰ المورد - قاموس عربي إنجليزي (55) - (Apostles Creed).
²⁹¹ قاموس الكتاب المقدس (403) مادة (رسول).

فترجمة السنة لا يمكن أن تتم إلا بفهم الحديث والإمام بمعناه والإحاطة بمدلوله وفق القواعد العلمية الصحيحة؛ وهذا يفتقر إلى قدرة علمية وتمكن شرعي؛ وإلا فإن الجاهل بالأحكام الشرعية قد يحمل الحديث على غير وجهه وينقل معناه على غير حقيقته.

وعليه فإن من شرط المترجم أن يكون على علم بقواعد الاستنباط ودلالات الألفاظ والناسخ والمنسوخ واصطلاحات أهل الفنون، وإشراف على كلام أهل العلم والمأثور عن السلف والتمييز بين ما يثبت وما لا يثبت، وأهم من ذلك كله: فهم معتقد أهل السنة والجماعة فهما صحيحا، ولزوم منهجهم في التقرير والاستدلال والتلقي.

إن طائفة من الأخطاء العقديّة في ترجمة السنة النبوية منشؤها ضعف المترجم العلمي وجهله الشرعي؛ لا سيما إذا لوحظ أن كثيرا من المترجمين يجمع مع ترجمة الألفاظ: الشرح والتحليل والترجيح، وهاهنا يقع كثير من الخلط؛ فقد يحمل المترجم -ضعيف التأصيل- الحديث على عمومته مع وجود مخصص له، أو يخصصه مع عدم المخصص، وقد يضخم النهي فيبلغ بالمعصية مبلغ الشرك، أو يهون منه فيجعل ما هو شرك في حكم المعصية، وقد يعتمد -لجهله- في ترجمته على كتب غير معتمدة، أو آراء غير محررة، أو أحاديث وآثار غير ثابتة.

وإذا كان موضوع المادة المترجمة يتعلق بقضية دقيقة كالصفات أو القدر أو نصوص الوعيد ونحوها كان احتمال الخطأ منه أكبر، وأثره أعظم. فكم من خطأ في هذه الأبواب قد يعصف بعقائد العوام حينما يتولى الترجمة من لا يفرق -مثلا- بين المحبة

والمشيئة، أو بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، أو بين الكفر الأكبر والأصغر، أو من لم يدرك المنهج الصحيح في فهم نصوص الوعيد كنفى الإيمان أو نفي دخول الجنة أو تحريمها عليه.

وإذا قيل: إن رجوع المترجم إلى كتب الشراح والمفسرين وترجمة ما قرره في شرح أمثال تلك النصوص يكفي؛ ولا حاجة لاشتراط القدرة العلمية في المترجم.

فالجواب: أن هذا إشكال آخر؛ فكثير من المفسرين أو شراح الأحاديث ليسوا على معتقد أهل السنة، وربما وقع في كثير من كلامهم مخالفة للمنهج الحق في تلك المسائل، وإذا لم يكن المترجم ذا تمكن علمي فلن يستطيع تمييز صواب قولهم من خطئه.

ومن الأمثلة التي تذكر في أثر ضعف التحصيل العلمي في وقوع الأخطاء العقديّة: ما وقع فيه محمد أسد في ترجمته لصحيح البخاري حين رفض تعريف جماهير أهل العلم للصحابي؛ وهو: " من رأى النبي عليه الصلاة والسلام مؤمنا به ومات على الإسلام"²⁹²، زاعما أن هذا من إفرازات القرون المتأخرة، وأن علماء المسلمين كانوا يعدون الصحابي نوعا مختلفا، فهو عندهم من كان مقربا من النبي عليه الصلاة والسلام وخالطه وجعله قدوة له، وثبت معه في المواقف الحرجة منذ وقت مبكر.

²⁹² تعليق ابن حجر في فتح الباري (5/7).

' وكان من ثمرات هذا الفهم أن وقع هذا المترجم في لزم الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنه "293. وما من شك أن من أسباب وقوع الكاتب في هذا الخطأ الكبير ضعفه العلمي وعدم تلقيه العلم على يد أهله النقات، ولعل حماسه للإسلام -بعد أن أسلم- كان الدافع له إلى أن يترجم صحيح البخاري -ومعاني القرآن أيضا- مع عدم أهليته، وعدم اعتماده في أداء هذا العمل الشاق على قواعد السلف وضوابط أهل العلم بعدهم، وإنما هي آراء شخصية وقراءات خاصة، وهي بلا ريب متأثرة بالثقافة التي نشأ عليها.

وليس ما ذكرته ضربا من الرجم بالغيب؛ فالكاتب السابق نفسه قد نعى -في ترجمته السابقة- على المسلمين أنهم لم يعودوا يفكرون تفكيراً مستقلاً عن تفكير القدماء، وطالب المسلم بعدم الإصاخة إلا إلى فهمه هو للقرآن!²⁹⁴

2.4- الانحراف العقدي للمترجم

والمقصود هنا الانحراف في الاعتقاد عن جادة الحق -اعتقاد السلف الصالح- إلى اعتقادات الفرق المنحرفة المنتسبة للإسلام، أما من لم يكن من أهل الإسلام أصلاً -كاليهود والنصارى وأذئابهم - فهؤلاء إن ترجموا فالغالب أن لهم مآرب سيئة: طعنا في الدين، وتشكيكا في أحكامه، وتحريفا لمفاهيمه.

²⁹³ الدكتور إبراهيم عوض في بحثه: "فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون" وهو منشور في موقعه على الشبكة:

www.awad.phpnet.us

²⁹⁴ المرجع السابق.

إن أعظم سبب لوقوع الأخطاء العقديّة في ترجمة السنة: انطلاق المترجم في ترجمته من عقيدة يعتقدّها مخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة. فأهل البدع والأهواء لم يزالوا جاهدين في حمل نصوص الكتاب والسنة وفق أهوائهم، وتأويلها لتوافق ما يعتقدون.

قال ابن القيم رحمه الله " وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذاهبها وبدعها وآرائها؛ فالقرآن عند الجهمية جهمي، وعند المعتزلة معتزلي، وعند القدرية قدري، وعند الرافضة رافضي، وكذلك هو عند جميع أهل الباطل ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (الأنفال: 34)"²⁹⁵.

وإذا كان هذا عملهم في شرح نصوص الكتاب والسنة باللغة العربية التي يفهمها أهل العلم، وفي إمكانهم الاطلاع على تحريفاتهم والرد عليها، فكيف سيكون الحال في الترجمات التي لا يطلع عليها غالبا إلا جهال المسلمين؛ لا سيما من كان منهم حديث عهد بالإسلام؟

لا شك أنه سيكون مجالا رحبا يخب فيه المبتدع ويضع؛ فينشر ما يشاء من التحريفات، ويبث ما يهوى من الشبه، ويصوغ ما يروق له من المفاهيم.

²⁹⁵ شفاء العليل (273/1).

2.5- غياب المراجعة الدقيقة للترجمة

وهذا السبب وإن لم يكن أصيلا إلا أنه سبب مساعد في انتشار الأخطاء العقديّة في ترجمات السنة النبوية وغيرها.

إن من الأسباب المساعدة في وقوع الأخطاء في الترجمة، الاكتفاء بعمل المترجم فحسب دون مراجعته مراجعة دقيقة من غيره؛ فالمترجم مهما بلغ من إجادة اللغة العربية أو اللغة التي يترجم المعنى إليها أو حتى من الناحية العلمية فهو عرضة للوقوع في الخطأ والسهو؛ ولذا فإن مرور الترجمة بعدة مراحل من المراجعة والتدقيق من عدد من ذوي الباع والخبرة لا سيما في اللغة والبلاغة والعقيدة سيقفل من وقوع الأخطاء في الترجمة، كما أن إهمال ذلك سيؤدي إلى ضده.

لذا فعملية الترجمة عملية أكثر تعقيدا مما قد يظن البعض، وهذه العملية تمر بعدد من المراحل هي القراءة ثم الفهم ثم المعالجة العقلية الداخلية ثم الانتخاب اللفظي ثم التعبير الكلامي مكتوب أو منطوق. إن المترجم الذي لا يضع نصب عينيه خطة واضحة لترجمة النص غالبا ما يكون عرضة للتشتت والضياع بل وأحيانا الانحراف والخروج عن قالب النص الأصلي لذا لا بد للمترجم أن يضع فرضيات وخطط ترشده خلال رحلته مع العمل المترجم وأن لا يختصر مراحل عملية الترجمة، و عندما يشرع البعض في ترجمة نص ما فإنهم لا يستشعرون أن هناك ثمة مراحل تمر بها عملية الترجمة وذلك لأنهم يقومون بها بصورة تلقائية إلا أن هناك مراحل متتالية مترابطة.

الإضمار ظاهرة لغوية جديرة بالاهتمام، ولكنها لم تنل العناية اللازمة من أسلافنا، فكانت أحاديثهم عنها قليلة لا سيما الضمير المستتر، فما جاء لم يزد عن كونه مجرد تعليقات مقتضبة وتقديرات للضمير الذي تتم به عناصر الجملة الأساسية، المصطلح عليها، وهي المسند والممسند إليه، متناسين أن مثل هذه التقديرات ربما تخرج الجملة عن معناها من ناحية، أو تنقض ما تعارف عليه النحاة من ناحية أخرى، وبذا يكون الإضمار - في مواضع - ضارا لا نافعا.

فالإضمار والضمير والمضمر كلها من مادة (ض م ر) ترد في المعجم²⁹⁷ بمعنى الخفاء والضالة والاستتار والسر، نقول: أضمره، أي: أخفاه، وما يضمرة الإنسان في قلبه، أي: ما يخفيه. والهوى المضمر: المخفي، أضمرته الأرض: غيبته بموت أو بسفر. والضمار من المال: ما لا يرجى رجوعه. ويضمير وجهه: انضمت جلدته هزالا. ومنه قول الكفوي: "الضمير في اللغة: المستور (فعل) بمعنى (مفعول) أطلق على العقل لكونه مستورا عن الحواس"²⁹⁸.

أما الضمير اصطلاحا فهو من المعنى اللغوي كما يقول ابن هشام: "وإنما سمي ضميرا من قولهم: أضمرت الشيء إذا سترته وأخفيته، ومنه قولهم: أضمرت الشيء في

²⁹⁶ حذف الفاعل واستتاره بين التنظير والواقع الاستعمالي. خالد بن عبد الكريم بسندي. جامعة الملك سعود-الرياض-2010

²⁹⁷ لسان العرب، ابن منظور، مادة(ضمير).

²⁹⁸ الكليات في الفروق اللغوية، الكفوي، قابله عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992، ص 571.

نفسية؛ أو من الضمور وهو الهزال؛ لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم تلك الحروف الموضوعية له غالباً مهموسة- وهي التاء والكاف والهاء- والهمس هو الصوت الخفي"²⁹⁹. وهو "الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب بعد سبق ذكره لفظاً أو تحقيقاً أو تقديراً أو معنى أو حكماً"³⁰⁰. وقد فرق الزركشي بين "الحذف والإضمار"، واشترط في المضمرة بقاء الأثر المقدر في اللفظ، في حين لا يشترط ذلك في المحذوف، وذكر أنه "لابد أن يكون فيما أبقى دليل على ما أُلقي"³⁰¹، وعليه فإن الإضمار إسقاط لعنصر ما مع الاحتفاظ به في الذهن. ويرى محمد الطيب

أن "الإضمار لا حدود له في النسق لأنه الوسيلة المعتمدة التي تمكن النحاة من تأويل ما خرج عن الأصول التي وضعوها"³⁰². وأفضل طريقة للتعامل مع هذا القول، كما يقول بوشعيب برامو "أن ننظر إليه من جهة العملية والمراد الشبكة المفهومية لهذه النظرية التي، في غالبها، تصف بنيات يحذف فيها العامل أو يحذف فيها المعمول، وأهم هذه المفاهيم العملية: القطع، والاختصاص، الاشتغال، والتوهم، والتنازع، والإغراء، والتحذير وأرى أن هذا يمكن أن يكون صحيحاً إذا جعلنا الإضمار مرادفاً للحذف، مع أن الحذف أعم وأوسع من الإضمار"³⁰³.

²⁹⁹ شرح شذور الذهب، ابن هشام، تحقيق: حنا القاخوري، دار الجليل، بيروت، ط1، 1988، ص 152.

³⁰⁰ أسرار النحو، ابن كمال باشا (أحمد بن سليمان)، تحقيق: أحمد حسن حامد، دار الفكر، عمان، ص 170.

³⁰¹ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 127/3.

³⁰² الجملة في كتاب سيبويه، محمد الطيب، كلية الآداب، ابن مسيك، الدار البيضاء، 1990م، ص 260.

³⁰³ ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة للفهم، بوشعيب برامو، ص 46.

3.1- آيات في القرآن الكريم لا فواعل لها

وردت في القرآن الكريم آيات تحتوي أفعالا لا فواعل لها، ويقول النحويون إنها تحمل ضميرا، ولكنهم يضطربون في عائده إن كان متعينا أو شيئا مبهما أو مصدرا للفعل. ولا نستطيع إنكار فائدة تحديد الفاعل في هذا المقام، فمعرفة وتعيينه أمر ضروري، لا من أجل تبين عناصر التركيب و حسب، بل من أجل تجلية المعنى أيضا. والقول بضرورة تقديره أو معرفته لا يمنع القول بحذفه من التركيب. وغالبا ما تدل عليه الحال والمقام. وفيما يلي نورد عددا من الآيات القرآنية ذات العلاقة:

1- قال تعالى ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ (يوسف 35). لا يتضح فاعل للفعل -بدا- في هذه الآية، والأصل ثم بدا لهم الأمر ولكنه حذف، وحذفه يشير إلى الاستخفاف به؛ لأنه أمر ساقط جائر فقد بدا لهم بعد ما رأوا الآيات فكيف يسجنونه؟³⁰⁴ " في حين قال الكوفيون: الفاعل جملة 'ليسجننه'. قال القرطبي: "هذا قول سيبويه. قال المبرد: وهذا غلط؛ لا يكون الفاعل جملة، ولكن الفاعل ما دل عليه -بدا- وهو مصدر؛ أي بدا لهم بداء؛ فحذف لأن الفعل يدل عليه"³⁰⁵.

"أما القول إن سيبويه ذكر أن الفاعل في هذه الآية جملة-ليسجننه- فهذا غير صحيح. وجملة ما قاله في هذا السياق " ألا ترى أنك لو قلت:بدا لهم أيهم أفضل،

³⁰⁴ خصائص التركيب ، محمد أبو موسى ، ص 179 .
³⁰⁵ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 186/9 .

لحسن كحسنة في علمتن كأنك قلت: ظهر لهم أهذا أفضل أم هذا³⁰⁶. وهذا دليل على أنه لم يصرح بمصطلح الحذف ولا الإضمار. وترك الأمر على أنه مفهوم من السياق. وذكر مكي ولم ينسبه إلى معين، واعتقده الكسائي أن الفاعل محذوف ولم يعوض منه شيء تقديره: بدا لهم رأي³⁰⁷. وقال البصريون في جملة "ليسجننه" هي مفسرة للضمير في -بدا- راجع إليه المفهوم منه. والذي ينبغي أن يقال: إنها جواب لقسم مقدر³⁰⁸. والقول بحذف الفاعل أولى من هذه التأويلات، وأقرب إلى واقع الآية.

(2) قال تعالى ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ (إبراهيم 45) وخرجت هذه الآية على نحو الآية السابقة، فقيل إن: الفاعل جملة "كيف فعلنا بهم" وهو قول ضعيف للكوفيين، وقيل: إن الفاعل ضمير مقدر يعود على "التبين" مصدر الفعل، وجملة الاستفهام مفسرة، وهو قول البصريين³⁰⁹ "والأقرب لمذهب الكسائي في جواز حذف الفاعل هو ما ذهب إليه البصريون إذ جعلوا الفاعل -التبين- وهذا التقدير للمصدر لا يمنع القول بحذف الفاعل فخلو التركيب منه دليل على حذفه، ألا ترى النحاة أوجبوا حذف الخبر بعد -لولا- ومع ذلك لم يمنعهم الحذف من تقديره، فقالوا: تقديره موجود أو كائن³¹⁰. فالتقدير لا يتعارض مع القول بالحذف؛ إذ غاية التقدير الوقوف على المعنى.

³⁰⁶ الكتاب ، سيويه ، 110/3 .

³⁰⁷ مشكل إعراب القرآن الكريم ، مكي بن أبي طالب ، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 78 .

³⁰⁸ اختلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (ت 802هـ) ، تحقيق: طارق الجنابي،

بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1987، ص 99 .

³⁰⁹ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994م، 235/7.

³¹⁰ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص 359 .

3) قال تعالى ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾ (طه 59) قرأ ابن مسعود ببناء الفعل -يحشر- للمعلوم، ونصب-الناس- مفعولا به. والفعل في هذه القراءة ليس له فاعل ظاهر، ولا يخفى أن الفاعل محذوف تقديره مفهوم للقارئ أو السامع وهو-الله. "وذكر ابن جني أن الفاعل هنا مضمرة أي: وأن يحشر الله الناس"³¹¹.

4) وقوله تعالى ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ (الأنعام 94) قرئ بنصب -بينكم-، و'حجة من نصب أنه جعله ظرفا، والتقدير: لقد تقطع وصلكم بينكم، ودل على حذف الوصل قوله "وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء" فدل هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شفعاؤهم، إذ تبرؤوا منهم فحسن إضمار الوصل بعد "تقطع" لدلالة الكلام عليه"³¹². "وقالوا: المراد: لقد تقطع الأمر فحذف الفاعل للإشارة إلى أنه أمر منقطع ساقط، والأمر المراد به العلاقة الموهومة بينهم وبين شفعاؤهم الذين زعموا أنهم فيهم شركاء"³¹³. ولا بد من مضاء رأي آخر في مثل هذه الأفعال التي يقدر فيها النحاة ضميرا عائدا إما على غير مذكور، أو على ما يفترض أنه مذكور، كالمصدر الذي يقدره البصريون، فيرى "أن الفعل يدل بمادته على الفاعل، ولا حاجة للإضمار؛ لأن المراد في مثل هذه الآية بالبناء للمعلوم هو إيقاع الفعل على الناس لا بيان الفاعل"³¹⁴.

³¹¹ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، 54/2
³¹² الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997م، 441/1.
³¹³ خصائص التركيب، محمد أبو موسى، ص 178.
³¹⁴ الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، 78-80، 91.

5) قال تعالى ﴿ حتى إذا فرغ عن قلوبهم ﴾ (سبأ 23) 'قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي بالبناء للمعلوم، أي: فرغ الله عن قلوبهم الروعة وخفف عنهم، فرغ أي: أخرج الله الفزع عن قلوبهم³¹⁵، وليس في هذه القراءة فاعل، قال ابن جني: "الفاعل ضمير ولم يبين بالضبط العائد عليه فإما أن يعود على الله، أي: كشف الله عن قلوبهم الفزع، وإما أن يعود على ما هناك من الحال الحاضرة، أي: كشف حاضر الحال عن قلوبهم الفزع، ويضيف قائلاً "واضمار الفاعل لدلالة الحال عليه كثير واسع"³¹⁶. وتقديراً ابن جني يلتقي مع ما ذهب إليه الكسائي إلا أن الكسائي لا يقدر ضميراً. فالفاعل بناء على هذه القراءة محذوف لدلالة السياق عليه.

6) ومن الآيات التي يدل المقام فيها على الفاعل المحذوف قوله تعالى ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ (القيامة 26) أي الروح. والحذف هنا لظهور الفاعل ظهوراً لا لبس فيه، والآية في ذكر الموت ولا يبلغ التراقي عند الموت إلا النفس والروح، وكان في إسقاطها من العبارة إشارة إلى ما هي عليه من وشك المفارقة³¹⁷.

7) وقوله تعالى ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ (ص 32) أي توارت الشمس، 'قحذفت الشمس لبيان المراد، ولأنها توارت فلام الحذف دلالة الكلام³¹⁸. قال الأزهري: "الفاعل ضمير مستتر مرفوع على الفاعلية راجع إلى الروح

³¹⁵ حجة القراءات، ابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997م، ص589.

³¹⁶ المحتسب، ابن جني، 192/2.

³¹⁷ خصائص التركيب، محمد أبو موسى، ص178.

³¹⁸ خصائص التركيب، محمد أبو موسى، ص178.

الدال عليها سياق الكلام" ³¹⁹ وهذا القول على ما فيه من دلالة على حذف الفاعل لا يخلو من تكلف، ذلك أن الضمير يعود على غير مذكور، أو على غير مقدر، والأصل عود الضمير على متعين لفظا لا تقديرا. والقول بحذف الفاعل لدلالة الحال الحاضرة عليه أولى من القول بأنه ضمير مستتر.

(8) قال تعالى ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ﴾ (الكهف 26). "ففي -أبصر بهم وأسمع- مذاهب،³²⁰ منها "المذهب القائل بحذف الفاعل، وذلك بأن الباء زائدة عند سيبويه، والهاء عائدة على لفظ الجلالة والتقدير: أبصر الله أي: صار ذا بصر، ثم نقل إلى صيغة الأمر، فبرز الضمير لزيادة الباء أو لعدم لياق الصيغة به، فيكون فاعل-وأسمع- على هذا المذهب محذوفا".³²¹

(9) قال تعالى ﴿ بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (الجمعة 5)، يقول أبو حيان: قال الزمخشري³²²: بنس مثلا مثل القوم، فخرجه على أن يكون التمييز محذوفا، وفي بنس ضمير يفسره مثلا الذي ادعى حذفه، وقد نص سيبويه على أن التمييز الذي يفسره الضمير المستكن في نعم وبنس وما أجري مجراها

³¹⁹ شرح التصريح، الأزهرى، 271/1.

³²⁰ التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح الحموز، 235/1.

³²¹ الكتاب، سيبويه، 97/4.

³²² للكشاف، الزمخشري، 530/4.

لا يجوز حذفه، وقال ابن عطية: والتقدير: بنس المثل مثل القوم، وهذا ليس بشيء؛ لأن فيه حذف الفاعل، وهو لا يجوز³²³.

10) قال تعالى ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ (غافر 35). ذكر الحوفي "أن التقدير: كبر مقتا عند الله جدالهم على حذف الفاعل، وهو عند أبي حيان من تفسير المعنى لا تفسير الإعراب"³²⁴.

11) قال تعالى ﴿فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة 259). ففاعل-تبين- مضمّر تقديره: فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، كما في قولهم: ضربت زيدا: ويجوز: فلما تبين له ما أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى³²⁵. ومن هنا نجد الزمخشري قد ذكر مصطلح الإضمار وأتبعه بقوله: فحذف الأول يعني: -أن الله على كل شيء قدير- وهو الفاعل لدلالة الثاني عليه، وهذا تصريح منه بأن الفاعل يحذف من الفعل الأول في باب التنازع كما هو بين-تبين- و-أعلم- على قوله-إن الله على كل شيء قدير.

³²³ البحر المحيط ، أبو حيان ، 264/8 .

³²⁴ البحر المحيط ، أبو حيان ، 464/7 .

³²⁵ البحر المحيط ، أبو حيان ، 295/2 .

12) ورد حذف الفاعل في الحديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" فالفعل - يشرب - في هذا الحديث لا فاعل له كما ترى، وإذا قدرنا ضميراً مستتراً فإن الأمر لا يستقيم لأنه يوهم أنه عائد على الزاني، وهذا فاسد، أما جعل الضمير عائداً على الشارب المفهوم من الشرب، ففيه تكلف أيضاً؛ لأن الأصل في الضمير أن يعود على متعين.

ومما جاء على حذف الفاعل لقوة الدلالة قولهم: (أرسلت) وهم يريدون جاء المطر ولا يذكرون السماء، ولكنهم لا يقولون هذا إلا في حال سقوط المطر، ولذلك كانت الدلالة على المحذوف راجعة إلى قرينة الحال.

يتبين مما سلف أن التعبير عن معنى محدد يتخذ أشكالاً لغوية معقدة تظهر وتضمحل حسب العلاقة التي تجمع المتكلم بمخاطبيه، وحسب الصورة التي يرسمها لهم مسبقاً، فنحن إذا أخذنا خطاباً بين أخصائيين مثلاً نجد أن نسبة المضمحل عالية جداً، بينما إذا أخذنا خطاباً متخصصاً موجهاً إلى جمهور عريض نجد أن اللجوء إلى الإفصاح وإلى التفسير والشرح هو الغالب. وعلى العموم فإن المتكلم أو الكاتب لا يقول بالكلمات كل ما يريد تبليغه من معنى، لأن المقام أو السياق يلعبان دوراً كبيراً في التفسير وفي تبين ما أضمحل من كلام. ومن ثم فإن المترجم يختلف عن القارئ العادي باستجلاء ما أضمحل من أفكار وقراءة ما بين السطور، ليتمكن من تحصيل المعنى كاملاً ومن دون أي نقص. والأمر يستوجب من المترجم للنص القرآني أو الحديث النبوي إماماً شاملاً

بدقائق اللغة العربية و تشخيصات معمقة لإكتشاف خبايا المعاني الحلية و المضمرة، وكما يقول جان دوليل Jean Delisle: "إن الانتقال من المفصح عنه في النص المراد ترجمته إلى المضمّر يعني اكتشاف هذا النص انطلاقاً من قراءة معمقة قصد فهم إحياءاته الدقيقة. وهذا يتطلب من المترجم أن يحصل القيمة السياقية لكل الكلمات عبر وزن أهمية دلالاتها النسبية ثم تقييم الأسلوب وحصر معنى الجمل داخل المقامات التي جاءت فيها"³²⁶

3.2- المعاني المضمرة والمعاني الجلية³²⁷

يسعى المترجم إلى بلوغ مقصد الكاتب معتمداً في ذلك على التحليل النصي وليس على التحليل اللغوي. والمعنى المطلوب نقله إلى اللغة الهدف هو ذلك الذي يحمله النص الأصل إلى أولئك الذين يملكون المعرفة اللازمة لفهمه. ويمكن القول إن المشكلة واحدة في كلتا الحالتين. فكما أنه من السهل أن تتحول الجمل المجتثة من السياق الذي وردت فيه إلى عبارات مغرّضة لأن السياق الجديد الذي توضع فيه قد يضيف عليها مدلولات مغايرة لتلك التي رمى إليها الكاتب، فإن ترجمة الجمل المعزولة قد تثير أيضاً الغموض واللبس. فلو ترجمنا نصاً ما جملة جملة مستندين إلى اللغة الأصل أكثر من استنادنا إلى استمرارية فكر الكاتب، لكانت النتيجة تجاور عناصر لغوية معزولة يمكن نقل كل

الترجمة والتأويل. ترجمة: الدكتور: محمد نبيل التحاس الحمصي. كلية اللغات والترجمة. جامعة الملك سعود. الرياض 2010. السعودية.

³²⁷ Analyse du Discours comme méthode de traduction; Jean Delisle, Éditions de l'Université d'Ottawa, 1980, p35

واحدة منها على حدة إلى لغة أخرى، وإذا جمعناها في نص واحد أصبح لدينا نص أشبه بلعبة بزل- Puzzle ركبت قطعها تركيباً خاطئاً، أي أنه يتنافى مع الطريقة الطبيعية للتعبير في اللغة الهدف. ذلك أن كل كلمة معزولة، وكل عبارة خارجة عن سياقها، وكل مقولة غير مكتملة تحمل عدداً من المعاني الكامنة والممكنة بعيداً عن أي معنى حقيقي. إن الكلمة خارج السياق جزء من اللغة لم يتحول إلى رسالة. وينطبق هذا الأمر على اللغة مقارنة بالنصوص؛ فمعرفة اللغة شرط أساسي للترجمة؛ ولكن هذه المعرفة لا تعني تحقق الترجمة؛ إن استخدام اللغة هو فقط ما يهم الترجمة. للدلالة على أن التحليل اللغوي يستخلص المدلولات الكامنة في اللغة، وأن المعنى لا يتبلور بنتيجة التحليل اللغوي فحسب. يقول فينيه وداريلنيه (1966) VINAY Et DARBELNET: "إننا نتردد في ترجمة الكلمة الانجليزية "Hospital" بالكلمة الفرنسية "Hôpital" لأن الأخيرة كانت في وقت ما توحى بالفقر والعوز. لذلك فإن ترجمة العبارة الانجليزية I went to see him at the hospital إلى الفرنسية Je suis allé le voir à sa clinique -ذهبت لمقابلته في مستوصفه- تكسبها في حالات معينة دقة أكبر.

إن التحليل اللغوي يشير إلى عدم وجود تطابق كامل بين الكلمتين المتشابهتين الانجليزية والفرنسية؛ ولكن ليس هذا ما يثير اهتمامنا. المهم في العبارة هو أنها تولد تداعياً في الأفكار وتقودنا نحو فرضية دلالية: عندما نقرأ العبارة الانجليزية تصورت

أن الأمر يتعلق بزيارة صديق مريض؛ ولكن عندما نقرأ ترجمتها الفرنسية - ذهبت لرؤيته في مستوصفه - توقفنا عند أداة الملكية - sa- و نصح نرى أن : لا بد أن قائل العبارة طبيب لأنه لا يمكن الذهاب لعيادة مريض في مستوصفه... إنه طبيب إذن، أو حتى ممرض أو مدير أو حارس ... وربما أصابتنا الدهشة للبون الشاسع بين المدلول الحقيقي للعبارة وكل هذه الافتراضات لو عرفنا القصة التي تتدرج في إطارها هذه العبارة³²⁸ . هذا يعني أن سلسلة التفسيرات الممكنة تتناقص إلى حد كبير عندما توضع العبارة في سياقها ، لأن مقصد الكاتب ليس غامضا على وجه العموم ويمكن إدراكه بسهولة ويسر .

3.3-الجهل بمعاني الألفاظ في اللغة العربية

يتفق المتخصصون في علم الترجمة على أن " إتقان اللغتين - المترجم منها والمترجم لها- كتابة وقراءة أمر ضروري لسلامة عملية الترجمة وصحة وصف القائم بها بالمترجم " ³²⁹.

ويتفق هؤلاء المتخصصون على أن " المشكلة الكبرى في الترجمة تتعلق بدلالة الكلمات وحدود معانيها ولا سيما في النصوص الأدبية - المعتمدة على الأفكار

³²⁸ Vinay (J.-P.) et Darbelnet (J.). *Stylistique comparée du français et de l'anglais*.
Thompson Albert W. *Revue belge de philologie et d'histoire* Année 1960 Volume38 Numéro
38-2 pp. 451-452.

³²⁹ دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس (ص: 171)

والتصوير والعاطفة والتأثير»⁽³³⁰⁾.

أن يكون المترجم لغويا أو نحويا هما رأيان لمراقبين لم يختبرا فعل الترجمة. ولكن موقف المترجمين من مسألة إتقان اللغة يبقى موضع تساؤل. تتعدد الآراء ويأتي بعضها وكأنه رد غير مباشر على المشككين والمتهمين. فمن المترجمين من يتباهى بقدراته اللغوية كحنين بن اسحق مثلا الذي يقول إنه ينقل العلوم "في نهاية ما يكون من حسن العبارة و الفصاحة، ولا نقص فيها ولا استغلاق ولا لحن، باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحو"³³¹. وعلى بعد قرون منه كلام مشابه لرفاعة الطهطاوي. يقول في مقدمة أحد كتبه المترجمة، وباللغة المسجعة الرائجة آنذاك: "جاء هذا الكتاب يعجب الواقف عليه لجودة عبارته الفايقة. وحسن تراكيبه الراقية"³³². ولا يتوانى كذلك البعض عن توجيه الانتقاد متى لاحظ ترجمات تظهر فيها قلة معرفة لغوية. ولا شك في أن مهاجمة أحمد فارس الشدياق المستعربين توضع في هذا الإطار. فهو يعي خطورة أن يُقدم هؤلاء على الترجمة وهم غير متمكنين من اللغة العربية.

ولم تزل معاني الألفاظ ودلالاتها في اللغة العربية بحرا لا يحسن الخوض فيه إلا من تسلح بسلاح العلم التام بلغة العرب مع تحليه بالصبر والمثابرة وكثرة رجوعه إلى

(330) دلالة الألفاظ (ص: 174).

³³¹ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثاني، ص 150.
³³² الطهطاوي، الأعمال الكاملة، ص. 365، من مقدمة كتاب: الجغرافية العمومية.

المصادر الأصلية المعينة على حسن الفهم.

وقد أكثر المستشرقون من ادعاء الفهم لمعاني الألفاظ في اللغة العربية، وإنقار المعرفة لدلالاتها حتى آل الأمر ببعضهم إلى إصدار أحكام على القرآن تفدح في عربية بعض ألفاظه أو سلامة معانيها بالمقارنة مع بعض النصوص المنسوبة للشعر أو النثر الجاهلي³³³.

إلا أن هذه الادعاءات لا تصمد أمام النقد العلمي القائم على تتبع هذه الترجمات، ورصد مدى المعرفة التي يتمتع بها أصحابها لمعاني الألفاظ في اللغة العربية. وسأكتفي في هذا السياق بإيراد بعض الأمثلة التي تبين مدى التشويه الذي أحقه المستشرقون بالنص القرآني:

1- ترجمة بالمر Edward Henry Palmer ليوم التغابن المذكور في قوله تعالى ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن...﴾ (التغابن - 9) بـ"يوم الغش والاحتتيال"³³⁴ وهو معنى غير صحيح.

قال الراغب الأصفهاني: الغبن أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء... ويوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله و الله رؤوف بالعباد﴾ (البقرة - 207)،

³³³المستشرقون وترجمة القرآن لمحمد البنداق (ص: 99).

³³⁴ الإستشراق والقضايا الإسلامية (ص: 733).

ويقوله ﴿إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة و لا يكلمهم الله و لا ينظر إليهم يوم القيامة و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم﴾ (آل عمران- 77)، فعلموا أنهم قد 'غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوه من ذلك جميعا' ³³⁵.

2- ترجمة جفري Jeffrey Brown لمعنى قوله تعالى: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ (القيامة- 34، 35) بقوله: 'أقرب لك ودائما أقرب إلى الساعة ومن ثم فهي أقرب لك ولا تزال أقرب' ³³⁶.

قال الراغب في معنى الآية: وقوله تعالى: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ كلمة تهديد وتخويف، يخاطب بها من أشرف على هلاك فيحث بها على التحرز، أو يخاطب بها من نجا ذليلا منه فينهى عن مثله ثانيا، وأكثر ما يستعمل مكررا، وكأنه حث على تأمل ما يؤول إليه أمره لينتبه للتحرز منه' ³³⁷.

3- ترجمة جورج سيل George Sale لمعنى قوله تعالى: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات و الأرض.أبصر به و أسمع ...﴾ (الكهف- 26) بقوله: 'هل أنت الذي تستطيع أن تجعل الله تعالى يرى ويسمع' ³³⁸.

335 المفردات للراغب (ص: 602).

336 الإمشراق والقضايا الإسلامية (ص: 735)

337 مفردات للراغب (ص: 100).

338 الإمشراق والقضايا الإسلامية (ص: 733).

وواضح أن المعنى الذي ذهب إليه سيل يخالف المراد بالآية التي نتحدث عن عظمة الله وقدرته، وأنه لا يخفى عليه شيء، وأنه يبصر أفعال خلقه، ويسمع ما يصدر عنهم من أصوات، فحق على الخلق أن يعظموه ويعبدوه.

4- ترجمة مارمدوك PICKTHALL MARMADUKE MOHAMMED معنى قوله تعالى ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ... ﴾ (الأنبياء- 18) بقوله: " فيشج رأسه"³³⁹. والصواب أن الدماغ كسر الدماغ، وفرق بينه وبين شج الرأس، ف"الشج لا يتناول إلا المحسوس من الأشياء، أما الدماغ فيشمل الأمور المعنوية والحسية فالحق يدفع الباطل أي يكسر دماغه وأصل باطله"³⁴⁰.

5- ترجمة ماكس هاننج MAX HENNING الإبل المذكورة في قوله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ (الغاشية- 17) بالسحاب"³⁴¹ وهو خطأ واضح لا يقع فيه إلا من لم يكن له أدنى معرفة بمعاني الألفاظ في لغة العرب.

6- ترجمة سافاري SAVARY CLAUDE-ÉTIENNE معنى قوله تعالى ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ (البقرة- 108) بقوله: "أتسألون رسولكم ما سأله اليهود من موسى"³⁴².

339 المستشرقون وترجمة القرآن الكريم (ص: 125).

340 المفردات للراغب (318).

341 المستشرقون وترجمة القرآن الكريم (ص: 125).

342 المستشرقون والقرآن. د. إبراهيم عوض (ص: 12).

7- ترجمة سافاري معنى شعائر الله المذكورة في قوله تعالى: ﴿إن الصفا و المروة من شعائر الله﴾ (البقرة- 158) بـ "آثار الله"³⁴³.

8- ترجمة جاك بيرك Jacques Berque معنى قوله تعالى ﴿و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ (التوبة-102)، بقوله: "عسى الله أن يندم لصالحهم"³⁴⁴.

قال الراغب الأصفهاني: "التائب يقال لبازل التوبة ولقابل التوبة فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده"³⁴⁵.

9- ترجمة جاك بيرك معنى أم الكتاب وهي سورة الفاتحة بأنها: "والدة الكتاب"³⁴⁶ وهو جهل واضح بمعنى لفظ الأم في اللغة الذي لا يقتصر فقط على الوالدة.

قال الراغب: "يقال لكل ما كان أصلا لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم، قال الخليل: كل شيء ضمّ إليه سائر ما يليه يسمى أمّا، قال تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات﴾ (آل عمران - 7)"³⁴⁷.

343 للمستشرقون والقرآن (ص: 13).

344 إعادة قراءة القرآن، ردهد رجب اليومي على جاك بيرك (ص: 236).

345 للفردات (ص: 68).

346 إعادة قراءة القرآن، (ص: 236).

347 للفردات (ص: 85).

10- ترجمة جاك بيرك معنى قوله تعالى ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ...﴾ (البقرة- 26). بقوله: " إن الله لا يشمنز من استخلاص تشابه من دودة" ³⁴⁸.

ولم يرد من معاني الحياء في اللغة العربية الاشمزاز، بل هو أمر أحدثه هذا المترجم لجهله بمعاني الألفاظ في اللغة العربية.

لقد منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاعتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول العلامة الرافعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز،

(348) إعادة قراءة القرآن (ص: 275).

وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شبح ولا قيصوم³⁴⁹

3.4- الجهل بأساليب الخطاب في اللغة العربية

من أهم الأمور التي يجب أن يلم بها المترجم معرفة أساليب الخطاب وصور البلاغة في اللغة التي يترجم منها إلى لغة أخرى بحيث لا يقف عند ظاهر اللفظ دون معرفة ما يدل عليه.

ومن الملاحظ جهل كثير من المستشرقين بالصور البلاغية والأساليب المتبعة في الخطاب عند العرب وقد أثر هذا بشكل واضح على ترجماتهم لمعاني القرآن كما في الأمثلة التالية:

1- عند قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ (النبأ 10)، ترجم كلود إتيان سافاري

Claude-Étienne Savary ودينيز ماسون Denise Masson وبييرشتاين

كازيميرسكي Albert Kazimirski de Biberstein معنى اللباس بالثوب أو الرداء

³⁴⁹ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، 2005 (ص 235)

350 " وهي ترجمة حرفية مخالفة لأسلوب الخطاب في اللغة العربية القائم على البلاغة وإدراك مقتضى الحال، فالليل ليس ثوبا حسيا يلبس لكن المقصود أن الليل سائر بسواده فشبهه باللباس بجامع الستر وجاء النظم قمة سامقة في البلاغة والاختصار.

2- عند قوله تعالى: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ (مريم 28). " ترجم جورج سيل George Sale معنى (أخت هارون) بـ (شقيقة هارون) ثم زعم أن القرآن يخلط بين مريم التي هي أم المسيح عيسى، ومريم أخت هارون وموسى، مع أن بينهما حقبة زمنية تصل إلى ألف وثمانمائة سنة تفرق ما بين عمران وهو أبو موسى، وبين عمران الذي هو أبو مريم³⁵¹.

وقد أوقع سيل في هذا الخطأ جهله بأساليب الخطاب في اللغة العربية فإن العرب تعبر بالأخ عن المنتمي إلى مجموعة ما، وهو أسلوب معهود في القرآن كما في قوله تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ (هود 61)، وقوله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ (هود 50). وليس المقصود أن صالحا شقيق لكل أفراد قبيلة ثمود، ولا أن هودا شقيق لكل أفراد قبيلة عاد، فالمقصود بقولهم لمريم يا أخت هارون التذكير لها بأنها تنتمي إلى عائلة

350 لمستشرقون وترجمة القرآن الكريم لمحمد البنداق (ص: 126).

351 الإستشراق والقضايا الإسلامية د. أحمد الحصين (ص: 743).

شريفة القدر هي عائلة هارون لا أنها شقيقته.

3- 'عند قوله تعالى ﴿ فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ (يوسف 28) ترجم جاك بيرك معنى القد بالتقب، وصار المعنى في ترجمته فلما رأى أن قميصه كان منقوبا من الخلف " 352.

ومعلوم أن القد غير الثقب أو الخرم فقد فلان الثوب يعني أنه شقه طولا، وهو من أساليب الخطاب المعهودة في العربية، يقال: قدّ قلب فلان من صخر، أي أنه شق من صخر فهو قاس لا يلين.

4- 'عند قوله تعالى ﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (الرعد 39).

أخطأ جاك بيرك Jacques Berque نتيجة جهله بأساليب الخطاب في اللغة العربية فترجم المعنى بأن الله يحو ويبدل ويؤكد النبوءات وفقا لهواه " 353.

والمعهود من أسلوب الخطاب في العربية ينفي ما ذهب إليه هذا المترجم، فما يشاؤه الله سبحانه وتعالى لا يترجم بما يوافق هواه كما جاء عند جاك بيرك بل المقصود أن قدر الله كائن وفقا لما يريد سبحانه إرادة كونية أو إرادة شرعية.

5- 'عند قوله تعالى ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ (الواقعة 75) .

352 موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز (ص: 66).

353 موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز (ص: 69).

ترجم سيل معنى العبارة بقوله: "علاوة على ذلك فإنني أقسم بأماكن النجوم"³⁵⁴ وقد وقع المترجم هنا في خطأين اثنين لجهله بأساليب الخطاب في لغة العرب.

1- أن كلمة (فلا أقسم) لا تعني: "علاوة على ذلك فإنني أقسم" بل تعني لذا فإنني لا أقسم.

2- أن مواقع النجوم لا تقتصر فقط على أماكن النجوم بل تشمل كذلك ما تمر به وتهوي إليه³⁵⁵.

نخلص هنا إلى أن اتساع اللغة، وتعدد مدلولات الكلمة، يجعل القارئ يقف مع بعضها موقف المتردد في تنزيلها على أي المدلولات التي ظهرت له، فإذا ما كانت الكلمة قد رسخت في ذهنه على مدلول معين؛ سارع في تنزيلها حسب اصطلاحه هو في كلامه، لا على اصطلاح المتكلم.

ولهذا وقع الغلط في الفهم والاستدلال في شتى الفنون؛ بسبب العزوف عن فهم مصطلحات المتكلم، قبل البدء في تفهمه، والاستدلال به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "... وكذلك الألفاظ المشتركة والمنقولة والمغيرة شرعا، نقلا وتغييرا شرعيين أو عرفيين، إنما يريد بها المتكلم في الغالب أحد المعنيين، وهذا باب

354 الإستشراق والقضايا الإسلامية د. أحمد الحصين (ص734).

355 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (6393/7).

واسع، فمن تأمل كل لفظ في كلام متكلم، رأى أنه يجوز أن يزداد به من المعاني ما شاء الله، والمتكلم لم يرد إلا واحدا من تلك المعاني...³⁵⁶

4-مظاهر الإعجاز الترجمي:

لا أحد يستطيع أن يدعي بأنه قادر على الإتيان بترجمة للقرآن الكريم تغني القارئ عن القرآن في لغته، وكل من ادعى ذلك فادعائه مردود عليه لأمرين:

أولهما: أن العرب عجزوا عن الإتيان بمثله أو من مثله في لغة التثنية، وهو أسهل منالا منالإتيان به في غير لغته. وبلغة الترجمة نقول: إذا ثبت العجز في لغة الأصل، فالعجز من باب الأولى والأحرى ثابت لا محالة في لغة الهدف.

ثانيهما: أن من ادعى أنه قادر على الإتيان بترجمة للقرآن الكريم، فكلامه مردود عليه أيضا لأمرين:

الأمر الأول: أن لغة الهدف تعجز مهما بلغت أعلى درجات البيان عن استيعاب الكلام الإلهي، أما الحجة في ذلك، فكما يقول الفيلسوف طه عبد الرحمان: "أن القول الثقيل قول متعال، لا متناه وكوني"³⁵⁷، أما الترجمة التي يقدمها المعترض ف"لا يمكن إلا أن تكون قولا خفيفا، والقول الخفيف هو ما كان قائله غير متعال ومضمونه متناهيا ومتلقيه غير كوني"³⁵⁸.

³⁵⁶تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدال الباطل لشيخ الإسلام 474/2-475

³⁵⁷القول الثقيل والترجمة التأصيلية: آفاق وحدود: ص: 15

³⁵⁸نفسه: ص: 16

الأمر الثاني: لو سلمنا جدلاً بصحة دعوى المعترض، للزم من ذلك أن ترجمة القرآن تغني القارئ الهدف عن الأصل، وهذا ما لم يقدر أحد من المترجمين على فعله أو ادعائه، فترجمة القول الثقيل لا يمكن تسويتها بترجمة القول الخفيف. فترجمة القول الخفيف إلى قول خفيف يغنيك عن الأصل، أما ترجمة القول الثقيل إلى قول خفيف فلا يغنيك عن الأصل أبداً، وهو تحد قائم على مر العصور، يؤكد مشروعية ما ذهبنا إليه من أن "الإعجاز الترجمي" وجه من وجوه إعجاز كتاب الله.

ويمكن تلخيص وجوه الإعجاز الترجمي في مستويين، نظري وإنجازي.

5- نقد المستوى النظري لترجمة القرآن:

يمكن القول إن كل النظريات السائدة في حقل الترجمة لا تصلح أن تكون إطاراً نظرياً لترجمة القرآن الكريم، بل هي عاجزة عن القيام بذلك. فإذا كانت هذه النظريات ناجحة في التنظير لترجمة القول الخفيف، فإنها مفلسة في القول الثقيل، وبيان ذلك على سبيل التمثيل، أن النظرية الوظيفية (Nord 1991) تعتبر الفعل الترجمي تداخلاً ثقافياً بين النص الأصلي والنص الهدف، وأن على المترجم تكيف النص الأصلي لشروط ومقتضيات لغة الهدف. فإذا كان هذا الكلام مقبولاً ومجدياً ومثمراً في الكلام البشري لما بين الناس من تجارب إنسانية مشتركة، وقواسم ثقافية متداخلة، فإنه غير ذلك في الكلام الإلهي، وذلك لأن القرآن نزل ليبين للناس أمور دينهم ودنياهم ليتمثلوه ويقتدوا به، فالأولى بالمترجم أن يتشبث بالأصل لا بالفرع.

أما النظرية التواصلية (Hatim 1997) فتسعى إلى خلق معادلات ثقافية في لغة الهدف وتدعو المترجم إلى الاهتمام بنصية Textuality النص والحفاظ على روحه في لغة الهدف. إن العمل بمقتضيات هذه النظرية مريح في الكلام البشري لما يحققه من تقارب بين الشعوب والثقافات، أما القرآن فقد نزل ليسعى الناس إليه ويلتفوا حوله ويعتصموا بحبله، ولو أجزنا العمل بمقتضيات هذه النظرية، لتعددت أرواح النص القرآني تعدد الأقوام والشعوب وصار لكل قوم قرآنه حسب ما تقتضيه ثقافته وعاداته. وهذا سر من أسرار هذا الإعجاز الترجمي الذي ندعو إلى التأمل فيه.

هذا كلام مقتضب عن بعض الاتجاهات النظرية في حقل الترجمة، أما على مستوى المصطلحات، فسنوقف عند بعضها لنبين قصورها عن استيعاب النص القرآني، وهو قصور يكرس عجزها أمام قول لا يشبه باقي الأقوال، وأمام مضمون قول لا يشبه مضامين باقي الأقوال.

5.1- الترجمة / la Traduction / التكيف / Adaptation

تقوم نظرية الترجمة على ثلاثة مرتكزات أساسية: وهي المعنى le Sens والهدف le But والقصدية l'Intention، فيختص مصطلح الترجمة بالمعنى، ومصطلح التكيف بالهدف والقصدية. فقد ورد في موسوعة الترجمة "أن مصطلح الترجمة يقتصر على

المعاني، في حين يهدف التكييف إلى نقل أهداف النص والإفصاح عن قصدية المتكلم³⁵⁹.

إن ما يجري في عملية نقل معاني القرآن الكريم أكبر مما يمكن لمصطلحي الترجمة والتكييف وصفه، فلا يمكن الزعم أن ما يقوم به مترجم القرآن ترجمة، لأن معاني القرآن الكريم لا يمكن الإحاطة بها لا في ذواتها ولا في صيرورتها، وبالتالي ما يفعله المترجم، هو نقل لبعض هذه المعاني وليس كل المعاني. كما لا يمكن الزعم أيضا أن ما يقوم به المترجم هو تكييف، لأن هناك آيات محكمات في القرآن لا يمكن تكيفها، كما أن مراد الله لا يمكن لأحد أن يدعي قدرته على الإفصاح به، وبالتالي ما يمكن للمترجم فعله هو نقل لبعض أهداف هذا النص، وبعض من مراده عز وجل. أضف إلى ذلك أن الترجمة والتكييف هما نوعان من إعادة كتابة النص الأصلي في لغة الهدف، وإعادة الكتابة لا تفسد النص في الكلام الخفيف ولكنها متلفة مضللة في القول الثقيل.

ثبت فيما سبق قوله أن في مصطلحي الترجمة والتكييف عجزا ملحوظا عن الوصف والتنظير لكيفية نقل معاني القرآن الكريم، وهذا ضرب من الإعجاز الترجمي الذي ندعو إلى النظر فيه، يبقى أن نتساءل عن كيفية نقل معاني القرآن الكريم.

السيبل إلى ذلك هو بناء نظرية ترجمية تولد من رحم القرآن، تتبنى الإعجاز الترجمي إطارا نظريا لها، وتتطلق منه لتأسيس آليات نظرية تعكس الإعجاز الترجمي، وتسعى إلى تقريب القرآن الكريم إلى القارئ الهدف لتحسيسه بحيلولة الإعجاز الترجمي دون

³⁵⁹ Encyclopaedia of Translation: 1998: p 8.

إدراك مغازي القرآن في لغة الهدف، وأن الإدراك الحقيقي لا يتمثل إلا في لغة الأصل، وهذا ضرب من ضروب الإعجاز الترجمي، لا يقوى على الوصول إليه قول من الأقوال الخفيفة.

ولذلك نرى أن الوصف الأنسب للفعل الترجمي لمعاني القرآن الكريم، والذي يتماشى مع مفهوم الإعجاز الترجمي، هو استبدال مفهومي الترجمة والتكليف بمفهوم الاقتباس الذي يعكس عجز المترجم والفعل الترجمي في آن واحد عن الإحاطة بالنص القرآني.

لقد وضع الفيلسوف طه عبد الرحمن آلية الاقتباس لمواجهة فعل الاختلاس الذي يتصف بهما كل من مصطلحي الترجمة والتكليف، فالأقتباس مقوم من مقومات الترجمة التأصيلية ومفاده: "أن يخرج الناقل عن الشعور بأنه يترجم القول الثقيل نفسه إلى الشعور بأنه يترجم عن القول الثقيل"³⁶⁰، وشتان بين الترجمة والتكليف اللذين يدعي فيهما المترجم ترجمة المعنى والهدف والقصدية، وبين مفهوم الاقتباس الذي يفيد أن المترجم يترجم عن القرآن وليس القرآن، ففي الأقوال الخفيفة يستطيع المترجم أن يدعي أنه يمارس الفعل الترجمي، وأنه ينقل مراد الكاتب وقصده، ولكنه لا يستطيع ادعاء ذلك في القرآن الكريم. فالقول بالاقتباس اعتراف بالإعجاز الترجمي للقرآن الكريم.

5.2

³⁶⁰القول الثقيل والترجمة التأصيلية: آفاق وحدود: ص: 25

5.2- المعادلة التفاعلية l'Equivalence Dynamique

جاءت نظرية المعادلة التفاعلية لتحقيق طفرة نوعية في شروط الفعل الترجمي، فقد طرح (Nida 1969) تساؤلا عن جدوى ترجمة الإنجيل ترجمة لا تخلق في القارئ الهدف استجابة شبيهة باستجابة القارئ الأول؟ فهم المعادلة التفاعلية كما يقول Nida هو أن تقدم "في لغة الهدف نصا معادلا في معناه وأسلوبه يكون أقرب إلى التماثل من النص الأصلي"³⁶¹.

وإذا كان هذا هو نهج ترجمة الإنجيل، فالأمر ليس كذلك بالنسبة إلى القرآن الكريم. فلن تستطيع أي ترجمة الإحاطة بمعناه، وكذلك لن تستطيع أي ترجمة مضاهاة أسلوبه، سواء في لغة المصدر أو لغة الهدف على حد سواء. وأقصى ما يمكن للمترجم فعله هو ترجمة اقتباسية لبعض معانيه في لغة لا تروي ظمأ القارئ الهدف. فيكون هدف الترجمة الاقتباسية هو تحقيق المعادلة التفاعلية، مادام البيان الحقيقي لا يتأتى إلا في لغة الأصل، أما البيان الترجمي فللاستئناس والتحفيز لا غير، و مادامت المعادلة التفاعلية أيضا عاجزة عن ترويض القارئ الهدف، واستحالة تطبيقها على القرآن الكريم، وبالتالي يصبح ضربا من ضروب الإعجاز الترجمي.

إن المعادلة التفاعلية تجد في كلام الفيلسوف طه عبد الرحمن ما يؤصل لها ويدعمها ويضفي عليها الحجة العقلية و المنطقية، وذلك في دعوته إلى قلب التصور القديم

³⁶¹ Language Structure and Translation: p 68.

لطبيعة الأصل والنقل باعتبارها آلية من آليات مواجهة فعل الاختلاس الترجمي، إذ يقول: "يسود الاعتقاد بأن النص الأصلي الذي ينقله المترجم يمثل "الأخر" أو "الغير" أو "الغريب"، بينما تمثل ترجمته "الأنا" أو "الذات"³⁶². إن هذا الطرح القديم يصلح تبنيه في الأقوال البشرية، ولكنه حسب الفيلسوف طه "لا يصح في حق علاقة القول الثقيل بالقول "البروميثي" بل العكس هو الصحيح، إذ القول الثقيل هو الذي يكون محل "الذات" في حين يكون القول "البروميثي" هو محل "الغير"³⁶³. والسبب في ذلك هو أن القول الثقيل قول متعال لا متناهي وكوني.

فإذا كان هدف المعادلة التفاعلية هو "نقل النص الأصلي على الوجه الذي يوفي بمقتضيات المجال التداولي للمتلقي"³⁶⁴ وهو أمر غير مقدور عليه لما يوجد في القرآن الكريم من إعجاز ترجمي يحول دون تحقيق تلك المعادلة، فإن هدف المعادلة التحفيزية هو "نقل المتلقي نفسه إلى مستوى الوفاء بمقتضيات النص الأصلي"³⁶⁵.

5.3-الريح والضياع: la Perte et le Gain

إذا كان "الريح والضياع" مفهوما واصفا بامتياز لما يجري في عملية النقل الترجمي في القول الخفيف، فإن الأمر ليس كذلك في نقل معاني القرآن الكريم. فإذا جاز لنا الحديث عن الريح والضياع بين لغة الأصل ولغة الهدف، فالأمر ليس كذلك في القول الثقيل

³⁶²القول الثقيل والترجمة التأصيلية: آفاق وحدود: ص: 22

³⁶³نفسه: ص: 22

³⁶⁴القول الثقيل والترجمة التأصيلية: آفاق وحدود: ص: 24

³⁶⁵نفسه: ص: 24

بأي حال من الأحوال، وذلك لأن ما يعرض للقرآن الكريم عند نقله إلى لغة الهدف هو الضياع والضياع لا غير، وهذا ضرب من ضروب الإعجاز الترجمي لكتاب الله.

إن الضياع الترجمي في عملية الترجمة ليس ضياعا بمفهومه المطلق، وإنما هو ضياع سرعان ما يتحول إلى ربح (le Gain) في لغة الهدف. تقول (Susan 1996)

Bassnett: 'إن مقارنة مفهومي (الضياع والربح) في عملية الترجمة مرتبطان باستحالة التماثل بين لغتين. إن ما أخذه مفهوم الضياع من مناقشة بين المهتمين أثناء نقل النص الأصلي من لغة المصدر إلى لغة الهدف هو علامة أخرى من علامات أزمة الحقل الترجمي، إذ يتم إغفال ما يمكن للنص المترجم أن يريحه من لغة المصدر، وذلك أن المترجم يكون مضطرا إلى إغناء النص الأصلي وتوضيحه في لغة الهدف باعتباره نتيجة للعمل الترجمي؛ إضافة إلى ذلك، أن ما يمكن اعتباره (ضياع) من لغة المصدر يمكن تعويضه في لغة الهدف"³⁶⁶

إن أشكال هذا الربح تتعدد بتعدد اللغات، وتختلف باختلاف طبائعها. يحدد (2002) Sandor بعض أنواع الربح الذي تكتسبه لغة الهدف من الضياع الذي يلحق بلغة المصدر في: "الإيجاز في التعبير، وشعرية الأسلوب، وتفادي الغموض، وتوسيع الحقل الدلالي أو تضييقه"³⁶⁷.

ويضيف (Dickins 2002) متحدثا عن الربح الترجمي (le Gain en Traduction) أنه 'قد يكون ذا طبيعة نحوية، وأن أسلوب لغة الهدف قد يكون، في بعض الأحيان،

³⁶⁶ Translation Studies: p 30

³⁶⁷ Thinking French Translation: p 23.

أجمل وأسهل في التعبير من لغة المصدر³⁶⁸ . ويخلص Dickins قائلا: ' إن كل أشكال الريح هي أمثلة لأشكال الضياع في لغة المصدر'³⁶⁹.

إن المترجم، كما يقول (Sandor (2002، يسعى في عمله الترجمي أن يربح كفة الريح على كفة الضياع؛ وذلك لأن "المعادلة (l'Equivalence) تعد الدرجة الصفر في الترجمة، و(الريح) قيمة إضافية في النص المترجم و(الضياع) قيمة سلبية في النص الأصلي"³⁷⁰.

إذا كان مفهوما الريح والضياع يفضيان بالمترجم إلى خلق معادلة تحتفظ بروح النص في حلة جديدة، فإن الأمر بخلاف ذلك في النص القرآني، فما يحكم ترجمة القرآن هو مفهوم الضياع وهو مفهوم يعكس أولا عجز المترجم عن خلق أي شكل من أشكال الريح في لغة الهدف، فترجمة القرآن ليست إعادة الكتابة كما في الكلام البشري؛ ويعزز ثانيا مفهوم الإعجاز الترجمي في الفعل الترجمي لكتاب الله، وأن ما يصلح تطبيقه على الكلام البشري لا يصلح بالضرورة تطبيقه في الكلام الإلهي. ولذا، وجب على المترجم أن ينصب تفكيره في أشكال الضياع التي ستلحق بالنص القرآني، وليس في أشكال الريح، لأنه عاجز عن تحقيقها، ولو ادعى ذلك لتحول الريح المزعوم إلى تحريف للأصل وإتلاف لمعاني القرآن الكريم، وهذا ما تشهد به كثير من الترجمات.

³⁶⁸ Thinking Arabic Translation: p 22.

³⁶⁹ Ibid: p 22

³⁷⁰ Thinking French Translation: p 23.

6-المستوى الإنجازي:

إن مظاهر الإعجاز الترجمي لا تتحصر فقط على مستوى نظرية الترجمة، بل يمتد أيضا إلى المستوى الإنجازي، وهي المرحلة العملية التي يباشر فيها المترجم الفعل الترجمي لمعاني القرآن الكريم. إن للفعل الترجمي لكتاب الله خصوصية متفردة تعكس إعجازه الترجمي على المستوى الإنجازي، وهذا الفعل لا يؤتى إلا في إطار النظرية البيانية لترجمة معاني القرآن، وهي نظرية تجعل من تربة القرآن منبتها، ومن علوم القرآن مسقاها، ومن فروع اللغة أغصانها، ومن وعي المترجم ثمارها، إنها نظرية تعتمد مبدأ البيان غاية، لتكون ترجمة القرآن الكريم في حكم التنزيل. ﴿... و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (النحل - 89).

ومبدأ البيان في المستوى الإنجازي لا يتحقق إلا من خلال أربعة مطالب:

6.1-مطلب الوعي الترجمي:

ركز المنظرون كلامهم على اللغة والثقافة، وعدوهما الركيزتين الأساسيتين في مباشرة الفعل الترجمي، وكل ما دار من نقاش حول شروط المترجم فهو لصيق باللغة والثقافة لا يخرج عنهما.

إن اللغة والثقافة مطلبان أساسيان في الفعل الترجمي للقول الخفيف، ولكنهما غير كافيين في القول الثقيل. ولذلك اشترط العلماء في مترجم القرآن ما اصطلح عليه ب"الوعي الترجمي" وهو المقدرة على تمثّل النص القرآني والإحاطة به في ذاته وسياقه،

إحاطة لغوية وثقافية وشرعية، إحاطة تقتضي من المترجم وعيا ترجميا بخصوصية الفعل الترجمي للقرآن الكريم، وهو مطلب لا يتأتى إلا بشرطين أساسين:

أولهما: الإيمان بأن القول الثقيل قول معجز ومتميز عن باقي الأقوال. إن الإيمان بإعجازية القرآن تجعل المترجم واعيا بإعجازه الترجمي الذي هو وجه من وجوه إعجازه. فشرط الإيمان يجعل المترجم يستشعر هول الفعل الترجمي حتى إذا أقبل عليه كان كمثل من أقبل على البحر يطلب منه حاجته من الماء، فمهما أخذ منه لم ينقص منه شيئا.

وما يلاحظ في حقل ترجمة القرآن الكريم أن المترجمين يتفاوتون في درجة الوعي الترجمي. فكلما كانت إحاطتهم أشمل باللغة والثقافة والشريعة، ازدادوا قربا من مطلب الوعي الترجمي، وكلما ضعفت إحاطتهم بلغة القرآن وثقافته وشريعته، ازدادوا بعدا من هذا المطلب. وقد يصل هذا الضعف إلى حد الجهل أو الفهم الفاسد مما يترتب عليه ترجمات فاسدة تحرف مراد الله. إن الوعي الترجمي الذي يشترطه العلماء لا يكتمل في الأفراد، فقد نشأت علوم كثيرة لفهم القرآن الكريم، وكتبت مؤلفات عديدة على مر العصور للنظر فيه، فأنى للفرد والفرد الواحد أن يجمع ما عجزت على الإحاطة به والحسم فيه علوم وعقول.

ثانيهما: الإحاطة بالقرآن الكريم في ذاته وسياقه، وهو ركن أساسي يتحقق به الوعي الترجمي. و هو أيضا شرط أساسي في القول الخفيف ولا يكتمل الفعل الترجمي إلا به، وإذا ثبت ذلك ينتفي تميز القرآن عن غيره فتحصل المساواة.

وبيان ذلك، أن ما يحتاج إليه مترجم القول الخفيف هو قراءة النص الأصلي مرات عديدة حتى يتحقق له الفهم، ثم ينطلق للقراءة عن النص حتى يتحقق له شرط الإحاطة كما أسلفنا الذكر، وهذه الأمور تعرف في نظرية الترجمة بـ *les Décisions Stratégiques*. أما الإحاطة بالنص القرآني وسياقه فأمر آخر، فلم يسبق في التاريخ أن نشأت علوم اتخذت من نص مدارا لها، ولا سبق أن ظهرت معارف اتخذت كتابا محورا لها، ولم يحدث أن حشدت الطاقات والعقول، وفتقت الفنون والعلوم من أجل كتاب، إلا مع القرآن الكريم. فنشأت علوم لغوية وشرعية تبحث في النص القرآني بغية فهمه في لغة التنزيل. فإذا كانت هذه العلوم مدخلا للفهم في لغة الأصل، فإنها واجبة قطعاً في اقتباسه إلى لغة الهدف. لأن الفهم شرط في النقل، وبهذا تميز الدكتور صلاح الدين كشريد عن كثير من المترجمين، فاستوفى مطلب الوعي الترجمي الذي اشترطناه في كل مترجم مقبل على الترجمة عن القرآن.

ويبدو هذا الوعي الترجمي في منهجيته عندما وصف عملية ترجمة القرآن الكريم بأنها معقدة تتداخل فيها وتتكامل فيها أنواع شتى من المعرفة الأساسية العميقة الملانمة للظروف الماضية والحالية والمستقبلية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وفقه وأصول

(أصول الدين وأصول الفقه) وتاريخ ومذاهب التفسير فضلا عن علوم القرآن المتعلقة بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومعاني الحروف والمحكم والمتشابه والمقيد والمطلق والخاص والعام والمجمل والمفصل³⁷¹. وهذه حقيقة لم ينتبه إليها أغلب مترجمي القرآن، بل لا نكاد نجد إشارة لها في مقدمات ترجماتهم، وكان القرآن الكريم رواية تؤخذ من رف خزانة أعجب بها قارئها فأقبل على ترجمتها.

إن ما نص عليه الدكتور صلاح الدين كشريد ليدل بصدق على أن الوعي الترجمي حاضر عند الرجل ببعديه الإيماني الذي يتمثل في إعجاز القرآن، والفقهي الذي يتمثل في الإحاطة -حسب المستطاع- بكتاب الله في ذاته وسياقه.

وحتى نستدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن النظرية البيانية بمبدئها البياني ومطالبها الأربعة قادرة على فتح الطريق أمام كل من أراد أن يقتبس من القرآن الكريم، وأمام كل من أراد أن يساهم في بناء ترجمة اقتباسية لكتاب الله تبين للقارئ الهدف بعضا من مراده لتحفزه وتنقله إلى رحاب القرآن ليطلع على حقائق التنزيل في مظانه، لجأنا إلى مقارنة بين ترجمة الدكتور صلاح الدين كشريد والمترجمة Denise Masson دنيز ماصن لنتبين مدى قرب الترجمتين أو بعدهما عن النص الأصلي، ومدى قربهما أو بعدهما من مطلب الوعي الترجمي وتمثلهما لمطالب الترجمة.

³⁷¹ تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه: ج 4 ص 4

6.2- المطلب اللغوي:

يعتبر المطلب اللغوي مطلباً أساسياً في الترجمة الاقتباسية وهو مطلب يتفاوت فيه المترجمون، فلا يكفي في المترجم أن يكون عارفاً بالعربية معرفة تمكنه من الفهم فقط، بل هو ملزم بالإلمام بلغة القرآن وقواعدها، وبعادات العرب في كلامها، والفروق الدقيقة بين معاني الكلمات، وبالمشترك والمتضاد، وبالجملة، على المترجم الإلمام ليس فقط بالعربية كما هو الحال عند أغلب المترجمين في أحسن الأحوال بل عليه العلم والإلمام بعلوم العربية أيضاً لأنها المفاتيح والمداخل إلى فهمه، وذلك لأن القرآن نزل بلسان العرب جرياً على عاداتهم ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [يوسف: 2].

لقد كان الدكتور كشريد واعياً بالمطلب اللغوي، فقد أشار إلى أهمية تلك العلوم اللغوية التي تبحث في لغة القرآن، ولم ينخر وسعا في توظيف هذه العلوم في ترجمته الاقتباسية، عكس دنيز ماصون Denise Masson التي توقفت معرفتها عند العربية دون علومها، وستلحظ ذلك من نفسك إن تأملت ترجمة كل منهما لقوله تعالى ﴿قال ربي إنني وهن العظم مني و اشتعل الرأس شيباً و لم أكن بدعائك ربي شقياً﴾ [مريم: 4].

كشريد:

'Il dit: seigneur, mes os sont affaiblis et les cheveux, sur

ma tête, comme enflammée, s'allument de blancheur

»

'Il dit: Mon seigneur, mes os sont affaiblis, ma tête a blanchi'. Masson. T1, P237.

يقول الزركشي معلقا على الآية الكريمة: "وأصل الكلام أن يقال: واشتعل شيب الرأس وإنما قلب للمبالغة، لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس، ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم، ولا يخفى أنه أبلغ من قولك: كثر الشيب في الرأس، وإن كان ذلك حقيقة المعنى، والحق أن المعنى يعار أولا ثم بواسطته يعار اللفظ"³⁷².

إن المتأمل في الترجمتين، وإن كانت معرفته باللغة الفرنسية متواضعة ليدرك بلا عناء أن ما تحدث عنه الزركشي من أن الكلام في الآية قلب للمبالغة غائب تماما في ترجمة Masson، بل إن ترجمتها أرجعت بناء الآية إلى أصله (شاب رأسي)، فأفرغت الآية من إعجازها الترجمي، وجردت الآية من قوة التصوير، وانتزعت منها المبالغة المقصودة نزعا، وصار وصف شيب الرأس في لغة الهدف وصفا غير ذي بال.

أما الدكتور كشريد فقد كان لديه من الوعي الترجمي ما أهله لاقتباس قبس من تلك المبالغة المنصوص عليها في الآية، فجاهد واجتهد وحشد كل طاقات اللغة المتاحة في لغة الهدف، من تعجب وتكرار *comme enflammée, s'allument de blancheur* ليقرب المعنى من القارئ الهدف، لعل هذه الصورة الفجة، وهذا الخيال

³⁷² البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 267

غير المكتمل، يدفع بالقارئ الهدف ليعود إلى النص الأصلي فيتذوق حلاوة وطعم الصورة، ويفقه ما قاله الجرجاني وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع³⁷³. حقا إنه الإعجاز اللغوي الذي يفضي حتما إلى الإعجاز الترجمي.

دليل آخر نستدل به على إحاطة الدكتور كشريد بالمطلب اللغوي، هو ترجمته لقوله تعالى: ﴿ و الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا... ﴾ [النور: 39].

كشريد:

‘Les actions des mécréants sont semblables à un mirage dans une vaste étendue de terre déserte que l’assoiffé prend pour l’eau. Mais quand il y arrive, il s’aperçoit que ce n’était rien’

ماصون:

‘Les actions des incroyants sont semblables à un mirage dans le plaine, celui qui est altéré croit voir de l’eau. Mais quand il y arrive, il ne trouve rien’ Masson. T 2 p 436.

³⁷³دلائل الإعجاز: 45

يقول البغدادي صاحب (الجمان في تشبيهات القرآن): 'القيعة جمع قاع... والقيعة ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، والذي يسير فيه يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب'³⁷⁴.

شبه القرآن أعمال الكفار بسراب بقيعة، فقد ترجمت Masson (القيعة) ب (la plaine) وهو اختيار يكشف عن قصور المطلب اللغوي عند المترجم مما جعل ترجمته فاقدة لما اصطالحنا عليه بالوعي الترجمي. فالقيعة أرض منبسطة ممتدة خالية من النبات، وهي أوصاف لم تقدر كلمة (la plaine) على استيعابها، لأن الكلمة الفرنسية تعني تارة الأرض المنبسطة وتارة المتموجة وليست بالضرورة خالية من النبات.

أما ترجمة كشريد، فقد كان واعيا بالمكونات الدلالية ل (قيعة)، فحشد لها من الكلمات في لغة الهدف ما يقرب به المعنى (vaste étendue déserte) ليقتبس بعضا من المعنى دون أن يتوقف على دلالة الباء، لأن لغة الهدف لا تسعفه في ذلك.

هكذا يبدو جليا التفاوت الملحوظ بين المترجمين في درجة الوعي الترجمي، فكلما ارتقى المترجم في سلم الوعي الترجمي، استعظم الفعل الترجمي، واستزاد علما ومعرفة بمطالب البيان الأربعة، وهو أمر كان واضحا دون مرأى في الترجمة الاقتباسية للدكتور كشريد. وهكذا يبدو جليا أن ما يتصف به القرآن من إعجاز ترجمي يجعل منه كتابا متفردا لا يحاكي في لغة الأصل ولا يترجم إلى لغة الهدف، وأن إعجازه الترجمي يفرض

³⁷⁴الجمان في تشبيهات القرآن ص 87

على من يترجم عنه أن يقتبس منه، فالإقتباس اعتراف من المترجم بعجزه عن ترجمته. فكما عجز العرب عن الإتيان بمثله في لغة الضاد، عجز المترجمون عن الإتيان به في لغة الهدف، وهذا ضرب من ضروب الإعجاز الذي ندعو إلى التأمل فيه والكشف عن تجلياته.

6.3-المطلب الشرعي:

لا غنى لمترجم القرآن عن الإمام بالعلوم الشرعية كالتفسير والفقه والأصول والسنة والآثار والمناسبة والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وأسباب النزول وغير ذلك مما يدور في فلك القرآن. إن مطلب العلوم الشرعية مطلب أساسي في الترجمة الاقتباسية، والتسلح بهذا المطلب يعطي المترجم زادا إضافيا لكشف خبايا معاني القرآن، وهو أمر يجهله المترجمون من غير المسلمين خاصة، وقل من ينتبه إلى أهميته من المترجمين المسلمين.

إن تحقق المطلب الشرعي في المقتبس من القرآن الكريم يسمو بالمترجم درجات في الوعي الترجمي ويجعل اقتباساته ذات دلالات في لغة الهدف، ولقد تميز الدكتور كشريد بوعيه بأهمية هذه العلوم في الفعل الترجمي للقرآن الكريم، مما جعله يقدم المعاني المقتبسة في لغة محفزة للقارئ الهدف تدعوه إلى السؤال أكثر مما تمده بالجواب، كما في ترجمته لقوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر... ﴾ [الحجر: 94].

كشريد:

"Dit tout haut, publiquement, ce qui t'est ordonné"

ماصون:

" Proclame ce qui t'est ordonné" Masson: T 1 p 322'

يقول الرماني معلقا على الآية الكريمة: "حقيقته فبلغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج، والتبليغ قد يضعف حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج أبلغ³⁷⁵.

وورد في السيرة النبوية شرحا للآية الكريمة أن الرسول 'ص' أقام ثلاث سنين "يدعو إلى الله سبحانه مستخفيا ثم نزل عليه ﴿ فاصدع بما تؤمر... ﴾ [الحجر: 94]، فأعلن 'ص' بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين³⁷⁶. فإله سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه بالتبليغ بل أمره بالصدع وهو تبليغ وزيادة، إنه خروج من السرية إلى العلن، إنه الانتقال من الدعوة في البيوت إلى الدعوة جهارا أمام الناس، دلت على ذلك اللغة والسيرة النبوية على حد سواء.

إن ترجمة Masson لكلمة (فاصدع) بكلمة Proclame فيها التباس مريب، وذلك لأن الجهر بالكلام ليس شرطا فيها، فجاءت ترجمتها فارغة من المطلب الشرعي الذي يؤرخ

³⁷⁵ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص 87

³⁷⁶ زاد المعاد: ص 84

لانتقال الدعوة من السر إلى العلن، والذي يفيد الصدع الذي نتج عنه هجرته عليه السلام.

أما الدكتور كشريد، فقد كانت ترجمته واعية بالمطلب الشرعي، فاقتبس جزءا من معنى الصدع وعبر عنه بكلمتين محفزتين للقارئ الهدف: (publiquement)، (tout haut) وهما تدفعانه إلى السؤال: لماذا أمر الرسول "ص" بالكلام بأعلى صوت وأمام الناس؟ إنه سؤال يدفع بالقارئ الهدف إلى رحلة العودة إلى النص الأصلي، رحلة يكتشف فيها ما عجز المترجم عن نقله، وما عجزت اللغة عن التعبير عنه، رحلة يكتشف فيها الإعجاز الترجمي لكتاب الله.

4-المطلب الثقافي:

يعتبرالمطلب الثقافي رافدا من الروافد الأساسية التي تزيد من وعي المترجم بما يترجم، فالقرآن نزل جريا على عادات العرب في كلامها، فعبر عن عاداتهم بعباداتهم، فأقر بعضها وألغى أخرى، ولم يكن القرآن أبدا غريبا عن بينتهم، فمن شبه جزيرة العرب شق طريقه ليكون رسالة للعالمين. فلا مناص إذا للمترجم أن يكون على إمام بالثقافة العربية، لأنها مدخل لفهم القرآن ولغة القرآن وشريعة القرآن.

فكلما كان المترجم على إمام واسع بالمطلب الثقافي، كان وعيه الترجمي عميقا بالنص القرآني، وكانت مقارنته واعية بالمخزون الثقافي للقرآن الكريم، وإلا فإن أقصى ما يمكن أن يصل إليه المترجم الفاقد للوعي الترجمي هو الدلالات السطحية للمفردات مجردة من

حمولتها الثقافية. وقد كان الدكتور كشريد من خير من تحقق فيه هذا الوعي الترجمي بثقافة لغة التنزيل، ونضرب مثالا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214].

كشريد:

*'Avertis ceux qui comptent parmi les plus proches de
toi.[de ton cercle élargi]'*

ماصون:

'Avertis tes partisons les plus proches' Masson: T2 p462

يقول الدكتور كريم زكي متحدثا عن مفهوم العشيرة: "تشير بعض المصادر العربية إلى العشيرة بدلالة أهل الرجل الذين يتكثرون بهم ويصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك لأن العشرة هو العدد الكامل، والعشيرة على ذلك كل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثرون بهم، وهم الذين بهم التناصر والغلبة"³⁷⁷. فمفهوم العشيرة يشكل محور الحياة القبلية، وذلك أن القبيلة تتكون من مجموعة من العشائر التي تجمعها قرابة الدم عن طريق الرجل، ف"تنقسم العشيرة إلى عدة خشوم، وينقسم كل خشم إلى عدة أسر"³⁷⁸.

³⁷⁷القرابة: دراسة أنثولوجية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية: ص 227

القرابة: دراسة أنثولوجية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية: ص 227

³⁷⁸نفسه: ص 227

فالدكتور كشريد لم يأل جهدا، وبلغه محفزة دائما، في اقتباس مفهوم العشيرة في لغة الهدف، فقد كان واعيا باستحالة وجود معادل لمفهوم العشيرة، فحشد كلمات عليها تقرب المعنى المقصود إلى القارئ، وقد كان ذكيا في إضافة بين معقوفتين [de ton cercle élargi] وذلك لأن الأمر مقصور على حلقة ضيقة من المقربين كما يدل على ذلك مفهوم العشيرة.

أما Masson فقد استسلمت لثقافة القرن العشرين وترجمت العشيرة بـ *partisans*، وكأن الأمر صار نصرة لحزب سياسي، أو تشجيعا لتجمع خطابي أو رياضي، فأفرغ مفهوم العشيرة من قرابة الدم، فصار القريب كالبعيد.

إن ترجمة Masson فارغة من المطلب الثقافي، خالية من أي وعي ترجمي مما أدخل فعلها الترجمي في الاختلاس وأبعدها عن الاقتباس.

تلك إذن مطالب أربعة ندعو مترجم القرآن إلى تبنيها لتحقيق مبدأ البيان الترجمي، وهو مبدأ تقوم عليه النظرية البيانية للقرآن الكريم، التي تتخذ من الإعجاز الترجمي للقرآن معتقدا وإطارا نظريا وخلفية مرجعية لها، وتعتبر القول الثقيل قولا معجزا لا يحاكي، و القول الخفيف قولا يضاهاى.

إن الدراسة المصطلحية نكتسب أهميتها في كونها أنهض بالفهم، بها تحرر محلات النزاع، وحظ غير قليل من الخلاف نزاع في المفاهيم، وإذا كان أول مقاصد الشرع قصد الابتداء؛ فإن الذي يليه مباشرة هو قصد الإقحام، إذ لا تكليف إلا بعد وروده، ولا

يتم الفهم التام لخطاب الشرع وضمائمه إلا بفهم مصطلحاته. وهنا تكمن أهمية المصطلح ودراسته دراسة منهجية، وبغير هذه الدراسة لن نستطيع التعرف على جواهر المصطلح كما هي في صورها الدقيقة الشاملة. وإذا توسعت دائرة المصطلح الشرعي كان في ذلك الحفاظ على الذات الحضارية للأمة، وضمن استمرارها، بل وغلبتها وإشعاعها حتى تكون شاهدة على الناس حقاً.

7- المصطلح الإسلامي:

7.1- تعريف المصطلح:

هو: "اللفظ الذي يسمي مفهوماً معيناً داخل تخصص ما"³⁷⁹. وتتضح أهمية المصطلح في النقاط الآتية:

1- "إن من أهم الطرق الموصلة إلى العلم معرفة مصطلحات أهله"³⁸⁰.

2- المصطلح يمثل اللبنة الأولى من كل علم، بل هو مدار كل علم، به يبدأ وبه

ينتهي.

379 قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح: د. عيد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ص 10.

380 موافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: تحقيق الشيخ/ عيد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط/2، 97/1.

3- المصطلح في أي مجال من المجالات كما يقول الإمام الشاطبي "إما: واصفا

لعلم كان، أو ناقلا لعلم كائن، أو مؤسسا لعلم سيكون".³⁸¹

4- مثل المصطلحات من القواعد، والمناهج، والقضايا، والإشكالات؛ كمثل الدلاء

من الآبار، فالقواعد ونحوها آبار العلم والمصطلحات دلائلها، ولا سبيل للماء الغور بلا دلاء.

فالمصطلح هو فقرات صلب العلم، وليس أدل على ذلك من أننا إذا جردنا أي علم من مصطلحاته فلا يبقى منه بعد ذلك شيء، وذلك أمر مطرد في جميع العلوم لا يند عنه منها شيء. فإذا كان "من العلم ما هو صلب العلم، ومنه ما هو ملح العلم"⁽³⁸²⁾؛ فإن المصطلح هو فقرات صلب العلم.

وتتجلى أهمية المصطلح الشرعي في كونه أنهض بالفهم و أقعد، والفهم أساس الدين كله، وعليه مدار التكليف، ومناط الابتلاء.

7.2- خاصية المصطلح الشرعي:

إن المصطلحات التي وردت على لسان الشرع الحنيف، لا يعتري معناها التغيير ولا التبديل بل يبقى معناها ثابتاً وقاصراً على ما ورد به الشرع الكريم، وكذلك ألفاظه

381 المرجع السابق، 77/1.

382 مصطلحات اللغذ العريسي لذي الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج: د. الشاهد البوشيخي، دار الغرب، بيروت، ط/1، ص 7.

ومصطلحاته تبقى ثابتة لدلالة على المعنى المراد الذي جاء به الشرع ولا يسمح باستبدالها البتة كالصلاة والصيام وغيرهما، فلا يقال أن معنى البعث مثلاً هو: "اليقظة الروحية لمن هم نيام في قبور الأوهام والجهالة والشهوات"⁽³⁸³⁾، فإن هذا تجني على الحقائق الشرعية كما يفعل الباطنية وغيرهم ممن سلبوا المصطلحات الشرعية حقيقتها، وكذا تسمية الربا قرضاً أو فائدة وهكذا.

العلوم الشرعية لها خاصيتها التي تفرد المصطلح بميزات تجعله أكثر اكتنازا من حيثية كونه تصورات، وقضايا، وإشكالات، ويرجع ذلك لتمييز المصطلح الشرعي لعدة أسباب:

1- لكون العلوم الشرعية هي علوم واضعة للدين من جهة، وموجهة للدين من جهة أخرى.

2- اشتماله على مقولات الدين فهما وتنزيلا، لأن الغاية هي إخراج أفعال المكلفين من مدارات الهوى إلى مدار التعبد.

3- لأن النص الشرعي في ذاته مفاهيم وتصورات ذهنية، الغرض منها أن تكون أفعالا وحركات، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن⁽³⁸⁴⁾.

خلاصة هذه الأسباب تتمثل في أن العلوم الشرعية قامت على أساس استيعاب المفاهيم الشرعية في مصطلحات خاصيتها الأولى القابلة للامتثال.

³⁸³ البابية عرض ونقد، إحسان ظهير، ص 97، ط 1401هـ، إدارة ترجمان السنة، باكستان.
³⁸⁴ خرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة/باب جامع الصلاة الليل ومن نام عنه أو مرض/1/512-513/646)

1- المصطلحات الشرعية ليست أسماء لمفاهيم فقط ، بل هي نقدية، ومنهجية، ودقيقة. وذلك يعني أن المصطلحات الشرعية لم تعد أسماء تُوظف في دراسة القضايا والمشكلات؛ بل هي أسماء للقضايا أنفسها والمشكلات.

ولتوضيح ذلك نكشف عن المراد بسوق المثال الآتي: الاستحسان ، مثلا ، لا يدل مصطلحه على مفهوم أصولي بسيط، بحيث يقتصر على الصورة الذهنية المقصودة من خطاب العالم بهذا اللفظ؛ بل يقتضي مصطلح الاستحسان شيئا من قضايا الاستحسان، على نحو ما دار بين قول من قال: "الاستحسان تسعة أعشار العلم"⁽³⁸⁵⁾، وقول من يقول: "من استحسن فقد شرع"⁽³⁸⁶⁾.

ولا يرد على ذلك أن الإشكاليات قضايا و تصديق، والمصطلحات إنما هي تصورات؛ فكيف تتعدى إلى القضايا؟

والجواب يكمن في شدة الارتباط بين الإشكاليات بالمصطلحات، حتي صارت كأنها هي، لأن لم أجزاء المفهوم لتركيب مصطلح جامع ومانع؛ لا يتأتى إلا باستقراء جميع الإشكاليات المبنية عليه، فكان مأل المصطلح الشرعي تسمية مشكلات العلم من خلال تسمية مفاهيمه.

385 الاعتصام للشاطبي، 2/ 138، وأصول الفقه لوهبة الزحيلي، 17/2.

386 الأم للإمام الشافعي، 7/ 277. وراجع معنى الجملة في: الرسالة، ص 507.

2- المصطلح الشرعي نقدي أو منهجي على الخصوص أو على العموم:

الأول: وهو كونه على الخصوص:

وهي وظيفة خاصة بالعلم في نفسه بالقصد الأول، فهو يتعلق بنقد العلم نفسه، أو نهجه نهجا، وهو غالب مصطلحات علوم التفسير، والحديث، وأصول الفقه.

الثاني: وهو ما كان على العموم:

فهو نقدي أو منهجي على العموم، بمعنى تعلقه بنقد الفعل البشري عامة، ونهجه. ومنه المصطلح الفقهي، وقضايا إصلاح المقلوب، وما دار بينهما من المصطلحات.

7.3- صعوبات ترجمة المصطلح الإسلامي:

تطرح ترجمة المصطلحات الإسلامية إلى لغة ثانية صعوبات كثيرة أثناء ترجمتها إلى لغة ثانية. ومرد هذه الصعوبات تنصل أساسا بدلالة الكلمات وحدود معانيها بين لغة وأخرى. وتعود كذلك إلى عدم وجود مقابل صحيح ودقيق لهذه المصطلحات في اللغة الفرنسية. لأنها تحمل مفاهيم وتصورات ودلالات غير معروفة في هذه الأخيرة، بسبب اختلاف تجارب الفرد مع اللغة في كلا الثقافتين، واختلاف الأحداث الاجتماعية التي ترتبط بها اللغة وتتلون دلالة كلماتها تبعا للأحداث التي تعرفها. وقد سبق أن عبر كنفورد JOHN CUNNISON CATFORD عن هذه الوضعية بقوله:

إن تعذر ترجمة الثقافي يبرز عندما تكون إحدى الوضعيات المتميزة والهامة من الناحية الوظيفية لنص في اللغة المصدر غريبة تماما عن الثقافة التي تعتبر اللغة المستهدفة جزءا منها³⁸⁷.

وتتجلى الصعوبة كذلك في كون اللغة ليست قائمة كلمات يكفي استبدال كلمة بأخرى للحصول في اللغة الثانية على المقابل المطلوب، كما يقول جورج موان George Mounin، لو كان الأمر كذلك، لسهلت الترجمة ولأصبح بمقدورنا دائما أن نترجم ترجمة حرفية وكلمة كلمة⁽³⁸⁸⁾.

إن تعذر الترجمة يعود أساسا لكونها تجمع بين نظامين لغويين متميزين، أي بين ثقافتين مختلفتين للكون وللواقع. ذلك لأن دلالة الكلمات ترتبط في ذهن الفرد بمجموعة من التجارب الخاصة والأحداث الاجتماعية التي يمر بها. لذا فإنها توحى بظلال و إحياءات قد تختلف من فرد لآخر من نفس البيئة. لكن "لا يعني هذا أن التفاهم غير ممكن بين اللغات، بل هناك قدر مشترك لدلالة الكلمات يتم على أساسه التعامل بين الأفراد"³⁸⁹. فإذا كانت دلالة الألفاظ وإحياءاتها قد تختلف لدى أفراد نفس البيئة، فما بالنا إذا تغربت الكلمة وخرجت من محيطها أو بيئتها الاجتماعية إلى بيئة أو لغة أخرى. هنا يبرز دور المترجم. فهذا الأخير، كما يقول إبراهيم أنيس "يحتاج، في مثل هذه الحالة، إلى بذل جهده للحصول على ما يناظرها أو يرادفها في دالاتها، لتؤدي في

³⁸⁷ Catford.99. ص. 1965.

³⁸⁸ Mounin.61. ص. 1976.

³⁸⁹ نفسه، 1963. ص. 251.

ذهن السامع الجديد في البيئة الجديدة نفس الدلالة، أو ما يقرب منها في بيئتها الأصلية. وهنا يمكن أن يقال إن المترجم قد وفق في مهمته، وأعطى صورة صحيحة لدلالة الكلمة³⁹⁰.

لكن من الصعب جدا، فيما يخص ترجمة المصطلح الإسلامي، أن يوفق المترجم في اختيار المقابل المناسب الذي يحمل نفس الدلالة، كل ما يمكن أن ننتظر منه هو تقديم ترجمة تقريبية وجزئية. والسبب، كما سبق ذكره، أن هذه المصطلحات لا يوجد ما يقابلها في اللغة الفرنسية أو لغات أخرى، ولا تحمل تلك الظلال والإيحاءات التي تعبر عنها في الأصل، نظرا إلى الفروق الثقافية والفكرية بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الفرنسية المسيحية. لذلك يضطر المترجم، في أغلب الأحيان، إلى تجريد هذا المصطلح من روحه ودلالاته المقصودة في لغة الأصل.

لقد أحدث نزول القرآن الكريم ثورة كبيرة غيرت كل معالم وأوضاع الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية السائدة في مجتمع الجزيرة العربية، يقول أحمد بن فارس: 'كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وأدابهم ونسائلكهم وقرايبهم فلما جاء الله - عز وجل - بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت

³⁹⁰ إبراهيم أنيس، 1963، ص. 173.

أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفا الآخر الأول...³⁹¹.

ومن هنا أصبحنا أمام معجم جديد يشمل ألفاظ وتراكيب إما مستحدثة استحداثاً، أي أنها لم تكن معروفة في المجتمع الجاهلي، أو مشتقة مما كان موجوداً في العربية ولكن الإسلام أضفى عليها دلالات جديدة مغايرة عما عرفت به من قبل، مثل "الجنة"، "الإيمان"، "الهدى"، "الجهاد"، "الوضوء"، "الرسول"، "النبي" وغيرها من الكلمات والتعابير المحملة بمفاهيم جديدة والمعبرة عن الرؤية الإسلامية. وكثيراً ما تصادف هذه التعابير حتى في لهجتنا وحياتنا اليومية مثل: "الحمد لله"، "باسم الله الرحمن الرحيم"، "السلام عليكم"، "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، "إنا لله وإنا إليه راجعون".

يقول أبو حاتم الرازي في هذا الصدد: "إن الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العرب، ولم تعرف قبل ذلك مثل المسلم والمؤمن والمنافق والكافر، لم تكن العرب تعرفها، لأن الإسلام والإيمان والنفاق والكفر ظهر على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر نعمة ولا تعرفه من معنى الكفر بالله، وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان، أما المنافق فإنه لا ذكر له في كلام العرب"³⁹².

إن التلاعب بالمصطلحات الشرعية من أعظم ما يسعى إليه أعداء الدين، فمما يتعين الاعتناء به معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وعندما يحرم علينا الربا فنحن نسميه

³⁹¹ ابن فارس، الصحابي، ص. 78، نظر، السيوطي، المزهري، ج. 1، ص. 294.

³⁹² أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة، ج. 1، ص. 140-141.

باسمه "الربا"، وعندما يحرم علينا الخمر فنحن نسميه باسمه الشرعي "الخمر"، وعندما يحرم علينا الزنا فنحن نسميه كذلك، ولو أن الناس بدلوا هذه الأسماء، فسموا الربا باسم آخر، وسموا الخمر باسم آخر، وسموا الزنا باسم آخر؛ يأتي أجيال يفعلون هذه الأشياء، ولا يجدون رابطاً بينها وبين الأدلة الشرعية؛ لأن الأدلة الشرعية فيها أسماء معينة، فعندما تغير الأسماء تنقطع الروابط بين أحكام هذه الأشياء -المسماة من الله ورسوله- وبين الأدلة المنصوص فيها على أحكام هذه الأشياء، فهذه لعبة خطيرة يقوم بها أعداء الدين، والقصد واضح، إنه تحريف الدين، إنه التغيير فيه والتبديل، إنه التغيير فيه والتبديل، إنه التمويه والزخرفة، فأحياناً يجمعون العبارات بألفاظ فيها تمويه، وفيها جمال في الظاهر.

فمجيء الإسلام يعد من أهم وأبرز عوامل نمو اللغة وتطور دلالة الألفاظ من المعنى العام إلى المعنى الخاص المعروف في الشرع. حيث أصبح الذهن، أمام الأسماء الشرعية، لا ينصرف إلى المعنى اللغوي القديم وإنما ينصرف إلى المعنى الشرعي الجديد الذي يقتضيه الشرع وتتطلبه الحياة الجديدة، ولا يعرف الأصل إلا بعد تصفح كتب اللغة. ومن هذه المصطلحات مصطلح "يوم"، "أمة"، و"جهاد"، و"هجرة"، و"زكاة".

7.4

7.4- نماذج عن ترجمة المصطلح الإسلامي:

- اليوم:

قال ابن منظور: "اليوم معروف، مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها"³⁹³.

وهذا يعني أن اليوم في اللغة يطلق ويراد منه النهار، غير أن ثمة فرقا بين النهار واليوم، وهو كما يقول صاحب الفروق: "أن النهار اسم للضياء المنفسح الظاهر لحصول الشمس؛ بحيث ترى عينها أو معظم ضوئها وهذا حد النهار وليس هو في الحقيقة اسم الوقت، واليوم اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه هذا المتنا. ولهذا قال اللغويون: إذا قلت: سرت يوما فأنت مؤقت، تريد مبلغ ذلك ومقداره، وإذا قلت: سرت اليوم أو يوم الجمعة فأنت مؤرخ، فإذا قلت: سرت نهارا أو النهار؛ فليست بمؤرخ ولا بمؤقت، وإنما المعنى: سرت في الضياء المنفسح، ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال: سرت نهار يوم الجمعة، ولهذا لا يقال للغلس والسحر نهار حتى يستضيء الجو"³⁹⁴.

أما اليوم في الاصطلاح الشرعي: فهو "الزمن الممتد من الفجر الصادق إلى غروب الشمس، كما في أيام الصوم"³⁹⁵.

393 للزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، تحقيق: عبد الكريم العزايوي، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت)، ج9، ص115.

394 أبو هلال العسكري، الحسن: للفروق في اللغة، (بيروت: دار الأفاق الجديدة، ط2، 1997م)، ص226.

395 رضا، أحمد: معجم متن اللغة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1379هـ/1960م)، 843/5.

وهناك اليوم الفلكي الذي يشمل الليل والنهار، والذي يتكون من أربع وعشرين ساعة زمنية بالقياس الزمني المستعمل لدينا الآن. واصطاح علماء الفلك على اعتبار " بدء اليوم الفلكي من وقت وجود الشمس بخط الزوال في الظهيرة، وانتهائه في نفس الوقت من اليوم التالي، أو من نصف الليل إلى نصف الليل.

ولليوم في اللغة معان أخرى منها: " الزمن الحاضر، ومطلق الزمن"³⁹⁶. وعلى هذا المعنى جاءت مفردة "اليوم" في آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المائدة: 3). فليس المراد باليوم هنا يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمن الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية، كقولك: كنت بالأمس شاباً، وأنا اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الحالي فقط، وإنما المراد هو الزمن الحاضر. ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾ (مريم: 15)، " والمعنى: حين ولد وحين يموت وحين يبعث حياً"³⁹⁷.

396 ابن منظور: لسان العرب، مادة (زمن)، ج12، ص650.

397 الدامغاني، الحسين: إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، (بيروت: دار العلم للملايين، ط2،

1977م)، ص507.

-أمة:

تكررت الإشارة إلى هذا المصطلح في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. ويحمل المصطلح مفاهيم مختلفة. " ففي اللغة تعني الجماعة من الناس التي تؤم جهة معينة أو تقصد مقصدا واحدا".³⁹⁸ وفي الاصطلاح وردت بأكثر من معنى حصرها الدامغاني في تسعة أوجه، لخصها في المعاني الأربعة التالية:

1- ورد مصطلح "أمة" بمعنى الإنسان الذي يقتدى به في الخير والذي يمثل النموذج الأعلى والأمثل للجوانب الخيرة ليأتم به الناس ويسيروا على نهجه، ومنه إمام الصلاة. وقد جاء في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ (النحل، 120).

فكما يكون الإنسان الذي يقتدى به في الأخلاق الفاضلة فردا واحدا، وقد يكون كذلك عصابة أو قبيلة أو قوما، في ضوء معتقدات، لها نهجها وتحمل رسالة إصلاحية معينة. ومنه قوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (الأعراف، 159)، أوقوله: ﴿ولنكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران، 104).

2- يقصد بـ "أمة" الملة والدين والطريقة المتبعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ (الزخرف، 33).

³⁹⁸ ابن منظور، لسان العرب، مج. 1، ص. 101.

3-ورد هذا المصطلح بمعنى سنين معدودة مثل قوله تعالى: ﴿ واذكر بعد أمة ﴾ (يوسف، 45).

4-ويقصد به أخيرا الخلق عامة، مثل قوله: ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ (الأنعام، 38).

بعد هذا التعريف الوجيز، نستشف من جهة، أن من أهم عناصر هذا المفهوم يرتكز على العنصر البشري وارتباطه بأداء رسالة سامية فيها خير البشرية، هدفها الرئيس القيام بوظيفة إصلاحية يكون فيها الخير والمنفعة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نلاحظ من جهة ثانية، أن هذا العنصر البشري لا تشترط فيه الروابط الدموية أو الجغرافية أو المصالح المادية ولا الكم العددي. فقد يكون حامل الرسالة فردا واحدا أو جماعة أو قوما أو غير ذلك.

إذا رجعنا إلى المعاجم الفرنسية، أو حتى المعاجم العربية المتأثرة بهذه الأخيرة، فإن أول ما نلاحظه هو تهميش أهم المحاور الأساسية لمصطلح "أمة": الرسالة أو العقيدة وإحلال محلها روابط الدم أو الوطن أو المصالح المادية. مثلا نجد سعدي أبو جيب يعرفها كالتالي:

"جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثة، ومصالح وأماني واحدة، أو يجمعهم أمر واحد من دين، أو مكان، أو زمان" ³⁹⁹.

وهذا التعريف لا يختلف كثيرا عن تعريف المعاجم الفرنسية لكلمة «nation» التي يقدمها أحيانا بعض المترجمين مقابل المصطلح العربي: كزيميرسكي، وكروجان، وبيرك. واستعمل المترجمون كذلك كلمة «communauté». وفي تحديد مدلول هذه الكلمة، نجد المعاجم الفرنسية تركز على الكم العددي وعلى المصالح المشتركة، كما تحيل إلى الجانب العقدي مع إغفال الروابط الدموية والحدود الجغرافية التي يشير إليها المقابل الأول «nation». وربما لهذا السبب اختار جل المترجمين هذا المقابل الذي يظل مع ذلك ترجمة تقريبية لا تفي بكل معاني وإحياءات المصطلح العربي.

فمفهوم "أمة" مفهوم فكري يستمد محتواه من روابط الفكر والعقيدة وليس من الروابط التي تشير إليها المعاجم الفرنسية. ويبدو أن الوعي بقصور هذه الترجمات هو ما جعل بعض المترجمين وأصحاب بعض المعاجم الدينية يشيرون إلى الجانب الديني كالقول :
«communauté musulmane»⁴⁰⁰ أو «communauté religieuse»⁴⁰¹.

³⁹⁹ سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي 1982 ص. 25.

⁴⁰⁰ Dictionnaire des religions, 1984, t. 1, p. 345.

⁴⁰¹ ترجمة كثرید، 1979.

- جهاد:

الجهاد لغويا السعي والمحاولة وبذل الجهد. أما اصطلاحا فهو " استفراغ الطاقة والوسع لنصرة كلمة الله ولتحقيق أهداف الرسالة السماوية في مختلف الميادين سواء في أيام الحرب أو السلم. يكون الجهاد بثلاثة طرق مختلفة: بالقول، وبالسلح، وبالعمل" (402) فالجهاد بهذا المفهوم الواسع يمثل جميع أنواع السعي وبذل الجهد من قول وفعل كجهاد النفس، وجهاد الشر، والفساد، وبذل الأموال في سبيل الله، وتحمل المشاق، ومكابدة الشدائد من أجل الانتصار لمبدأ سام وفكرة سليمة. كما يمثل جهاد الأعداء وقتل الكفار. وقد أشار القرآن الكريم إلى جميع هذه المعاني في مواضع كثيرة (مثلا: الفرقان- 52، النساء- 95، العنكبوت- 26)

والمجاهد في القرآن الكريم مآله الجنة وجزاؤه عظيم عند الله، لأنه ضحى بالنفس والأموال وكل مقتضيات السعادة الشخصية. يقول سبحانه: ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾ (التوبة، 88). كما يعد المتوفى دفاعا عن رسالته شهيد عقيدة.

يقول الطبري، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ جاهدوا في الله حق جهاده ﴾ (الحج، 78)، إن "أكثر المفسرين حملوا للجهاد ها هنا على جميع أعمال الطاعة، وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى، وقال السدي: هو أن يطاع فلا

⁴⁰² للدامغاني، معجم قاموس القرآن، ص. 112.

يعصى، وقال الضحاك: معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله وإن كانوا الآباء والأبناء، وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال هو مجاهدة الهوى والنفس⁴⁰³.

نلاحظ مما تقدم، أن كلمة الجهاد ترتبط بتبليغ الرسالة ونشرها وبذل النفس ومحاربة قيم الكفر لتحقيق السلام والأمن الفكري والمادي والنفسي للبشرية، وكذلك محاربة نوازع التمتع بالحياة وشهواتها. فربما لهذا السبب، يلاحظ عبد الفتاح لاشين، أن "التعبير القرآني أثر لفظ الجهاد عندما كان يبعث المسلمين لنشر الدعوة وتجنب في أكثر تعبيراته كلمة الحرب التي كانت شائعة في المجتمع الجاهلي. ذلك لأن لفظة الحرب تطلق على القتال الذي يشب بين الفئات والشعوب لأغراض شخصية وذاتية ولا تكون في سبيل انتصار لرسالة سامية ومبدأ سليم"⁴⁰⁴.

وتعريف الجهاد بالشكل المذكور يجعل ترجمة هذا المصطلح إلى اللغات الأجنبية أمرا صعبا، ذلك لأنه لا يوجد ما يقابله في اللغات الأخرى. فجل المعاجم الفرنسية تترجمه بـ«la guerre sainte»⁴⁰⁵ مما يضيف على هذا المفهوم معنى سلبيا. إذ أنها عممت مظهرها واحدا من مظاهر الجهاد، أي "الجانب العدواني (العنف، الصراع، الحرب)، وطمست بقية المظاهر الأخرى. وهذا ما نلمسه في عدة كتابات

⁴⁰³ للطبري، مجمع البيان، مج. 4، ص. 131.

⁴⁰⁴ عبد الفتاح لاشين، 1983، ص. 82.

⁴⁰⁵ Dictionnaire historique de l'islam، 1996، و Dictionnaire des symboles musulmans 1955

تطعن في الإسلام بحجة أنه دين عدواني "انتشر بحد السيف"، على حد تعبير

ماكدونالد Macdonald Duncan Black في دائرة المعارف الإسلامية.⁴⁰⁶

إذا رجعنا إلى التراجم الفرنسية المقترحة لهذا المصطلح، نلاحظ أنها تراجم تقريبية بعيدة عن المعنى المقصود. مثلاً قدم المترجمون لقوله تعالى، في الآية السابقة الذكر، ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده...﴾ (الحج: 78) ثلاث مقابلات مختلفة للمصطلح المذكور:

«LUTTER POUR DIEU»، «COMBATTEZ POUR ALLAH»

«EFFORCEZ-VOUS EN DIEU»

يمثل الترجمة الأولى كل من كزيميرسكي، وبلاشير، وكروجان. ويمثل الترجمة الثانية حميد الله، وأبو بكر. ويمثل الترجمة الأخيرة بيريك. تركز جميع هذه الترجمات على بذل الجهد والطاقة وتهمل المعاني الأخرى المرتبطة بالمصطلح وبما يحمله من إحياءات وظلال في القرآن الكريم، وفي الثقافة العربية الإسلامية بصفة عامة. و فيما يلي المقابلة الرابعة، ترجمة كشريد:

« *Combattez pour Allah avec tout l'effort qu'il mérite* »

⁴⁰⁶ دائرة المعارف الإسلامية مطبعة الشعب، اسطنبول تركيا، 1954 (باللغة العربية)، مج. 12، ص. 433-437

- هجرة:

من المصطلحات التي أصبغ عليها الإسلام معنى خاصا أيضا مصطلح "الهجرة".
والهجر والهجران في المعنى اللغوي العام ضد الوصل، أي "مصارمة الغير و
مشاركته بعد خصام أو عتاب أو تقصير يقع في حقوق العشيرة والصحبة"⁴⁰⁷ بمعنى
آخر تدل الكلمة على انقطاع علاقة ودية بين عشيرين مثل قوله تعالى في سورة
النساء، 34: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ
فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾.

"والهجر والهجران، يقول الراغب الأصفهاني، (هو) مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن
أو باللسان أو بالقلب"⁴⁰⁸، وتدل أيضا على الخروج من بلد إلى آخر. والمهاجر أو
المهاجرون تطلق على كل من ترك وطنه وأهله ليسكن أرضا غير أرضه. أما في
المعنى الاصطلاحي فتعني "الذين دعوا ديارهم وأهلهم ومالهم وذهبوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم، أو التحقوا به، إلى المدينة لنصرة دعوته والدفاع عنها"⁴⁰⁹.

ناقش فخر الدين الرازي، في تفسيره الكبير، موضوع الهجرة وتحدث عنها بإسهاب

قائلا:

⁴⁰⁷ ابن منظور، لسان العرب، مج. 3، ص. 228.

⁴⁰⁸ للراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص. 534.

⁴⁰⁹ ابن منظور، لسان العرب، مج. 3، ص. 228.

"اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، وأخرى تحصل بالانتقال عن أعمال الكفار إلى أعمال المسلمين، قال المحققون "الهجرة في سبيل الله عبارة عن الهجرة عن ترك مأموراته وفعل منهياته...وذلك يدخل فيه مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر، ثم لم يقتصر تعالى على ذكر الهجرة، بل قيده بكونه في سبيل الله، فإنه ربما كانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن شعار الكفر إلى شعار الإسلام لغرض من أغراض الدنيا، إنما المعتبر وقوع تلك الهجرة لأجل أمر الله تعالى" ⁴¹⁰.

نستنتج من هذا التعريف أن هناك هجرتين: هجرة جسدية، وهجرة نفسية روحية. الأولى تعني الانتقال من مجتمع الكفر والشرك إلى مجتمع الإيمان كمن هاجر مع الرسول أو التحق به من مكة إلى المدينة. والثانية تعني الانتقال من بيئة غير إسلامية تسود فيها الأخلاق الدميمة والخطايا والشهوات إلى بيئة مؤمنة بمبادئ الإسلام وتعاليم دينه.

ونجد كلا المفهومين يكمل أحدهما الآخر، لأن مغادرة الأوطان والانضمام إلى المهجر الإسلامي يترتب عنه تخليص النفس من آثار وثقافة وتقاليد البيئة الأولى.

اقترن مفهوم الهجرة في القرآن الكريم بكونها في "سبيل الله" أي من أجل نصرته دينه والدفاع عن رسالته : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله... ﴾ (النساء، 100)،

⁴¹⁰ للرازي، التفسير الكبير، ج. 9-10، مج. 5، ص. 228، من تفسيره سورة النساء، 89.

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ﴾ (النساء، 89). لذلك نجد آيات كثيرة تحبب الهجرة إلى النفوس وتؤكد أهميتها وما يترتب عنها من توفير الأمن وسعة العيش للمهاجرين سواء في الحياة الدنيا أوفي الآخرة: ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ (الحج، 58).

ونجد في مقابل الترغيب في الهجرة آيات أخرى تدين المتقاعسين وتوعدهم بالعذاب الشديد: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ (النساء، 97).

بعدها راجعنا التراجم الفرنسية المقترحة لهذا المصطلح، أحصينا خمس مقابلات مختلفة: «émigrer» أو «émigration»، «quitter»، «abandonner»، «s'expatrier»، «sortir en exode». وتمثل ترجمة بريك المقابل الأخير. ويبدو أن صلاح الدين كشريد أحس بما يحمله المصطلح العربي من دلالة دينية و تاريخية، فاختار هذا المقابل ربما لأنه يحيل إلى معنى خاص يتمثل في هجرة اليهود بصحبة موسى أرض مصر. لكن جميع الترجمات المقترحة لا تفي بالمعنى المقصود، لأن الهجرة بمفهومها الإسلامي هي تجرد من تلك الأواصر والعلاقات الودية التي تجمع الخلان والأحباب ومفارقة الأوطان و المال، وكل ما تهفو له النفس من أغراض الحياة من أجل نصره

دين الله، و الدفاع عنه، وابتغاء مرضاته. فالمهاجر يغادر أوطانه وأهله و خلائه، لا من أجل غرض مادي، بل لإعلاء كلمة الله، لأنه سيتكفل له بالعطاء والعوض عما فقد في دياره.

-الزكاة:

في البداية، نشير إلى أن مصطلح "الزكاة" ترجم، في أغلب المواضع، بأربعة طرق مختلفة:

1. *aumône* : كزيميرسكي، وفروجان، وأخيرا بلاشير الذي شعر، على ما يبدو، بخصوصية المصطلح العربي فأورد إلى جانبه المقابل الفرنسي المذكور.
2. *aumône légale* : أبو بكر يتفق هنا مع بعض المعاجم الدينية الفرنسية التي تقترح نفس المقابل⁽⁴¹¹⁾.
3. *purification* : بيرك.
4. *impôt* : حميد الله.
5. *Zakat* : صلاح الدين كشريد

في البداية، نلاحظ أن مصطلح "الزكاة" ليس مرادفاً لـ"الصدقة" التي يمكن ترجمتها بـ «aumône» أو «charité». فإن كانت الزكاة الشرعية قد سميت في لغة القرآن

⁴¹¹ Malek Chebel, *Dictionnaire des symboles*, 1955, p. 450.

والسنة "صدقة"، مثل قوله تعالى: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ (التوبة، 103)،

فإن معناهما يختلف. فالزكاة في اللغة هي الطهارة، والنماء، والزيادة، والبركة، والمدح، والثناء الجميل، والعمل الصالح. 'وقيل لما يخرج من المال من حقوقهم زكاة لأنه تطهير وتثمير وإصلاح ونماء'⁴¹².

وقال القرطبي: 'وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة، أو بالأجر الذي يثاب به المزكي'⁴¹³ يعني أن هذا المال الذي ينقص في الظاهر يزكو ويزيد، في حقيقة الأمر، بالبركة والثواب مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وما أنفقتم من شيء يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ (سبا، 39). 'فالنماء والطهارة ليس مقصوران حسب المفسرين على المال، بل يتجاوزانه إلى نفس معطي الزكاة والمتصدق بها'⁴¹⁴.

تدل كلمة الزكاة ليس فقط على تطهير المال بل كذلك على تطهير النفس من الأخلاق الرذيلة والارتقاء بها إلى عالم الطهر والصلاح، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ (الأعلى، 14). فإلى جانب أنها صيغة اجتماعية تحقق التكافل الاجتماعي ووسيلة من وسائل توزيع الثروة بين أفراد المجتمع لتعود فائدتها الاجتماعية

⁴¹² ابن منظور، لسان العرب، مج.2، ص. 30.

⁴¹³ للقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج. 1، ص. 343.

⁴¹⁴ للراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص. 218.

والعملية على المتصدق والأخذ معا، فإنها تطهر الغني من رجس البخل، وتطهر الفقير من الحقد والحسد والبغضاء اتجاه الغني، وتتمو بها معيشته، إذ تحقق له الكفاية. وبذلك تسود بينهما المحبة والإخاء وروح التعاون والتراحم والتكافل. لهذا جعلها الله حقا على جميع الناس متى بلغت أموالهم النصاب، وحال الحول على الأنصبة التي تفوق الاحتياجات الضرورية لمعيشة الإنسان. فالزكاة إذن حق للفقير لا تفضل من الغني، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ (المعارج، 24-25).

من جهة ثانية، يختلف مصطلح الزكاة في الإسلام عن مفهوم الضريبة «impôt» (ترجمة حميد الله). لأن الزكاة ضريبة دينية وركنا من أركان الإسلام، فرضت على المسلم تقربا لله وشكرا لنعمة، وتزكية للنفس والمال. في حين أن الضريبة التزام مدني يخلو من كل بعد ديني وأخلاقي.

في الختام، نشير إلى أن ترجمة "زكاة" بـ «purification» في ترجمة بيريك تقترب نسبيا من المعنى وإن كانت لا تغطي إلا جانبا واحدا من المعاني المتعددة للمصطلح، وهو جانب تطهير النفس من أرجاس الذنوب كما تشير المعاجم الفرنسية⁴¹⁵.

429 « Purifier. 1° Littér. Rendre pur, débarrasser de la corruption de la souillure morale Purification 1° rite par lequel on se purifie. V. ablution. Les purifications prescrites par la mosaïque, islamique. 415 cérémonie, » Petit Robert, 1978.

من هذه النماذج القليلة نتبين صعوبة ترجمة المصطلح الإسلامي إلى اللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات. يمكن تعميم الملاحظات على باقي المصطلحات الأخرى التي تهم الدين و الشريعة، وأركان الإسلام مثل الشهادة، و الصلاة، والصيام، أو مصطلحات السلوك والطبائع مثل التقوى، الفجور، النفاق، الفسق، الشرك، والإيمان. فكلها مصطلحات متميزة لا يقابلها في اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات مفهوم موازي. لذلك نعد ترجمتها تقريبية في جميع الحالات، إذا لم تكن تشويها لمحتواها ولحمولتها الثقافية والإيحائية. وهذا ما جعلنا نشدد على ضرورة إبقائها على أصلها مع الإشارة في هوامش الترجمة إلى معانيها ومضامينها المقصودة. سيعترض البعض لا محالة على هذه الطريقة، لأنها ستقل الترجمة بشروحات كثيرة قد تفوق حجم الترجمة ذاتها، وربما سترهق القارئ بالتفاسير، والتعقيبات الكثيرة. لكن هذه العملية تبقى، في نظرنا، الوسيلة الوحيدة لتقريب خصوصيات المصطلح الإسلامي إلى ذهن القارئ غير المسلم حتى يتمكن من فهم القرآن فهما صحيحا وسليما.

نلاحظ من جهة ثانية، أن اللغة العربية تتمتع بطاقة هائلة لاستيعاب الألفاظ التي استحدثها الإسلام في كافة المجالات للتعبير عن شؤون الحياة الجديدة. ويعد هذا قدوة حسنة لمن يريد البحث و الاستقصاء، وتطوير اللغة العربية لمسايرة العصر في مجال العلوم والفنون وغيرها.

لقد أثبت القرآن الكريم على مر العصور أنه كتاب معجز، أما وجوه إعجازه فقد تعددت مناحيها وتنوعت فصولها، فقد أعجز القرآن مخاطبيه بأصواته وتأليفه ولغته وغيبياته وأخباره وأمثاله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومجمله ومفصله وأمثاله وإيجازه وإطنابه وبراهينه وأدلته وتناسب آياته و سورته. أما الإعجاز الترجمي فهو وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن، لم يتقص الباحثون غاياته قديما وحديثا.

إن الإعجاز الترجمي وجه من وجوه إعجاز كتاب الله لا يقل أهمية عن الإعجاز العلمي، بل يمكن عددهما معا من وجوه إعجاز هذا العصر، أما الإعجاز العلمي فالقول فيه بين، والكلام عنه ظاهر، على خلاف الإعجاز الترجمي الذي لم تجتذب القدامى والمحدثين دواعي التأليف فيه والإبانة عن أركانه وشعبه وأسئلته ومشكلاته. إن الزيغ البائن الذي منيت به كل الترجمات السابقة، والذي سوف تمنى به كل الترجمات اللاحقة، لدليل يؤكد على أن الله أعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، كما أعجز الخلق عن الإتيان بترجمة معانيه ودلالاته.

8- حكم ترجمة معاني القرآن والاصطلاحات الشرعية

الترجمة هي نقل نص لغوي، أو مفرداته إلى لغة أخرى. وهي أداة فعالة في نشر القيم والتعاليم والعقائد. و الذي يهمننا من علم الترجمة في هذا البحث هو نقل نص شرعي مع مراعاة الأمانة العلمية؛ ذلك بأن الترجمان في هذه الحالة يكون مبلغا لكلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

فالحجة تقوم على الخلق، ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم، تارة بالمعنى، وتارة اللفظ. ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى. والقرآن تجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء.⁴¹⁶

إن الصحابة رضي الله عنهم لما غزوا بلاد العجم من فارس والروم، لم يقاتلوهم حتى دعوهم إلى الإسلام بواسطة التراجم. ولما فتحوا البلاد العجمية، دعوا الله سبحانه وتعالى باللغة العربية وأمروا الناس بتعلمها. ومن جهلها منهم دعوه بلغته، وافهموه المراد باللغة التي يفهمها. فقامت بذلك الحجة، وانقطعت المعذرة. "ولا شك أن هذا السبيل لا بد منه؛ لا سيما في آخر الزمان، وعند غربة الإسلام، وتمسك كل قبيلة بلغتها. فإن الحاجة للترجمة ضرورية، ولا يتم للداعي دعوة إلا بذلك".⁴¹⁷

9- الترجمة الحرفية

إن الغرض من الترجمة هو نقل المعلومة من لغة إلى أخرى، أو نقل الفكرة بأحرف وكلمات واصطلاحات تختلف برمتها عن مثيلاتها في لغة المتلقي لتلك الفكرة. ولهذا قال أهل العلم أقوالاً تتضمن تحريم الترجمة الحرفية لأنها لا تفي المعنى حقه. قال الشيخ ابن عثيمين:

"الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم؛ وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحقيقها؛ منها وجود مفردات مماثلة

⁴¹⁶ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 190/1، نقلا عن كتاب دور الترجمة الدينية، أبو عبد السلام النيجيري
⁴¹⁷ فتاوى للمسافرين والمغتربين، ص 86-87، نقلا عن كتاب دور الترجمة الدينية.

بين اللغتين، ووجود أدوات للمعاني متشابهة في اللغتين، وتماثل ترتيب الكلمات في الجمل والصفات و الإضافات".⁴¹⁸

والى جانب هذا، هناك عامل آخر يغفل عنه غالبية العاملين في هذا المجال؛ وهو أن الذي ينقل الفكرة من لغته إلى لغة أخرى لا يدري أن المؤثرات الثقافية لدى المستهدفين بالترجمة تتحكم في فهمهم الأفكار الجديدة والمستحدثة سلبا أكثر منها إيجابا.

فمثلا مصطلح - العرض - له مدلول خلقي واجتماعي لدى العرب بخاصة، يختلف عن مدلوله في الثقافة الغربية. فإذا ورد هذا المصطلح في نص عربي للترجمة فلا يمكن أن يكتفى بترجمته بكلمة تقابل المعنى اللغوي في اللغة الأخرى. ككلمة (Honneur).

إن من المسلم به أن ترجمة ألفاظ وآي القرآن الكريم ليست القرآن ذاته، لذا فإن التقيد بحرفية النص حين الترجمة غالبا ما يشوه معنى النص؛ غير أن المشكلة أن كثيرا من المترجمين من يتقيد بنسق العبارة في اللغة العربية الذي يعطي الصياغة رونقا وجمالا وحسن بيان يتذوقه القارئ العربي، ويقدر قيمته الجمالية؛ غير أن هذا كله لا يتوفر في اللغة المترجم اليها. بل ربما يتغير معنى النص لو تقيد المترجم بهذه المحسنات. فعلى سبيل المثال من التعبير الجميل الذي ينم عن الحياء الإلهي في الكناية عن الجماع. يقول تعالى: ﴿..أو لامستم النساء﴾ (النساء 43) فلو ترجمت هذه الكلمات بحرفيتها لفهم القارئ أنه ينبغي عليه الوضوء كلما مست يده يد زوجته. فالمقصود بالملامسة في هذا السياق هو الجماع وليس اللمس.

⁴¹⁸ أبو عبد السلام النيجيري، دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله تعالى، ص 42

وكذلك في قوله تعالى ﴿هَنَ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ﴾ (البقرة 187) نجد أن كثير من الترجمات لهذه الآية تقول: (هن ثياب لكم وأنتم ثياب لهن. ومنهم من قال هن سراويل لكم وأنتم سراويل لهن.) أو شيء من هذا القبيل. وقد يستهجن القارئ الأعجمي هذه الترجمة لأن هذا التعبير لا يوجد في اللغة الفرنسية. وعليه يصبح لزاما على المترجم أن يعطي معنى أو مفهوم الآية بدلا من ترجمتها حرفيا.

لما اقتضت الضرورة تبليغ هذا الدين عملا بأمر الرسول محمد صلى الله عليه و سلم؛ ولما كان الأعاجم هم الغالبية الساحقة من المسلمين فقد اقتضت الضرورة تعليمهم أمور دينهم، وأوامر ربهم، وسنة نبيهم بلغاتهم لصعوبة تعلمهم العربية في الظروف الراهنة. ولا يمكن تحقيق هذا إلا بترجمة معاني آي القرآن وأحكامه وغير ذلك إلى اللغة التي يتكلمونها، فاقتضت الضرورة دعوتهم بلغاتهم أيضا.

وهذا يعني أن هذا النوع من الترجمة يدخل في حيز الوجوب؛ كما بين الشيخ بن عثيمين "وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها. وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إيصال القرآن والإسلام لغير الناطقين بالعربية، لأن إيصال ذلك واجب؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".⁴¹⁹

⁴¹⁹ أصول التفسير، نقلا عن كتاب دور الترجمة الدينية لأبي عبد السلام النجيري.

10-مكامن النقص لدى الترجمة:

عدم القدرة على التعبير عن الفكرة باللغة الأجنبية بأسلوب لغوي سليم. وباعتبار أن الكثير من الترجمة ذوو علم شرعي، فقد لا يجرؤ أحدهم على الخوض بقلمه في مجال الترجمة، فيحول بينه وبين ذلك الخوف من الله ثم الشعور بجلالة المسؤولية. وإن فعل فإنه يقتصر على الدعوة بلسانه، أو أن يلجأ إلى من يظن انه متمكن من اللغة الأجنبية من أجل ترجمة ما يكتب. وهذا أمر محمود.

إنما هناك من الترجمة من عرب ومن عجم، تجدهم أجراً الناس على ترجمة النصوص الإسلامية، ولا سيما إن كان لدى أحدهم إطلاع يسير بالعلم الشرعي. فالأعجمي منهم، وإن تكلم العربية، فهو لا يجيد قواعدها ولا يعرف استعمالاتها، وإن أشد ما يعجزه فهم المصطلحات الشرعية. وأمثال هؤلاء يقعون في أخطاء كبيرة، ولا سيما إذا كان موضوع الترجمة أمراً يتعلق بمسائل العقيدة أو التشريع. ذلك بأن أحدهم يستقى معلوماته عن الإسلام من مصادر مكتوبة بلغته الأم التي يصعب توثيقها، فيأخذ من هذه أو تلك دون القدرة على التأكد من صحة المعلومات التي استمدتها منها.

11-معايير الترجمة الصحيحة لنصوص القرآن و السنة

الترجمة هي التعبير عن معنى معين في اللغة المصدر إلى اللغة الهدف أي أن الترجمة هي التعبير عن فكرة واحدة أو عدة أفكار بواسطة الكلمات وتقوم عملية الترجمة هذه على عنصرين مترابطين وهما:

1-العنصر الأول: هو المعنى الذي تنطوي عليها الكلمات في اللغة الهدف أي معنى تلك الكلمات.

2-العنصر الثاني: هو الكلمات في اللغتين المصدر والهدف ونعني بالكلمات هنا تركيبية الجمل وضروب الفصاحة والبلاغة من تقارب وتواز وتقيد بقواعد اللغة.

12-شروط الترجمة:

مادامت النصوص المترجمة موضوع بحثنا هي نصوص الوحي فكان لا بد من توافر بعض الشروط. وتتقسم شروط الترجمة إلى عدة أقسام:

12.1- الشروط المتعلقة بذات المترجم:

12.1.1-شروط المترجم بوجه عام:

1- " أن يكون مسلما بلا خلاف؛ لأن الكفار فيهم عداة للمسلمين فقد يقصدون الجناية في مثل هذا، وقد وجدت ذلك في بعض الترجمات، قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ (سورة آل عمران-118) أي لا يقصرون في إفساد أموركم".⁴²⁰

2- " أن يكون عدلا بالاتفاق؛ إذ أن المترجم أداة نقل وتعبير يجب عليه أن يؤدي

واجبه في نقل الفكرة الأصلية من اللغة الأصل إلى اللغة الأخرى بكل إخلاص وأمانة

421 ."

3- أن يكون عاقلا بلا خلاف؛ إذ "رواية غير العاقل غير مقبولة فكذا ترجمته".⁴²²

4- أن يكون بالغا عند جماهير العلماء، ف"لا تقبل ترجمة الصبي ولو كان مميزا

قبل بلوغه".⁴²³

5- أن يكون المترجم من ذوي التخصص بموضوع الترجمة، ف"على من يترجم

السنة والسيرة النبوية أن يكون عارفا بأصول الدين وقواعده العامة العقدية منها و

العملية، ولو على سبيل العموم و الشمول، عالما بمعنى الحديث من حيث اللغة،

ومن حيث مراد المروي عنه"⁴²⁴، قاطعا بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه، و"يأمن من

تغيير المعنى الذي به يتغير الحكم، وهذا داخل في شرط الضبط الذي يشترط في

راوي الحديث الصحيح؛ كما ذكرت كتب مصطلح الحديث".⁴²⁵

قال الخطيب البغدادي: "والصحابية أرباب اللسان، وأعلم الخلق بمعاني الكلام، ولم

يكونوا يقولون ذلك إلا تخوفا من الزلل، لمعرفتهم بما في الرواية على المعنى من

(421) نفسه

(422) المبسوط للمرخسي 90/16.

(423) المبسوط للمرخسي 109/16.

(424) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي 192/2.

(425) تدريب الراوي للسيوطي 33.

(11) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى، الإمام الشافعي، المحقق: صلاح فتحى هلال، مكتبة
الرشد، 1998، ج2، ص153.

الخطر" (11).

6- "أن يكون المترجم متقنا للغتين المترجم منها وإليها حتى يستطيع التعبير عن هذه المعاني تعبيراً دقيقاً؛ ويكون على دراية تامة بأساسيات وأصول كل لغة؛ كمعرفة القواعد النحوية والصرفية، ومعرفة الجمل والمفردات ومعانيها المتعددة، حتى يتمكن المترجم من وضع الجمل والمفردات موضعها المناسب؛ عرافاً بالألفاظ ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينها؛ لأنه إذا لم يكن متمكناً من ذلك عرَّ عليه أن يترجم ترجمة صحيحة يعول عليها".⁴²⁶

7- أن يكون المترجم غير منزعج ولا مشوش الذهن؛ لأن الترجمة عمل عقلي علمي، فينبغي على المترجم أن يقدم على الترجمة وهو صحيح الذهن، بعيداً عن التشويش.

12.2- الشروط المتعلقة بذات الترجمة.

1- ألا تجعل الترجمة بديلاً عن سور القرآن أو نصوص السنة، خاصة الألفاظ التي تعبدنا بها الشارع كالأدعية والأذكار، "ويحسن كتابته باللغة العربية بجانب النص المترجم؛ لأنه يجب نطقه بلفظه العربي مع القدرة والاستطاعة، وإنما الغرض من ترجمته بيان معناه".⁴²⁷

2- أن تكون الترجمة مطابقة لأصلها، إذ" الواجب في الترجمة أن تكون صورة

426 ينظر: الإحكام لابن حزم 207/2، الأسلوب الصحيح في الترجمة ص3.

427 المحصول في علم الأصول 4/467.

مطابقة للأصل المترجم، وافية بجميع معانيه ومقاصده، فمن الأمانة أن تساويه بدقة،

دون زيادة ولا نقصان".⁴²⁸

13- أهمية فقه اللغة في الترجمة:

يحتل فقه اللغة أهمية بالغة في صحة ودقة الترجمة، خاصة مع غياب الأوجه البلاغية والاستعارات اللفظية في كثير من اللغات غير العربية مما قد يؤدي الجهل بها إلى إخلال ظاهر في الترجمة، ومن هنا كان لا بد أن يدرك المترجم فقه لغة الحديث النبوي ليكون عالماً بمراد الشارع فيترجم النص من حديث أو سيرة بصورته التي أرادها الشارع الحكيم.

قال الشاطبي: "للغة العربية - من حيث هي ألفاظ دالة على معان - نظران:

أحدهما: من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة، وهي الدلالة الأصلية.

والثاني: من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مقيدة، دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التابعة.

فالجهة الأولى: هي التي يشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى، فإنه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلاً كالقيام، ثم أراد كل

⁴²⁸ المرجع السابق.

صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام، تأتي له ما أراد من غير كلفة⁴²⁹.

ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين - ممن ليسوا من أهل اللغة العربية - وحكاية كلامهم . ويتأتى في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها، وهذا لا إشكال فيه.

وأما الجهة الثانية فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار، فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أموراً خادمة لذلك الإخبار، بحسب المخبر، والمخبر عنه، والمخبر به، ونفس الإخبار، في الحال والمساق، ونوع الأسلوب - من الإيضاح والإخفاء، والإيجاز، والإطناب، وغير ذلك.

فإذا ثبت ذلك في اللسان المنقول إليه مع لسان العرب، أمكن أن يترجم أحدهما إلى الآخر. وإثبات مثل هذا بوجه بين عسير جداً. وربما أشار إلى شيء من ذلك أهل المنطق من القدماء، ومن هذا حذوهم من المتأخرين، ولكنه غير كاف ولا مغن في هذا المقام.

14 - الضوابط الشرعية للترجمة:

إن الترجمة في أساسها مسؤولية أخلاقية عظيمة من حيث ترجمة النص المترجم من لغة إلى لغة أخرى، فإذا ما أخطأ المترجم في ترجمة وصفة طبية أو تشخيص، أو

⁴²⁹المواقفات (2/66-68)

أخفاً في ترجمة قانونية، أو في ترجمة عسكرية في الميدان أو نحوه، أو في ترجمة سياسية وما ستجره من تفسير خاطئ في المواثيق وغيرها، وتتعظم هذه المسؤولية وتلك الخطورة عندما يكون النص المترجم الأصل الثاني من أصول الشرع الحنيف الأمر الذي يبين مسؤولية الترجمة وخطورة شأنها.

كل ذلك يبين أهمية ما يقوم به المترجم من واجب تجاه دينه؛ حيث يقوم بترجمة القرآن والسنة النبوية، لتبليغها إلى الناطقين بغير العربية؛ مسلمين كانوا أو غير مسلمين، فله كأجر الداعي إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إني من المسلمين﴾ (سورة فصلت 33) والآية عامة في كل من دعا إلى الله بأي لغة كانت، وقال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (سورة يوسف 108) وقال صلى الله عليه وسلم: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)).

فليحتسب ذلك، وليتقن عمله غاية الإتقان، طلباً للأجر من الله تعالى، وبعداً عن التقصير في هذه الأمانة العظيمة؛ إذ عن طريق ترجمته سيقراً ويسمع الناس السنة والسيرة النبوية الكريمة.

سبق بيان ما للمترجم المحسن من الأجر والمثوبة عند الله تعالى، وما يحصل له من الأجر العظيمة إن هو أحسن النية والعمل، أما إذا أخل بالنص المترجم فلا يحيد عن

حاليين:

الأول: أن يكون الخلل ناتجا عن قصور في علمه وخبرته في مجال الترجمة، فهذا جهل منه بالترجمة الصحيحة المستوفية بالشروط.

الثاني: أن يكون الخلل ناتجا عن تقصير في أداء ما يجب عليه أداءه، مع تمكنه من إعطاء النص حقه الكامل في ترجمته إلى اللغة الأخرى، وهذا غش وتفريط.

ولا شك أن الجاهل والمفرط كلاهما مسؤول عن إساءته وتفريطه، وتكمن إساءتهما من وجهين:

الأول: جنايتهما على النص الشرعي، الذي هو من مصادر التشريع، وبهذا فالجناية على الشرع نفسه، بتحريف نصوصه، وإفساد معناه.

الثاني: الإساءة إلى الخلق بنقل معنى غير المعنى المراد من الشارع، وفي هذا تضليل لهم، وغش وخيانة.

ويترتب على هذا النوع من الترجمة الآثار الآتية:

- 1- بطلان هذه الترجمة، وعدم اعتبارها؛ لأنها مبنية إما على الجهل، وإما على التقصير، وكل ذلك باطل لا عبرة به، وما بني على باطل فهو باطل.
- 2- تشويه الشرع وأحكامه السمحة، ونقله للناس على غير وجهه الصحيح.

3- "وقوع المترجم في معصية بالغة؛ لخيانتة هذه الأمانة العظيمة، وتعريضه نفسه للوعيد الشديد الوارد في نصوص كثيرة، كقوله تعالى : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (سورة البقرة 79) وقوله تعالى: ﴿و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كم أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (سورة الإسراء 36) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)) ". فهذه النصوص وغيرها تدل على وعيد الله تعالى لأولئك الذين حرفوا كتاب الله بالتغيير زيادة ونقصا، كما في الآية الأولى، وهو ما أحدثه المترجم الجاهل والمفرط في نصوص القرآن والسنة والسيرة النبوية، ودلت الآية الثانية على تحريم القول على الله بغير علم، وبيان أن كل ما يقوله المرء أو يفعله فإنه مسؤول عنه، والمترجم الجاهل أو المفرط قائل على الله بغير علم، كما دل الحديث على الوعيد الشديد على من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ترجم قوله صلى الله عليه وسلم وهو جاهل به، أو مفرط في ترجمته فقد كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

كل ذلك وغيره يدل على خطورة ترجمة النصوص الشرعية كالقرآن والسنة ترجمة خاطئة، وسوء عاقبة المقدم عليها مع جهله بها أو تفريطه فيها.

خاتمة

إن آليات الترجمة صعبة وكثيرة، تفترض إتقان اللغة الأصل أولاً، فكل من يريد ترجمة أي نص من لغة لا بد له من معرفة هذا النص في لغته، وأن يكون له من الفقه في اللغة، وعندما نتعامل مع ترجمة القرآن نجد شيئاً آخر غير ترجمة كلمات اللغة، وإنما هناك البلاغة والإعجاز القرآني وأساليب القرآن في التعبير عن المعاني، فهذا أصعب شيء في ترجمة القرآن الكريم. وبعد تعلم اللغة والنحو يجب تعلم كيف يعبر القرآن عن المعاني وطرقه في البيان، ويأتي بعد ذلك معرفة اللغة التي يترجم إليها، ومعرفة وسائل البيان فيها ما يمكنه قدر المستطاع من نقل ما في النص العربي الكريم.

ومن المؤسف أن ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية، أو باقي اللغات الأوروبية، لم تبدأ إلا في وقت قريب، رغم أنه ترجم في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية من مترجمين غربيين، أي بعد خمسمائة سنة تقريباً من نزول القرآن، أي ظل الأوروبيون هذه المدة لا يعرفون عن القرآن شيئاً من أصله، وإنما مجرد إشاعات، ومضى عليه أربعمائة سنة أخرى وهو في خزانات الكتب لا يطلع عليه إلا قليل جداً من الكنسيين خوفاً من أن يطلع عليه العامة ويتحولوا إلى الإسلام بعد قراءته.

كما أن علماء الدين الإسلامي لم يكونوا يتقنون اللغات الغربية؛ لأنهم انصرفوا إلى الاشتغال باللغة العربية وإتقان العلم الإسلامي، ولكن بعد أن احتلت البلاد العربية

وكثر الأسفار وتعلم الناس وأصبح لدى الأمة العربية أبناء يتقنون اللغات الأوروبية ولكن كانوا في البداية أطباء ومهندسين وإداريين، ولم يكونوا من أهل العلم الديني.

و العيب الكبير في الترجمات الموجودة هو الترجمة الحرفية للقرآن، أي تتابع كلمات النص العربي، وترتيب أجزاء الجملة العربية، ويظن صاحبها أنه بهذا يقترب من النص، ولكنه ينتج شيئاً هو أبعد ما يكون عن النص بسبب اختلاف اللغتين.

وإذا لم تكن هذه الترجمة قرآناً فإنها لا تعدو أن تكون محاولة لتفسير القرآن بحسب اجتهاد هذا المترجم.

إلا أن هذا الاجتهاد مشروط بأمرين⁴³⁰:

1- توفر شروط المفسر فيمن يتصدى للترجمة، ومنها العلم باللغة العربية وأساليبها، والإلمام بعلوم القرآن المختلفة، والعلم بالسنة النبوية وما يصح الاحتجاج به منها، مع الإخلاص والتجرد لطلب الحق في فهم النص القرآني.

2- استيفاء شروط الترجمة، ومنها معرفة المترجم التامة باللغتين المترجم منها والمترجم إليها، وأساليبهما وخصائصهما ووفاء الترجمة بمعاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن، وأن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل بحيث يمكن أن يستغني بها عنه.

430 علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق (ص: 277).

كما أن هذه الترجمة المنقولة من اللغة العربية إلى أي لغة أخرى إنما هي ترجمة لمعاني القرآن بحسب فهم المترجم واجتهاده، وليست ترجمة للقرآن في الحقيقة فذلك أمر متعذر شرعا وعقلا⁴³¹.

ولا ريب أن تأخر ظهور الترجمات لمعاني القرآن الكريم التي تكتب بأيدي مفسرين من المسلمين أسهم في انتشار الترجمات التي يكتبها المستشرقون، ويحاولون من خلالها أن يعرفوا الغرب بالقرآن الكريم بمقتضى فهم المستشرقين له وفي حدود إمكاناتهم اللغوية، ومعلوماتهم عن الإسلام وتعاليمه واللغة العربية وأساليبها إضافة إلى موقفهم المسبق من القرآن.

431 انظر: مناهل العرفان للزرقاني (5/2) وما بعدها.



الفصل الرابع

مقدمة

إن الفرد العادي الذي ليس لديه تصور واضح عن عملية الترجمة، لا يدري أن الترجمة فن وعلم قائم بذاته له أصوله وقواعده، وأنه ليس بمجرد الحصول على قاموس مدرسي يستطيع أحد أن يقوم بهذا العمل. كما أن مجرد التحدث بالفرنسية لا يوهل الفرد للقيام بهذه المهمة. فها هم الذين تصدوا لهذا الفن وهم ليسوا أهل لذلك قد وقعوا في أخطاء خطيرة.

ليس الحديث هنا عن الذين اتخذوا الترجمة مهنة تجارية، فهذا ليس مجال بحثنا. إذ لا يتطلب هذا النوع من الترجمة أهلية كالتي تتطلبها ترجمة المادة الدينية. لكننا وللأسف نرى من الناس من هم أكثر جرأة على ترجمة المادة الدينية من ترجمة سواها. وهناك أمر آخر ينبغي على المترجم أن يتنبه له، وهو أن الخطأ الذي يرتكبه في ترجمة نص ما يتعلق بمسائل العقيدة لا يقتصر أثره على قرائه، رغم أن هذا خطر كبير بحد ذاته، بل ينعكس أثره على المترجم نفسه. فهو مسؤول أولاً وقبل كل شيء أمام الله عما يكتب أو يترجم، وقد يعرض نفسه، من جهة أخرى لنقد الناقدين. ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذه المواقف قائلاً: ((إياك وكل أمر يعتذر منه.)) وقال أيضاً: ((ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا.))

لما كثرت ترجمات كتاب الله تعالى على يد المستشرقين والمستغربين وحتى بعض المسلمين، وأصبح المسلم العجمي في حيرة من أمره، أي هذه الترجمات أصح، وما

الذي عليه أن يتبعه. وقد كانت اختلافات بعض المترجمين راجعة لفهمهم لدلالات النصوص كل حسب ما يتوفر لديه من أدلة، لذلك كان لاختلاف الدلالة في فهم النص القرآني مغزى كبير في التوصل لمعرفة المقصود من النص.

فعند مقارنة ترجمة الدكتور صلاح الدين كشريد لمعاني القرآن الكريم بترجمات رواد الإستشراق الفرنسي من أمثال جاك بيرك ببرز بوضوح مدى فساد و زيف و زيغ المشرقين.

1- اللسانيات الحديثة و التغير الدلالي

تدرس اللسانيات الحديثة التغير الدلالي أو التطور الدلالي فيما يسمى بعلم الدلالة التاريخي. وهو محاولة لتفعيد التغيرات التي تحدث للمعنى مع مرور الزمن.

إنّ التغير الدلالي يحدث تدريجيا في أغلب الأحوال حيث أنّ اللون الأسود للبشرة، والديوث، والاستدانة، والعنوسة مثلا، تغيرت دلالاتها في مابين القرن الماضي و يومنا هذا بتسارع غير مسبوق ، ذلك أن نفس الكلمات بسبب تطور اللغة خلال الزمن تكتسب معنى آخر وتشرح فكرة أخرى، وعلى هذا فإنّ "تغير المعنى هو تغيير الكلمات لمعانيها."

ولكن الملاحظ في القرآن الكريم أنه حينما أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حمل الألفاظ العربية معاني لم تكن معهودة عند الإنسان العربي القديم. نعلم أنه نزل ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ (الشعراء-195) ولكن عربيته كانت جديدة في كل شيء قام ببيانه. إن الذي أبهر العربي وهو يسمع القرآن الكريم، إضافة إلى أسلوبه الرائع، هو المعاني الجديدة التي استعمل فيها القرآن الكريم الألفاظ التي يعرفها العربي، ولكن حين استعملت في سياق القرآن الكريم أعطت دلالات لم يعهدها العربي في كلامه. إنها معاني قال عنها القرآن الكريم: ﴿ ما كنت تعلمها أنت و لا قومك ﴾ (هود-49) وهي معاني نزلت من السماء لإصلاح أهل الأرض.

لا بدّ للمتّرجم أن يستحضر دائما في ذهنه أن المخاطب بالقرآن الكريم هو الله سبحانه و تعالى ، فاللفظ إنما هو وسيلة لتحصيل المعنى ، ولهذا فدلالات الألفاظ تختلف حسب السقف المعرفي للمتّكلم ، والمتكلم بالقرآن هو الله تعالى فعلمه علم مطلق ، ولذلك فالفرق بين الدلالات التي يحملها اللفظ حين يستعمل في القرآن وحين يستعمل في غيره كالفرق بين المطلق و النسبي ، فالنسبي لا يمكن أن يحيط بالمطلق أبدا ، ولهذا فالاعتماد عليه وحده يحجم المعاني العظيمة التي يحملها القرآن المجيد.

فالمفاهيم القرآنية هي الكاشفة عن الرؤية العالمية للقرآن، أو الرؤية القرآنية للكون، ومن المهم استيعاب أن القرآن الكريم عندما يستعمل الكلمة العربية، فإنه يخرجها من موقع الكلمة البسيطة إلى موقع المفهوم الغني بدلالاته وأفاقه، بحيث يفتح على جملة من المعاني ما كانت ترد على الذهن قبل استعمال القرآن الكريم لها، ووضعها في نظمه وسياقه. فالاستخدام الإلهي للمادة اللغوية ولأي مادة في الكون يختلف نوعيا عن الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة، فحين يستخدم الله عز وجل اللغة العربية في التنزيل فإنه يستخدمها وفق مستوى إلهي يقوم على الأحكام المطلق، فلا يكون في القرآن مترادفات توظيفاً ضمن جناس وطباق، إذ تتحول الكلمة ضمن الاستخدام الإلهي إلى مصطلح دلالي متناهي الدقة، فلكل كلمة في القرآن دلالتها المفهومية المميزة، وذلك خلافاً للاستخدام البشري البلاغي العفوي لمرادفات اللغة. فالقرآن الكريم يختص بنظام مفاهيمي، فريد في دلالاته وسياقاته، فكلماته ومفاهيمه ليست هي نفسها تلك

الكلمات والمفاهيم التي كانت مستخدمة قبل الإسلام، فهو قد أعاد استخدام تلك المفاهيم وأضفى عليها قيما جديدة من خلال سياقها القرآني.

قال الإمام الشاطبي: "ومنها أن يكون الاعتناء بالمعاني المبتوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها. وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية. فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى المقصود، و لا أيضا كل المعاني، فإن المعنى الإفرادي قد لا يعبا به، إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه".⁴³²

إن اللفظ قد يكون موضوعاً في اللغة لمعنى معين أو يدل عليه لغة وإن لم يوضع له، لكن مراد الله تعالى قد يكون غير ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى عندما أراد تفسير قول الله تعالى: ﴿...و طلع منضود﴾ (الواقعة- 29)، قال: زعم المفسرون أنه الموز. وأما العرب. الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك. وقال الحادي:

بشرها دليلها وقالاً
غدا ترين الطلح و الحبالاً⁴³³

⁴³²الموافقات، 2/ 87

⁴³³مجاز القرآن لمعمر بن المثنى، 2/ 250

فأبو عبيدة فسر اللفظة تفسيرا لغويا بحتا، ولم يراع الاستعمال القرآني للكلمة ولا السياق الذي وردت فيه. ولو أنه استعمل المنهج السياقي في التفسير ونظر إلى السابق واللاحق لعلم أن الآية مسوقة مساق الامتنان؛ فإله تعالى ذكر منه العظيمة على عباده المؤمنين في الجنة، فكيف يمتن عليهم بشجر كثير الشوك، فالشوك لا يعد من النعم في شيء.

ونلاحظ هنا أن التفسير اللغوي قاصر عن فهم المعنى القرآني للفظ "طلح" وأنه لا ينسجم مع سياق النص القرآني، بيد أننا نجد أن الرواية منسجمة تماما مع السياق العام.

ترجمها كشريد:

Et des **bananiers** aux régimes bien fournis,

و ترجمها أندريه شوراكي بالنبات الشوكي:

et les **acacias**,

ومن الأمثلة التي اعتمد فيها أبو عبيدة أيضا على مجرد اللغة دون مراعاة لأقوال السلف وللسياق قوله في تفسير قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام يغاث فيه الناس و فيه يعصرون﴾ (يوسف- 49) فعند تفسيره لكلمة يعصرون-قال:

أي به ينجون وهو من العصر وهي العصرة أيضا، وهي المنجاة، قال: ولقد كان عصرة المنجود، أي: المقهور المغلوب.

وقال لبيد:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقفا بدار معصر⁴³⁴

وقد اعتمد أبو عبيدة على اللغة في تفسيره لهذه الآية، لأن أصحاب اللغة يذكرون أن

العصر - بفتح العين و الصاد - هو الملجأ والمنجاة وكذلك العصرة.⁴³⁵

أما الراغب الأصفهاني فقد فسرها تفسيراً ملائماً لسياقها حين قال: "وفيه يعصرون أي

يستنبطون منه الخير".⁴³⁶

ترجمها كشريد بأنهم يذهبون إلى المعصرات:

Puis, viendra après cela une année où les gens seront secourus

[par la pluie] et iront au pressoir."

⁴³⁴ شرح ديوان لبيد، تحقيق د. إحسان عباس، 49

⁴³⁵ تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة عَصْر، أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1956.

⁴³⁶ المفردات للراغب الأصفهاني، ص 336

و ترجمها كازيميرسكي بأنهم يعصرون العنب و الزيتون، وهذه إضافات تخصيص غير جائزة:

Puis viendra une année pendant laquelle les habitants de ce pays auront beaucoup de pluies et **presseront le raisin et les olives.**

الملاحظ هنا أن التفسير اللغوي لم يصب في بيان معنى الآية ولم ينسجم مع سياق النص الذي يفيد أن هذا العام هو عام خيرات وبركات حتى إن الناس يعصرون الفواكه لكثرتها ووفرتها.

نستخلص مما سبق أن المعنى اللغوي لا يكفي لفهم و من ثمة ترجمة القرآن الكريم بل لابد من ملاحظة التحول الذي طرأ على الألفاظ العربية في سياق القرآن الكريم.

2- التحول الدلالي لألفاظ القرآن الكريم

اختلف العلماء في المقدار الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم لأصحابه:

فمنهم من قال: أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، فسر كل القرآن؛ لأنه مأمور بالتبليغ، فلا بد له أن يبلغ معانيه كما بلغ ألفاظه.

ومنهم من ذهب إلى: أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم يفسر القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، بل قليل من معاني القرآن.

ولكلا الفريقين أدلته التي استند إليها لترجيح مذهبه، والرأي الذي يمكن الاطمئنان إليه في هذه المسألة: هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر من القرآن ما أشكل على الصحابة رضي الله عنهم وذلك لأنهم أهل لغة، وكانت لهم قدرة ومملكة على فهم الكثير من القرآن دون الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم يفسر كل معاني القرآن، بل ترك الآيات التي لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في حاجة إلى تبيانها، وكان يكفيهم الرجوع إليها اعتمادهم على قدراتهم وطاقتهم لفهمها، ومما يؤكد ذلك اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في تفسير بعض الآيات وتفاوتهم على مستوى فهمها وبيانها.

إن علم أصول الفقه وعلم النحو وعلم الكلام من أكثر العلوم تبادلًا للمفاهيم فقد انتقلت مفاهيم الأصوليين إلى النحويين. كما انتقلت مفاهيم اللغويين إلى الأصوليين وكان من آثار هذا الانتقال أن اكتسبت هذه المفاهيم معانٍ جديدة غير المعاني التي كانت عليها في علومه الأصلية وهذا مؤشر على ضرورة التمييز بين هذه المفاهيم في الدلالة والمعنى في حقولها المعرفية الأصلية أو في الحقول المعرفية الأخرى التي انتقلت إليها هذه المفاهيم. فمفاهيم علماء الأصول اكتسبت دلالات جديدة عند علماء اللغة وهذا أمر طبيعي لأن موضوع العلمين غير متقاربين من حيث الموضوع والمنهج. ذلك أن

موضوع علم أصول هو الاستدلال على الأحكام وضبط النص في فهمه. أما موضوع علم اللغة فهو وضع معايير لضبط التواصل والتخاطب بين المتخاطبين. كما أن الجهاز المفاهيمي عند اللغويين اعتراف نوعاً من التحول في الدلالة عند علماء الأصول. وهو المعطى الذي يجب الانتباه إليه لكل من مارس القراءة أو البحث في مسار المفاهيم وتاريخ المصطلحات المتداولة في التراث العربي الإسلامي فالمصطلح الواحد تنتوع دلالاته وتتعدد معانيه تبعاً للحقل المعرفي المتداول فيه.

إن استقلالية الكلمة القرآنية في معناها عن لغات البشر يدل له الدكتور محمود السعران عن ترجمة كلمة "الله" وكيف أن معناها في القرآن الكريم لا يمكن تفسيره أو ترجمته إلى باقي اللغات، فاللغة الفرنسية مثلاً لا تتسع لاستيعاب معاني هذه الكلمة القرآنية العظيمة. فكلمة "الله" لا مؤنث لها و لا مثنى و لا جمع⁴³⁷. فقد ترجم الدكتور

كشريد البسمة:

Au Nom d'Allah Le Tout- Clément Le Tout- Miséricordieux

فقد حافظ على الكلمة "الله" كما وردت ليميز بين كلمة الرب و الإله التي ترد في الكتب السماوية الأخرى:

⁴³⁷ علم اللغة، مقدمة للفرائد العربي، دكتور محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ص 281

Dieu-Dieux/Déesse-Déesses

ولقد تفتن كثير من القدماء إلى هذا التغير الدلالي الحاصل على ألفاظ القرآن الكريم، قال أبو هلال العسكري: 'فالفرق بين الاسم العرفي والاسم الشرعي أن الاسم الشرعي: ما نقل عن أصله في اللغة فسمي به فعل أو حكم حدث في الشرع نحو: الصلاة والزكاة والصوم والكفر والإيمان والإسلام وما يقرب من ذلك، وكانت هذه أسماء تجري قبل الشرع على أشياء، ثم جرت في الشرع على أشياء أخرى، وكثر استعمالها حتى صارت حقيقة فيها وصار استعمالها على الأصل مجازاً. ألا ترى أن استعمال الصلاة اليوم في الدعاء مجاز وكان هو الأصل.

و'الاسم العرفي هو ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال نحو قولنا (دابة) وذلك أنه قد صار في العرف اسماً لبعض ما يدب وكان في الأصل اسماً لجميعه. وعند الفقهاء إنه إذا ورد عن الله خطاب قد وقع في اللغة لشيء واستعمل في العرف لغيره ووضع في الشرع لآخر. فالواجب حمله على ما وضع له في الشرع، لأن ما وضع له في اللغة قد انتقل عنه وهو الأصل. فما استعمل فيه بالعرف أولى بذلك وإذا كان الخطاب في العرف لشيء وفي اللغة بخلافه، وجب حمله على العرف'.⁴³⁸

⁴³⁸الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص56

وهناك كلمات أخرى كان من الصعب اعتبارها مصطلحات إسلامية لأنها تحمل دلالات إسلامية عامة لا يمكن حصرها في إطار معين، مثل الخير، والشر، والدعاء، والسلطان، والغلو، والرجس، والخبائث، والزنا، فهذه كلمات عامة الدلالة يستوي في فهمها كل الناس، مسلمين وغير مسلمين، فإذا أطلقت هذه الألفاظ فإنها لا تكون معنى محدداً يمكن اعتبارها معه معنى إسلامياً أو مصطلحاً إسلامياً.

وكان يمكن دراسة هذه الكلمات مع غيرها من المصطلحات في هذا البحث، إلا أن ذلك يخرج هذه الدراسة عن الغاية التي عقدت من أجلها، وهي دراسة التطور اللغوي، في مجال الدلالة والمعنى عبر عصرين متواليين هما العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول. وعدم وضوح هذه الغاية هو السبب الذي جعل بعض الكتب القديمة التي وضعت لمثل هذه الدراسة تخرج عن قصدها.

وهناك نمط ثالث من الكلمات تخضع لهذا الحكم نفسه. وهي الكلمات الخاصة بالأحوال المدنية في حياة الناس كالزواج والطلاق والميراث والوصية، فهي على الرغم من أنها تحمل دلالات إسلامية معروفة، إلا أنها لا تكون مصطلحات إسلامية، لأنها عامة في كل الشعوب، لذلك فإن الأولى بها أن تعالج في كتب الفقه ليتعرف الناس إلى أحكامها وشروطها. أما عند ترجمتها فيكفي أن ننقلها بمكافئها.

إن الحاجة الإنسانية للاتصال ما بين الشعوب ، و تبادل الثقافات ، و بناء الحياة الاقتصادية ، و التجارة و تبادل السلع كان من الأسباب التي مهدت لعملية الترجمة ، إذ أن الاتصال المباشر يتطلب فهم الطرف الأول للطرف الثاني ، و بما أن اللغات أدوات و وسائل لتفكير المجتمعات ، و هذه الأدوات تختلف من أمة إلى أمة فلذا كان من الصعوبة أن تصل وسائل الاتصال إلى نتيجة متكاملة من الفهم. و من هنا لو القينا نظرة إلى أصول كل لغة من لغات العالم ، للاحظنا أن اللغات قسمت إلى عوائل و فصائل ، فبعضها ما هو متقارب في عناصرها أو من أصول منحدره من عائلة أو فصيلة واحدة. فاللغات السامية يمكن أن نرى أوجه التشابه في بنية ألفاظها ، و الهندوأوربية و لغات أوروبا مثلا كالجرمانية. و نلاحظ أن الوصول إلى أي ترجمة تعطي دلالات متقاربة في ألفاظها ، هذا ما يحدث في هذه اللغات التي تنتهي إلى عائلة واحدة ، أما لو انتقلنا من عائلة إلى أخرى والى فصائل مختلفة للاحظنا أمر الدلالة عند أهل الترجمة يبدو أكثر تعقيدا.

و الشعوب كانت حاجتها ملحة إلى الاتصال فيما بينها ، فاليونانيون كانوا يحاولون ترجمة ما عند البابليين أو السومريين للحاجة الملحة إلى اكتساب العلوم والمعرفة ، والشعوب الأخرى تحتاج إلى التواصل مع الصين و المصريين و غيرهم من الشعوب. و ما نقله الدكتور إبراهيم أنيس عن كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي بقوله ' و جاء العرب فحاولوا نقل فلسفة اليونان و علومهم إلى اللغة العربية ، فصادفوا المشقة و

العسرة و لم يحقق النجاح منهم إلا القليل ، لأن أكثر المترجمين في العصر العربي نقلوا آثار اليونانية عن السريانية لا عن لغتها الأصلية مما جعل السيرافي يشكك في صحة هذا النقل و يثير تلك المحاورة الطريفة التي كانت بينهم و بين (يوسف بن متى) في حضرة الوزير المتوفى سنة 320⁴³⁹.

3-التجلي الدلالي

3.1-تعثر الترجمة للجمل الفعلية المتقدم فاعلها

تشكل ترجمة الجمل الفعلية المحولة بتقديم فاعلها في القرآن الكريم والمؤولة بحسب نظرية العامل الشكلية على أنها جمل اسمية مركبة في أغلب كتب التفسير معضلة كبيرة في ترجمة النصوص القرآنية التي جاءت على هذه الشاكلة إلى اللغات الأخرى والفرنسية خاصة . والنموذج الصارخ على ذلك ما في الآية التالية :

- ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ (الرعد 8) : ترجمها جاك بيرك :

Dieu connait ce que porte toute femelle

وهذه الترجمة غير دقيقة على الإطلاق ، ويبدو أنه جعل التركيب الفرنسي مكافئاً للتركيب العربي شكلياً ، أي " فاعل +فعل +مفعول به " والمقابل الترجمي الفرنسي أصلي المعنى لا حصر فيه للفعل على الفاعل ، في حين المعنى في تركيب الآية

⁴³⁹دلالة الألفاظ 169

تركيب محول غير أصلي يحمل معنى أسلوبيا قويا يتلاءم مع نص الآية والسورة ، قال الفخر الرازي(ت604هـ) : " وجه النظم أنه تعالى لما قال ﴿وان تعجب فعجب قولهم﴾ (الرعد5) في إنكار البعث. فبين تعالى أنه إنما لا يبقى الامتياز في حق من لا يكون عالما بجميع المعلومات . ثم احتج على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام .و هذا متصل بقوله ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ (الرعد6) ، " والمعنى أنه تعالى عالم بجميع المعلومات فهو تعالى إنما ينزل العذاب بحسب ما يعلم"⁴⁴⁰ ، وقال الطاهر بن عاشور : " وجعلت هذه الجملة في هذا الموقع لأن لها مناسبة بقولهم ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾، فإن ما ذكر فيها من علم الله وعظيم صنعه صالح لأن يكون دليلا على أنه لا يعجزه الإتيان بما اقترحوا من الآيات"⁴⁴¹ . وهكذا فعلت للأسف الشديد جلّ الترجمات الفرنسية للقرآن ولم تحسن قراءة الآية ؛ لأنها لم تفهم المغزى الأسلوبى العظيم من تقديم الفاعل المسند إليه على الفعل المسند فيها وربما كانت تلك الترجمات متأثرة ببعض كتب التفسير الزائغة. وكان المفروض أن تكون الترجمة النصية :

Dieu seul sait ce que porte toute femelle.

⁴⁴⁰التحرير والتنوير ص 2228

⁴⁴¹الترجمة والمعنى ، م.لارمون ، تر : محمد حلمي هليل ، جامعة الكويت 2007 ، ص 59.

وعلى هذا يرى بعض الدارسين الغربيين أن " المعنى المختار في اللغة يتأثر بالمقام الاتصالي أي بالمتحدث والجمهور المستمع والقيم الثقافية ، و ما إلى ذلك. فالمتكلم أو الكاتب يختار ما يرغب في إيصاله بناء على عوامل متعددة في المقام الاتصالي ، وحالما يحدد المعنى تعين عليه استخدام أشكال اللغة التركيبية والمعجمية والصوتية التي يرغب من خلالها في إيصال المعنى ، وقد يفضل شكلا على آخر من أجل تقديم معنى انفعالي معين فضلا عن المعلومات التي يود نقلها ، وقد يفضل شكلا على آخر لأنه يود أن يجعل جزءا ما أكثر بروزا من جزء آخر لكي يجعل جزءا آخر من الرسالة محور الاهتمام .⁴⁴²

والتجلي سمة لبنية الخطاب تجعل جزءا من الأجزاء أكثر أهمية من غيره ، أي أكثر مغزى أو نتوءا من غيره ، ووسائل البنية التركيبية المستخدمة لوسم التجلي كثيرة ومتنوعة وعلى المترجم اكتشاف أجزاء المصدر التي قرر المؤلف إبرازها ، وينبغي عليه متى وفق في تحليل قصد الكاتب أن يعنى بالأدوات المناسبة في اللغة المصدر التي تعيد بناء البروز في اللغة المستقبلية بوصفه سمة من سمات البنية الدلالية .⁴⁴³

ويجب أن يعلم أن تمثيل التجلي من قبل المترجم تمثيلا سيئا في الترجمة يمكن أن

⁴⁴²السابق نفسه

⁴⁴³السابق ص697.

يشوه المعنى الذي يقصده الكاتب كما ويجعل الترجمة في بنيتها غير طبيعية⁴⁴⁴ وقد أهمل مترجمو القرآن هذا الموضوع إهمالا شبه تام في ترجماتهم ، إذ أقاموا تكافؤا بين بنى لغوية قرآنية وأخرى فرنسية لا تكافئها البتة .

3.2-مشكلات الدلالة في الترجمة

المشكلات الأساسية التي تواجه الترجمة كثيرة ونلخص منها ما يأتي:

3.2.1- اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين: و هذا يشمل:

3.2.1.1- اتساع مدلول الكلمة و ضيقه في لغة اخرى: الرحمان-القدير-السميع...

Clément-Puissant-Entendant

3.2.1.2- استخدام الكلمة في أكثر من معنى في لغة و في معنى واحد في اللغة

الأخرى ، و مثال ذلك تعبير العرب عن درجات الحمرة بالفاظ مثل " أرجوان " للشديد الحمرة "بهرمان" لما دونه. و هكذا من الالفاظ ما يحدث صعوبة في الترجمة.

و مما ينظر اليه أن اللفظ قد يكون بالعكس. فالعربية فيها دلالة واحدة للفظ معين و

grand, longبالفرنسية اللغات الأخرى لها عدة الفاظ ، مثال ذلك طويل يقابلها

ولكل منهما استخدامه الخاص.

⁴⁴⁴علم الدلالة 254

أو كلمة مكتبة bibliothèque تعني مكتبة عامة و librairie تعني مكتبة لبيع الكتب
و هناك امثلة كثيرة.

3.2.2- اختلاف التوزيع السياقي لكلمتين تبدوان مترادفتين: و هو أن اللفظين

مترادفان في اللغتين في معناهما العام و لكنهما يختلفان في التطبيق و الاستعمال مثل:

و تعني فقير ماديا pauvre

وتعني محتاج للشفقة pauvre garçon

فمثل هذه السياقات تختلف باختلاف الاستعمال و " قد تكون من عوائق الترجمة لعدم
وجود مقابل لها في العربية فمثلا في اللغة العربية لا يمكن أن نقول ياله من ولد فقير
بل نقول ياله من ولد مسكين⁴⁴⁵.

3.2.3- الاستخدامات المجازية:

لما كانت اللغات لا تتطابق في الاستخدام المجازي للألفاظ و التعبيرات فان الترجمة
لأي استخدام مجازي لا يصح ان تكون حرفية. مثلا:

بالفرنسية لا يصح ان تقابله (مساء العمر) لأن العرب (le soir de la vie)

يستعملون مقابلا مجازيا و هو (خريف العمر).

⁴⁴⁵ دلالة الألفاظ نقلا عن زهر الآداب و ثمر الألباب للنويري 208/2

3.2.4- اختلاف التصنيفات الجزئية:

إن اختلاف التصنيفات الجزئية في كل اللغات أمر طبيعي ، فكل اللغات تستخدم الجهاز النطقي بصورة مشابهة و لكنها تختلف في عملية انتقاء الاصوات التي توظفها نتيجة لاختلافها في تحديد اماكن انتاجها و كل اللغات تتركب كلمات و مقاطع من الاصوات لكنها تختلف في اختياراتها و في طرق تركيبها تبعا لانتقائها مثال ذلك حقل الحرارة والبرودة و حقل الالوان فالحرارة مثلا :

Chaud, brulant, tiède.

اما الالوان فتختلف بحسب التدرج اللوني منها ما فيها درجات منخفضة و منها ما فيها موجات عالية.

3.2.5- التلطف في التعبير :

هناك الفاظ لا يمكن استعمالها فالتعبير الدلالي لها قد يعني المماس او الحساسية باللغة الفرنسية. (Enceinte) ففي اللغة المؤدبة لا تكاد تسمع كلمة و نظيره في العربية (كلمة حبل) التي لا نسمعها في الكلمة المؤدبة و استعيض عنها بكلمة حامل.

3.2.6- الأحياء و الجرس الصوتي

اللغة العربية من اللغات التي عنيت بموسيقى الفاظها و عباراتها في كل العصور. فلها ما يسمى بالمحسنات اللفظية و هناك شواهد كثيرة في اللغة العربية تعتمد الجرس و العروض فضلا عن البلاغة و البيان و البديع و من أشهر ما يواكب اللفظ و الجرس الموسيقي الجناس منه قول رجل يتظلم عند المأمون العباسي " يا امير المؤمنين ما ترك لي فضة الا فضها ، و لا ذهب الا ذهب به ، و لا غلة الا غلها و لا ضيعة الا اضعاعها و لا عرضا الا عرض له ، و لا ماشية الا امتشها و لا جليلا أجلاه"⁴⁴⁶. فكيف السبيل الى ترجمة هذا الكلام و هو كثير في اللغة العربية.

والى غير هذا ، ففي النصوص الأدبية و بخاصة نصوص اللغة العربية معان كثيرة ، منها المعنى الإيحائي و الأسلوبي و النفسي و الى غير ذلك.

و في النصوص الادبية يتضح بأن أمر الترجمة عسير جدا بما تحمله النصوص الادبية من أفكار و معان قد لا يتوصل المترجم فيها الى أصل النص. و من هنا يمكن القول بأن المترجم يجب أن تتوافر فيه شروط مهمة ، هي أن يكون ملما بما يترجم. ان الذي يترجم ما يتعلق بالعلوم يجب ان يكون ملما في لغته بجوانبها العلمية و كذلك

⁴⁴⁶ دلالة الألفاظ 78

اللغة الأخرى ، والأديب لا بد أن يكون متمكنا و دقيقا و له ذوق رفيع في الأدب
ليتمكن من نقل أفكار الآخرين ، ولذا نجد أحيانا ترجمات ضعيفة للغاية لا يمكن
الاستفادة منها. أما إذا كان المترجم ملما بلغته و اللغة التي ترجم فيها ، فيستطيع تقديم
إبداعه بشكل معقول. فالترجمة من الكتب المقدسة على سبيل المثال يتحرج منها
المترجمون لأنها ليست سهلة وقد لا يصل المترجم فيها إلى المقصود ، فقد لوحظ أن
الترجمات الموجودة الآن عن القرآن الكريم يكثر فيها التعقيد بل تترك بعض المعاني و
هي ذات أهمية. ويبتعد المترجمون عن ترجمة القرآن لوجود نصوص اعجازية لا يمكن
ضبط مقصودها. ولذلك اعتمد أكثر المترجمين سواء كانوا عربا أو مستشرقين ترجمة
تفسير القرآن وليس النص القرآني ، وفي مثل هذه الحال قد تضيع الدلالة ، والمعنى
يفقد المراد.

فالترجمة فن لا بد أن يراعى فيه دلالة الألفاظ و دقة فهم المعاني فضلا عن فهم دلالة
النصوص بكاملها.

4- استيحاء الدلالة من الألفاظ

لكل لغة نظام خاص في تأليف ألفاظها فألفاظ اللغة العربية تتألف من الحروف
الهجائية، ويتكون اللفظ من هذه الحروف، فإن تعدى إلى غير هذه الحروف كان اللفظ
غير عربي. ونسيج اللفظ له خصوصية فإن تعداها فاللفظ غريب فعند العرب مثلا لا
يجتمع الجيم وحرف القاف مثل كلمة المنجنيق فهي غير عربية. وفي ذهن الإنسان

ذخيرة لفظية مكتسبة في مراحل حياته، وهنا رأى اللغويون ان السليقة هي مظهر من مظاهر الوراثة فلو ارتجلنا لفظا لشخص وطلبنا منه ان يخمن دلالة اللفظ، واخترنا شخصا اخر يعيش في الوسط نفسه والبيئة نفسها، فقد يستخرج لنا دلالة لفظ متقاربة او شبيهة مع الاول. والمحدثون من اللغويين لا يقولون بالسليقة ولا علاقة لذلك بالوراثة. وهنا قالوا بأن المرء يتعلم لغة ابويه ويربط منذ طفولته بين الفاظ قومه ودلالاتها ربطا وثيقا وبهذه الطريقة، وهي ما تجعل لديه ملكة كسب وهذا ما يحتاج الى زمن طويل. لقد اثبتت التجارب ان القدرة على استيعاب الدلالات مرجعها ما يكسبه الانسان من الفاظ معينة ومن ربطه بين تلك الالفاظ ودلالاتها ربطا وثيقا * ان كلمة ايا كانت توظف دائما في الذهن صورة ما، بهيجة او حزينة، رضية او كريمة، كبيرة او صغيرة، معجبة او مضحكة. ويضرب مثلا قائلا اذكر اسم انسان ما امام شخص لم يره قط فانه يكون عنه فكرة في الحال، فكرة زائفة على وجه العموم فاذا قدمت له هذا المجهول على الفور، ومثل هذا الشيء ونفسه يحصل بالنسبة الى كلمات اللغة، فإدراكنا للأشياء خاضع لانطباعات فجائية منبعثة من الاسم الذي يدل عليهما" (10).

وان التجارب اثبتت ان اللغة تخضع لنظام خاص في تركيبها من الحروف الهجائية، وان بعض هذه الألفاظ يخترعها المرء في حافظته ، وهي ان خضعت للنظام العام للغة فستتميز بصفات معينة، تترك اثر قويا في ذهن من يعينها و يحفظها.

إن لكل فن خصوصية قد تأتي على الأعراف اللغوية بكثير من المؤلفات التي تختلف من حقل علمي لآخر ، ومجموع ما يأتلف لدى أهل الاختصاص من ثوابت معرفية ومقاييس لغوية يشكل الأرضية التي من خلالها ينتقي أو ينحت الباحث نموذجها الاصطلاحي، ولعل المنتبِع يجد أن لمثل هذه العملية شروطاً لا بد من تحققها لتمر المفردة أو العبارة من وضع الاشتراك اللغوي إلى وضع المواضع الخاصة.

5- حدود التمايز بين المصطلح والمفهوم

من البديهي أن نسعى إلى تبين الحدود المميزة بين كل من المفهوم والمصطلح، فنجد أن مادة مفهوم في اللغة العربية قد وظفت باعتبارها مادة تحيل على تصور أو فكر، في حين نجد أن المصطلح قد استعمل للدلالة على مادة الفكر، ثم إن الإطار المرجعي الذي يتسنى له تحديد مثل هذا التمايز ينبني على أن المصطلح يختلف بحسب خصائصه من عشيرة لغوية/مجتمع لغوي إلى آخر، أي يتميز بالخصوصية، وهو واقع معكوس بالنسبة إلى المفهوم الذي يتميز بالكونية والامتدادية، فطابعه الاتفاق على اعتبار أنه يحمل فكرة عن شيء، وتبقى عملية الاصطلاح على ذلك المفهوم رهينة كل خصوصية ثقافية وفي ضمنها يكون التمييز بين الاصطلاح العام أو العرف العام والعرف الخاص، أي تلك الخصوصية التي تميز الحقل الذي يشتغل به وعليه

المصطلح، ومن ثم نجد مشاعية المفهوم، في حين أن نحت المفهوم يغدو مقصورا على خصوصية المعالج للمفهوم من خلال إطلاق اللفظ على المعنى وهو المصطلح الذي هو نتاج الاصطلاح، ومن ثم " نجد أن المفهوم والمصطلح يتقاطعان في مسألة الاتفاق، فالإطار المرجعي الذي ينظم هذه المادة يتحدث عن الاتفاق والتوافق والاصطلاح، والدلالة اللغوية لهذا الأخير، تعني وقوع توافق ناتج من اتفاق مبدئي ومرجعي بين مجموعة من الناس، وهذا الاتفاق مادته المفهوم للخروج من خلال معالجته على اتفاق حول مصطلح حامل لدلالة ومادة المفهوم، فهو مادة موضوعية مستقلة، من ثم تكون المصطلحات رموزا للمفاهيم بحسب إدراكنا البشري، الأمر الذي يعني أن المفاهيم قد وجدت وتشكلت قبل المصطلحات"⁴⁴⁷ .

فالاتفاق يغدو معيارا ضابطا يكسب المصطلح صفته الاصطلاحية، وفي غيابه نكون أمام مفهوم متنازع عليه، لأن محيطه غير مطرد، وشبكة أبعاده غير واضحة ودلالته غير محددة بدقة، ف"إضافة عنصر الاتفاق هي التي تضمن استقرار دلالة المفهوم إذ

⁴⁴⁷كوريح (سعاد)، الدراسة المفهومة مقارنة تصوّريّة و منهجيّة، مرجع سابق، ص48.

بها نتمكن من الولوج حيز الاصطلاح، وبها نتعين إحالته على مرجع محدد في مجال مخصوص، فما قبل الاتفاق نكون أمام المفهوم، ومع حصوله نكون أمام مصطلح.⁴⁴⁸

في هذا السياق يتضح أن " المفهوم (concept) غير المصطلح (terme)، فالأول يحيل على فكرة يحكمها المتغير وعدم الاستقرار، في حين أن المصطلح يميل إلى الخلف وهو الاتفاق، بحكم موضوع الاختصاص، ليكون عبارة عن شيفرة جامعة تجعل من التواصل بين أهل الحقل العلمي أو غيره سهلة و ممكنة.⁴⁴⁹

وبالإمكان تفصيل بعض المعايير المميزة بين المفهوم والمصطلح قصد مزيد توضيح الحدود الفاصلة بينهما والمانعة من التداخل أو اضطراب الفهم من خلال هذا الجدول المقارن التالي:

المصطلح	المفهوم	المعايير
يقترن بتعريف منضبط للمعنى المقصود الإحالة عليه وذلك من خلال مفردات متماسكة ومختصرة.	المعنى الذهني الذي يثيره اللفظ في الأذهان واللفظ هو الدلالة الكلامية عليه أما المصادق فهو الفرد أو الأفراد التي ينطبق عليها اللفظ إذ يتحقق فيها مفهومه الذهني	التعريف

⁴⁴⁸الحسني (عبد الكبير)، إشكالية المصطلح اللساني الحديث، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب، الرباط، مقال منشور بمجلة النبا المعلوماتية، www.annaba.org.

⁴⁴⁹الممّدي (عبد السلام)، المرجع السابق، ص 29.

<p>فحدية التعريف هي الميزة الفارقة في التمييز بين المفهوم والمصطلح، فالمفهوم يعرف إجرائيا ولا يتسنى تعريفه حديا، فإن عرف حديا غدا مصطلحا، بينما المصطلح يعرف حديا لكن يمكن تعريفه إجرائيا تجاوزا على سبيل التوضيح والتقريب مع احتفاظه بالضوابط التي تميزه كمصطلح.</p>	<p>الضبط الدلالي</p> <p>المفهوم كلمة مشكلة، يندر فيه يكون في أعلى درجات الضبط الدلالي، الضبط الدلالي ويتعذر التأطير أي أن تعريفه منغلِق لا يقبل انفتاحا على الكامل لمعناه، إذ غالبا ما يعرف الزيادة والنقصان، و أن كل لفظ فيه هو بمفردات غير منضبطة تقبل الزيادة ركن من أركان المصطلح و لبنة في بنائه. والنقصان.</p>
<p>التفرد بالدلالة</p> <p>في منزلة وسطى بين المصطلح متفرد بالدلالة الدقيقة على معناه فهو واللفظ اللغوي نظرا لأنه يحيل على يرفض الترادف و الاشتراك كما يقتضي أن مجال دلالي عام دون أن تنحصر بوضع الدال الواحد و يستعمل بإزاء مدلول دلالته في معنى معين وهو مع ذلك واحد. يرفض الترادف والاشتراك لدقة دلالته على مجاله.</p>	<p>أثر السياق</p> <p>يتأثر المفهوم بسياقه الحاف به، يكون المصطلح مكتفيا بذاته بفضل كمال بطريقة أنه دائم الانتماء إلى الضبط و التفرد الدلاليين، و عليه يكون منظومة يرتبط ضمنها بغيره من المصطلح مستقرا ثابتا لا يلحقه أي تغيير، المفاهيم، مما يضيف عليه معنى فهو يحيل على تصور محدد يضمن له علاقتا جديدا، يوسع من مضمولاته أحادية المعنى قبل أن يوظف في</p>

	<p>أو يضيق، ويضيف إلى عناصره أو الخطاب. يحذف، فيحدث تغييرا طفيفا أو جوهريا على المجال الدلالي الذي يحيل عليه المفهوم.</p>	
<p>المصدر التاريخي: التداول والاستخدام والشبوع هو المحدد الرئيس لدلالة المفهوم أو المصطلح. المصدر الذاتي/الشخصي: الذي يقترحه ويتداوله شخص من المختصين في مجال معين ويعين مفردة ما للدلالة على معنى معين ويتسنى لها الشبوع والتداول. المصدر النصي: وهي خصيصة النص المتميز في مستوى لغته، فتكون فيه بعض المفردات المتداولة و المتكررة في أماكن مختلفة فتشكل مفاتيح لفهم النص. النقل الاصطلاحي: يقصد به طريقة أي لسان في معالجة الألفاظ التي يستقبلها من الألسنة الأخرى مستوعبا إياها دالا و مدلولا، وأطلق عليها اللغويون مفهوم الاقتراض.⁴⁵⁰</p>	<p>المظان والمصادر</p>	
<p>تتشارك المفاهيم والمصطلحات في كونها بيانات لفظية تحمل تصورات خاصة بمجالات معينة وتنفرد المصطلحات باستكمال شروط اصطلاحيتها المتمثلة في النضج و الاتفاق⁴⁵¹</p>		

⁴⁵⁰ مقال (كوريم) سعاد، الدراسة المفاهيمية: مقارنة تصویریة منهجية، مجلة إسلامية المعرفة، عدد60، ص51-53.

⁴⁵¹ المسدي (عبد السلام)، المصطلح النقدي، ص13

رغم أن تعريف المفهوم غير ثابت إلا أنه وباجتهاد فلسفي يمكننا أن نقول بأن المفهوم هو فكرة أو تصور عن شيء ما بحيث يحقق لهذا الشيء معنى ، وهناك المفهوم العياني والذي يتعلق بشيء أو بعنصر مادي أو محدد يقابله المفهوم المجرد والذي يتعلق بشيء أو بعنصر مثالي أو عقلي أو غير محدد ، ويتيح المفهوم معنى واضح ودلالة لمفردات تتركب منها جملة من الجمل أو نص من النصوص من خلال طرح خاص أو تبعا لسياق من حديث أو حوار أو دراسة.

فالمصطلح يقترب من تعريف المفهوم أو هو يتماثل معه في تعريفه الأساسي ، ويمكن الفرق بينهما في أن المصطلح أكثر ثباتا وتماسكا من المفهوم ويعطي معنى محددًا في نظام أو في مجال معرفي أو في سياق معين بينما المفهوم أكثر مرونة وتغيرًا من المصطلح ويختلف من نظام إلى آخر ومن سياق إلى آخر لذا فهو يحتمل أكثر من معنى ، بل أحيانا لا يترادف مفهوم مع آخر مماثل في نفس السياق وإنما يختلف عنه بحسب الموضوع والقضية والتركيب المنطقي . ومن هنا يمكننا توضيح الفرق بين المفهوم والمصطلح باستخدام مقولة تنص على أن: كل مصطلح مفهوم و العكس غير صحيح، إذ ليس كل مفهوم مصطلح. فمصطلحات " الصداق - الميراث - الغزوة " مفاهيمها مختلفة و ترجمتها من العربية إلى الفرنسية تفرض علينا نسخها بأحرف لاتينية حتى تصيب مفهومها الذي وضعت من أجله. و في ما يلي مثال عن مصطلح الصداق و كيف يتغير مفهومه من العربية إلى الفرنسية:

Une **dot** désigne l'apport de biens par le père de l'épouse au patrimoine du nouveau ménage qui accompagne le mariage dans de nombreuses cultures. Il peut s'agir de biens dont la femme ou le mari sont dotés par leurs familles, mais aussi d'un don entre époux.(« Les prestations matrimoniales » , Alain Testart,, 2002, t. 161, p. 170.)

La dot : c'est la somme d'argent (ou autre) donnée à l'épouse à l'occasion de l'acte de mariage. On l'appelle dans le langage populaire, le trousseau (de la mariée).

La dot est un droit de la femme en vertu du mariage, qu'elle ait été citée comme condition du mariage ou que l'on ne l'ait pas évoquée.(« Le mariage en Islam » du Cheikh Muhammad ibn SALIH AL UTHAYMIN , éditions Anas, traduction YAQUB LEENEN 2004, page 58, 8ème partie)

6- شروط إختيار المصطلح في العملية الترجمة

6.1- لا يجب أن يعكس المصطلح العلاقة بين فكرة أو مفهوم في الذهن مع وحدة لسانية مع إغفال الوضع الحضاري الذي يعكسه المصطلح، بمعنى أن ظواهر الكون ومظاهره لا بد أن تحفز الذهن وتثير لديه الإشكاليات والتساؤلات " فتحت ضغط الحاجة تتولد الوسيلة، وفي خضم هذه الصيرورة الحضارية تقف اللغة-أي لغة كانت-مشدودة إلى قطبين متجاذبين: يدفعها الأول بضغط المواكبة ويشدّها الثاني بوازع حب البقاء انتقاء للانسلاخ الماحي لرسمها، وليس ما نسميه بحياة اللغة سوى قدرتها على ترشيح التعادلية القابضة على طرفي الجذب: أن تتلاءم مع الاقتضاءات المتجددة وأن تبقى على بناها التي بها جوهرها وفيها هويتها"⁴⁵²

6.2- البعد عن التعصب أيا كان نوعه، نظرا إلى أنه يؤزم الخريطة المصطلحاتية، خاصة إذا وجد مصطلح آخر أكثر دلالة وبيانا وإجرائية منه. "قالزانية و البغي و الغانية" كلّها مصطلحات تدلّ على الزنى إلا أنّ لكلّ مصطلح حدود مفهومه الخاص به، و في اللغة الفرنسية أيضا:

⁴⁵² عيسى الملائكة (جميل)، تقييس المصطلح و توحيدده في العالم العربي: المبادئ و الطرائق، مجلّة المجمع العلمي العراقي، م/41 ج 1-1410 هـ-1990م، ص 54.

La fornicatrice ; Selon la définition classique, le terme fornication désigne un rapport sexuel consenti entre un homme et une femme libres de tout lien ou empêchement, c'est-à-dire non mariés (ni entre eux ni chacun de leur côté) ni liés par des vœux de religion, ni parents. Cette pratique, condamnée par certaines religions (péché de la chair)

La dévergondée : Libertinage, excès, dérèglement dans les mœurs. Etre dévergondé : mener une vie licencieuse. Un jeune homme dévergondé ; une jeune fille dévergondée.

La prostituée : est une forme d'échange économique-sexuel ponctuelle, explicite et préalablement négociée. Bien que pratiquée par les membres des deux sexes, elle est majoritairement exercée par les femmes auprès d'hommes.

(extraits tirés de : Jacques Solé, L'âge d'or de la prostitution : de 1870 à nos jours, Omnibus-Paris, 1993,p216)

6.3- أن يقره فريق من العلماء من أهل الاختصاص، ليغدو مقبولاً وأخذاً بالشرعية الإجرائية التداولية، وقبل إقراره يكون مجرد اقتراح أو مشروع مصطلح، أي في الوضع الوسط بين اللفظ اللغوي والمصطلح.

LE SALAFISME	السلفية
LE DJIHADISME	الجهادية
LA MODERATION	الوسطية

6.4- 'يفضل عادة اختيار اللفظة المفردة لسهولة استعمالها و حفظها، غير أن هذا لا يعني وجوب التعسف في التزام هذا المبدأ فثمة الكثير من المصطلحات المؤلفة من كلمتين فأكثر، وهو أمر تستدعيه الضرورة العلمية في أحيان كثيرة'.⁴⁵³

L'INCESTE	زنى المحارم
L'ADULTERE	زنى المحصن
FAIRE LA PRIERE	صلى

6.5- تجنب الألفاظ الغريبة و الشاذة، لضمان رواج المصطلح وتداوله وتجنب الكساد الإجرائي الذي قد ينتهي إلى تلاشي المصطلح، بمعنى ضرورة توفر الضوابط المتعلقة بدلالات اللغة في وظيفتها الإبلاغية وكذلك في مستوى مفاهيم المعارف في

⁴⁵³ المسدي (عبد السلام)، المرجع السابق، ص 14.

وظائفها النوعية من حيث هي خطاب علمي يقتضي الوضوح والدقة و'معلوم أن للاستخدام اللغوي نواميسه التي تتحدد بضوابط التركيب والإيقاع و مقومات الرشاقة، وهو ضرب من البحث قائم بذاته عند أهل الدراية لا يستوفي حقه إلا بتعاقد المعرفة اللسانية و الخبرة الأسلوبية حتى يتحقق الانسجام بين مخارج الحروف وبنية الحركات وتركيبية المقاطع، ثم يتطابق الكل مع خصائص الإيحاء الدلالي'.⁴⁵⁴

و من ذلك استعمال لفظتي "الحرب أو القتال" محلّ "الجهاد"، و كذا لفظة "معركة" بديلا عن "غزوة". فمصطلح الجهاد دقيق و خاص لا يعوّض، و الغزوة هي التي حضرها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و التي لم يحضرها تسمى "سرية" Jihâd et

Ghazwa Sariya

6.6- يندرج هنا كذلك قولهم "لا مشاحة في الاصطلاح" أي لا منازعة، لأن هناك فرق بين الخلاف اللفظي بين فريقين، Dieu et Allah, La prière et Al-Salât، وهو الذي لو اطلع كل فريق على معنى ما يقوله الآخر لقال به، فالمعنى واحد والخلاف راجع للفظ، وعلى هذا لا يترتب على الخلاف اللفظي أثر، وبين الخلاف المعنوي،

⁴⁵⁴ علي جمعة (محدث)، المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص 19.

والذي لو اطلع كل فريق على معنى ما يقوله الآخر لم يقل به فيترتب على ذلك
الخلاف أثر، فالخلاف اللفظي يقال فيه لا مشاحة في الاصطلاح.⁴⁵⁵

6.7- أن يصبح ذلك المعنى معتادا و مشهورا، و يظهر بحيث ينصرف الذهن إليه
عند إطلاق اللفظ، فإن لم يشتهر لم يؤد وظيفته التي من أجلها كانت عملية الاصطلاح
مثل La Zakat, Le Hajj، وهي أن يصل المعنى إلى ذهن السامع من أقرب طريق
للاستغناء به عن الإطالة في الكلام، و"هذا الاشتهار هو ما يمكن أن نسميه القبول
العام من أهل الفن".⁴⁵⁶

فمن المصطلحات المشهورة التي تواترت حتى أصبحت معتمدة لدى غالبية المترجمين،
و الفضل في ذلك يرجع إلى القنوات التلفزيونية القرآنية الشرق أوسطية من خلال
السترة التي كرسّت و فرضت منظومة من المصطلحات المجمع عليها لدى علماء
الأمة والمكافئة للمصطلحات الإسلامية الشرعية باستعمال تقنية النسخ الترجمي Le
calque، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

⁴⁵⁵المرجع السابق، ص36.

⁴⁵⁶علي جمعة (محدث)، المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص 18.

1-Le dogme (al 'Aqīda)

"Dis : Lui Dieu, est un. Dieu, le Transcendant. Il n'engendre pas. Et Il n'est pas engendré. Nul ne Lui est égal." Sourate Al-Ikhlâs.

2-Le Culte (al-'ibâdât)

Le culte constitue l'ensemble des actes cultuels ordonnés par la religion. Il s'agit ici de présenter en détail et **selon le rite malikite(al madhab al Mâlikî)**:

Les statuts légaux des actes (al-ahkâm al-khamsa)

La purification (propreté) rituelle (Istinjâ,Wudû,Tayammum et Ghusl)

Nettoyage des souillures et toilette intime (Istinjâ)

Tahâra et Istinjâ

Les ablutions humides

Al-wudû

L'essuyage

Al-mas'h

Actes qui annulent les petites ablutions

Mubtilât al-wudû

La grande ablution : **Ghusl**

Ablution sèche : **Tayammum**

Allah dit dans le Coran, Sourate 5, verset 6:

".. Et si vous êtes pollués **junub**, alors purifiez-vous (par un bain); mais si vous êtes malades, ou en voyage, ou si l'un de vous revient du lieu où il a fait ses besoins ou si vous avez touché aux femmes et que vous ne trouviez pas d'eau, alors recourez à la terre pure, passez-en sur vos visages et vos mains. Dieu ne veut pas vous imposer quelque gêne, mais Il veut vous purifier et parfaire sur vous Son bienfait. Peut-être serez-vous reconnaissants. "

La prière canonique (**As-salât**)

L'aumône purificatrice légale (**Az-zakât**)

Le jeûne du mois de Ramadan (**As-siyâm**)

Le pèlerinage (**al Hajj**)

3-Le comportement : **al-mu'âmala**

في ظلّ ما تقدّم، علم المترجمون الغربيون بأنه ليس من السهل إخراج المسلم من عقيدته فاحتالوا لذلك بالصاق فكرهم الضال بالفكر الإسلامي والترويج لمطبوعات و قنوات تلفزيونية و حوارات، جندوا لها عربا و عجا حديثي عهد بالإسلام منطلقهم الفكر الإسلامي قصد إعادة المصطلحات و المفاهيم الإنجيلية .

وهنا تلعب الترجمة دورها في التضليل وذلك بحذف وتغيير بعض العبارات التي لا تتناسب مع مبادئ الإسلام أو إضافة كلمات عقب بعض الأفكار لإيهام القارئ بأنها إسلامية ككلمة (الله_الخالق) بدلا من كلمة الطبيعة في حين أن الموضوع كله يتكرر فيه إسناد الفعل والخلق للطبيعة مما يؤكد التناقض والخلط.

وقد يأتي المترجم بجملة {إن شاء الله، أو بإذن الله} بعد أفكار وأقوال تتسبب المشيئة للكون أو للفرد نفسه . ولتقوية بعض الأفكار الهدامة يتم تدعيمها بالآيات والأحاديث

النبوية الشريفة أو أقوال الحكماء من المسلمين أو الاتيان ببعض الآداب الإسلامية أو الاستشهاد بما يشتهر بها من سيرة الصالحين من المسلمين بحسبها الضمان ماء.

كذلك نلاحظ استغلال بعض المصطلحات الإسلامية التي تتلاقى ألفاظها مع بعض المصطلحات الموجودة في هذه الترجمات مع أن معناها عند أصحابها بعيد كل البعد عن الفكر الإسلامي مثل مصطلح التأمل.

فمعنى التأمل في الإسلام يقصد به التفكير والتدبر في خلق الله للوصول إلى تعظيم الخالق وتعميق الصلة به والإيمان بقدرته وهيمته على الكون إلى غير ذلك من المعاني الكثيرة العظيمة.

أما لفظ التأمل *La méditation* الذي يكثر تداوله فهو من الطقوس الروحية التي يقصد بها الوصول إلى مرحلة النيرفانا *nirvâna* (الخروج من الوعي) أو الإدراك الأسمى ويقصد بذلك كله الاتحاد مع الإله والحلول فيه .⁴⁵⁷

فالواقع أننا لسنا بحاجة لأدوات قرآنية متخصصة حتى ندرك تلك الأمور المخلوطة فيكفيك ما لديك من إيمان سليم وصحيح ، وما فقحت من أركان الإيمان والإسلام بهذه الأدوات لتكشف ذلك الزيف .

⁴⁵⁷التجربة الدينية و النص ،د.عدنان المقراني، قضايا إسلامية معاصرة،سجلة متخصصة تعنى بالهموم الفكرية للمسلم المعاصر،السنة الخامسة عشرة،العدد 47-48،صيف و خريف 2011-1432،مركز دراسات فلسفة الدين-بغداد ،ص4

ولا يعدو حشد النصوص الشرعية في طيات الترجمات الغربية للنصوص الإسلامية على كثرتها سوى خلط بين المفاهيم وتلاعب بالألفاظ والدلالات مع الحفاظ على الأصول الفلسفية بل وتعزيزها ، وهذه نظرة قاصرة للتأصيل إذ مجرد الاستشهاد أو الاقتباس لا يفيد شيئا مقابل إبقاء الأغراض والفلسفات .

7- ترجمة مصطلحات علوم السنة النبوية

الترجمة كما تدل عليها لغة العرب هي نقل الكلام وتفسيره من لغة إلى لغة أخرى كما سبق بيانه.

وإن 'ترجمة معاني القرآن الكريم لها أحكام خاصة، وقد كتب عنها الكثير' وأما ما يتعلق بترجمة نصوص السنة النبوية فمظنتها مباحث رواية الحديث بالمعنى، المسطورة في ثنايا كتب علوم الحديث الشريف .

وللعلماء في جواز رواية الحديث بالمعنى أقوال، وتفصيل ذلك ليس من صميم بحثي، ولكنني أشير إلى أن 'جواز ذلك مقيد بمن يكون عالما بلغات العرب، بصيرا بالمعاني، عالما بما يحيل المعنى وما لا يحيله، كما نص على ذلك الإمام الشافعي - رحمه الله - وغيره ' 458 .

(458) شرح عطل الترمذي (ج 1 / ص 53).

كما أن من أقوى حجج جواز ترجمة النصوص " الإجماع على جواز شرح الشريعة للعجم بلسانهم؛ للعارف به، فإذا جاز الإبدال بلغة أخرى؛ فجوازه باللغة العربية أولى، كما حرر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني " 459 .

وقال العلامة الشنقيطي: "أجمعت الأمة على قبول قول المترجم والرسول والمعرف والمعدل، وإن اختلفوا في جواز الاكتفاء بواحد " 460 .

ويقرر الشيخ ابن تيمية أهمية الترجمة عند الحاجة إليها ووقعها في نفوس من لا يحسن لغة الإسلام فيقول:

" يجوز ترجمة القرآن والحديث للحاجة إلى الإفهام وكثير ممن قد تعود عبارة معينة إن لم يخاطب بها لم يفهم، ولم يظهر له صحة القول وفساده، وربما نسب المخاطب إلى أنه لا يفهم ما يقول.

وأكثر الخائضين في الكلام والفلسفة من هذا الضرب، ترى أحدهم يذكر له المعاني الصحيحة بالنصوص الشرعية فلا يقبلونها، لظنهم أن في عبارتهم من المعاني ما ليس في تلك، فإذا أخذ المعنى الذي دل عليه الشرع وصيغ بلغتهم، وبين به بطلان قولهم المناقض للمعنى الشرعي خضعوا لذلك وأذعنوا له، كالتركي والبربري والرومي والفارسي الذي يخاطبه بالقرآن العربي ويفسره فلا يفهمه، حتى يترجم له شيئا بلغته، فيعظم سروره

459 ترجمة النظر ' للحافظ ابن حجر ص 129 .

460 أضواء البيان (ج 7 / 503)

وفرحة، ويقبل الحق ويرجع عن باطله، لأن المعاني التي جاء بها الرسول أكمل المعاني وأحسنها وأصحها، لكن هذا يحتاج إلى كمال المعرفة لهذا، كالترجمان الذي يريد أن يكون حاذقا في فهم اللغتين" 461.

وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم - يحتاطون في رواية الحديث بالمعنى، حيث جاء عن جمع من الصحابة كابن مسعود وأبي الدرداء وأنس - رضي الله عنهم - أنهم كانوا يحدثون عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم يقولون: "أو نحو هذا"، أو "شبهه"، "أو قريبا منه"، وكان أنس رضي الله عنه - يقول: "أو كما قال" (462)، فمن باب أولى الاحتياط والدقة البالغة في ترجمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته.

8- الضوابط العامة لمترجم السنة النبوية:

وإن ترجمة علوم السنة والسيرة النبوية - وقد يعم الأمر العلوم الشرعية الأخرى - من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى لها ضوابط عامة، وأهم هذه الضوابط:

461 منهاج السنة (2 / 612).

462 شرح علل الترمذي (ج 1 / ص 53).

8.1- الأمانة العلمية من المترجم، فعليه أن يترجم النص دون تدخل في معنى النص المراد ترجمته، فإن كان النص منقولاً عن إمام وظهر له من وجهة نظر أمر فلينبه على ذلك بائناً عن النص الأصلي، إن كان في صلب الترجمة، أو يثبت ذلك في الحاشية وهو أجود.

8.2- التمكن التام من اللغة العربية وأساليبها.

8.3- المعرفة التامة باللغة المراد الترجمة إليها، من حيث التمكن منهما.

8.4- اختيار الأسلوب العلمي للغة المراد الترجمة إليها بما يتناسب مع عصر المترجم.

8.5- الدقة في الترجمة على وجهها مع الوضوح، بما يؤدي المعنى المراد، وإلا لاحتاج الأمر إلى ترجمة أخرى بديلة.

8.6- التمكن من قواعد الشريعة الإسلامية، مع سلامة المعتقد الصحيح، ليؤدي المعنى على الوجه الشرعي دون مخالفة لمقاصد الشرع.

8.7- مراجعة الترجمة من المترجم نفسه، ومن غيره أيضاً من الأفراد أو الجهات المعتمدة والموثوق بها علمياً.

وتعد مراجعة الترجمة عنصراً مهماً لضمان ترجمة جيدة وموفقة، وظاهرة مراجعة الترجمات و تقويمها قديمة في تراثنا، ف" في عصر هارون الرشيد - مثلاً- تم إصلاح

بعض الترجمات المنجزة أيام المنصور، وفي عهد المأمون وقعت مراجعة بعض الكتب المترجمة زمن الرشيد⁴⁶³.

9- الضوابط الخاصة بمصطلحات السنة النبوية:

وأما الضوابط الخاصة بالمصطلحات الواردة في علوم السنة والسيرة النبوية، فيزد فيها على ما سبق من ضوابط ما يلي:

9.1- "تمكن المترجم من معرفة معاني المصطلحات الحديثية العامة عند المحدثين، بمراجعة كتب علوم الحديث، وما ألف في المصطلحات الخاصة بالسنة والسيرة"⁴⁶⁴.

9.2- توضيح المترجم للمصطلح والتأكد من دلالاته، لأن بعض المصطلحات قد تكون له عدة دلالات واستخدامات عند الأئمة في كتبهم.

ومن أمثلة ذلك: مصطلح (لا أصل له) أو (ليس له أصل) (فهذا يطلقه المحدثون على ثلاثة معان:

"الأول: بمعنى لا إسناد للحديث. كما نقله السيوطي عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الإطلاق كثير عند المتأخرين"⁴⁶⁵.

463 الأندلس المقارن و مطالعات أخرى لمجدي وهبة، ص 76.

464 موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)، www.sunnah.org.sa.

الثاني: بمعنى لا أصل صحيح للحديث، فهو يرادف الموضوع.

الثالث: بمعنى لا أصل للحديث أي من هذا الطريق، لا من كل الطرق " (466).

9.3- ضرورة تبيان المترجم لوحدات الكيل والوزن الموجودة في نصوص السنة والسيرة النبوية مثل الصاع والمد وغيرها بمصطلحات العصر الحاضر، فعليه أن يعرف إضافة لما في كتب أهل العلم بما هو متداول اليوم من وحدات الكيل والوزن.

ويستعان على ذلك بكتاب " الخراج في الدولة الإسلامية " للدكتور ضياء الدين الريس، وكتاب " الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان " لابن الرفعة الأنصاري، على سبيل التمثيل لا الحصر.

9.4- "ضرورة أن يعرف المترجم بأسماء البقاع والأماكن المذكورة في السنة والسيرة بالمتعارف عليه هذا الزمن جغرافياً"، إضافة ل'ما هو موجود في كتب معاجم البلدان، مع مراعاة التقسيمات الإقليمية القديمة كاليمن وبلاد الشام والبحرين وفلسطين".⁴⁶⁷ ويستعان على ذلك ببعض الكتب المعاصرة مثل " بلدان الخلافة الشرقية -كي لسترنج " و " المعالم الجغرافية في السيرة النبوية"عائق بن صالح

(465) تدريب الراوي (501/1).

(466) الععل لابن أبي حاتم (131/1).

(467) مقدمة المعالم الأثرية في السيرة، ص11.

الحري، و " المعالم الأثيرة في السنة والسيرة " محمد حسن شراب و " معالم الحجاز " عاتق بن صالح الحري وغيرها.

9.5- "ضرورة أن يعرف المترجم بالمصطلحات المذكورة في كتب السنة والسيرة في المسافات والتباعد بين الأماكن ونحوها، إضافة لما هو في تلك الكتب مثل (الفرسخ، والبريد، والميل)"⁴⁶⁸.

9.6- "ضرورة معرفة مراتب الجرح والتعديل ودلالاتها عند الأئمة. فينظر لها كلام ابن أبي حاتم في مقدمة كتابه " الجرح والتعديل"، والذهبي في مقدمة كتابه "ميزان الاعتدال"، والعراقي في " شرح الألفية"، وابن حجر في مقدمة " تقريب التهذيب"، وكذا في عدد من كتب علوم الحديث " ⁴⁶⁹.

9.7- ضرورة معرفة الألفاظ النادرة في الجرح والتعديل عند الأئمة ومعانيها.

وذلك مبسوط في ثنايا عدد من الكتب مثل " ميزان الاعتدال" للذهبي، و " هدي الساري" لابن حجر، و " شرح ألفاظ التجريح النادرة أو قليلة الاستعمال" الدكتور سعدي الهاشمي.

(468)نفسها.

(469)ضوابط الجرح والتعديل، للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف (ص: 171-173).

9.8- ضرورة معرفة القرائن الموصلة إلى مقاصد الأئمة في مصطلحاتهم في الجرح والتعديل، ومن أشهرها: "أن ينص إمام ناقد على بيان مراده من تلك العبارة، أو ينص تلميذ من تلاميذه أو من بعده من الأئمة على بيان المراد، أو يعلم بالتتبع والاستقراء لعبارة الإمام مقصده، أو يعلم مراد الإمام بمعرفة حال الراوي مع النظر في سياقه لعبارته أو عن طريق الرجوع إلى كتب اللغة والأمثال، أو عن طريق معرفة عوائد الأئمة في ذلك، أو من خلال جمع كلام الأئمة في الراوي، أو بسبر أحاديث الراوي، وهذا لا ينهض له إلا جهبذ ناقد"⁴⁷⁰.

9.9- "معرفة طبقات الصحابة والرواة"⁴⁷¹، واختلاف العلماء في مناهجهم فيها، وهي تحتاج إلى معرفة المواليذ، والوفيات، ومعرفة شيوخ الراوي وتلاميذه، وفائدتها: الأمن من تداخل المتشابهين، كالمفتقين في الاسم، أو الكنية أو نحو ذلك.

فيحتاج على سبيل المثال أن ينظر لمصطلح ابن سعد في كتابه " الطبقات"، والحاكم في " معرفة علوم الحديث"، وابن حجر في كتابيه: " الإصابة في تمييز الصحابة" و" تقريب التهذيب".

9.10- معرفة الرموز المستخدمة في كتب الحديث والتراجم ودلالاتها في كل كتاب، لوجود بعض الفروق بينها بين مؤلف وآخر.

(470) مصطلحات الجرح والتعديل المتعارضة، للدكتور جمال أسطوري، مجلد 1، مطبعة أضواء السلف 1425 هـ، ص134.

(471) انظر: الباعث الحثيث (2/504).

ومثال ذلك أننا نجد من يرمز ب الرمز (ق) ويريد بذلك أن الحديث متفق عليه، أي رواه البخاري ومسلم، كما عند السيوطي في كتابه " الجامع الصغير " وغيره، بينما نجد هذا الرمز عند المزي في كتابه " تحفة الأشراف " وغيره، وكذا في " تهذيب الكمال " وما تعلق به من مؤلفات يدل على ابن ماجه القزويني.

9.11-البقاء على صيغ الرواية الواردة في التحمل والتحديث، مع عدم التصرف فيها، لأن ذلك مما قد يؤثر على الحكم بصحة الحديث.

ومثال ذلك ما كان بصيغة التحديث والسماع ونحو ذلك، فيبقى على وجهه، وما كان بصيغة (عن) فيبقيها المترجم على هيئتها وهكذا، لأثر ذلك في رواية المدلسين الثقات الذين لا تقبل رواياتهم إلا إذا صرحوا بالتحديث في الرواية.

9.12-الحرص على المعنى التام للمصطلح، وعدم الترجمة الحرفية له، لأنها قد تؤدي في كثير من الأحيان إلى معنى مغاير للمراد.

9.13-إبقاء الكلمة أو المصطلح باللغة العربية، مع ترجمة المعنى ؛ ليتمكن الناظر والمراجع من البحث في أصل لغة المصطلح من فهمه والاطمئنان لصحة الترجمة.

كون الترجمة هي التعبير عن معنى معين في اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، أي أنّ الترجمة هي التعبير عن فكرة واحدة أو عدة أفكار بواسطة الكلمات وتقوم عملية الترجمة هذه على عنصرين مترابطين وهما:

العنصر الأول: هو المعنى الذي تتطوي عليها الكلمات في اللغة الهدف، أي معنى تلك الكلمات.

العنصر الثاني: هو الكلمات في اللغتين المصدر والهدف ونعني بالكلمات هنا تركيبية الجمل و ضروب الفصاحة و البلاغة من تقارب و تناقص وتواز وتقيد بقواعد اللغة.

10- أسس الترجمة:

10.1-مراجعة النص المترجم بعد الانتهاء من الترجمة، وذلك لما للمراجعة من أهمية بالغة خاصة في ترجمة نصوص الوحيين الكتاب والسنة، وما له تعلق بالأحكام الشرعية كالسيرة النبوية.

10.2-الأولى للمترجم أن يبين للسامعين أن هذا معنى الحديث؛ ليبين لهم أن هذه الترجمة ليست ترجمة حرفية، وإنما هي ترجمة معنوية، فقد يعجز اللفظ غير العربي عن إدراك بلاغة اللفظ العربي.

10.3-"هناك من الأحاديث ما ينبغي التحرز عند ترجمته والوقوف عنده بمزيد حذر؛ كالأحاديث التي يتعبد بلفظها؛ مثل أحاديث الأذكار والأدعية والتشهد ونحوها، وما كان من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم".⁴⁷²

10.4-"الإمام بثقافة اللغتين كي يسهل عليه إمكان المقابلات بين الكلمات والمعاني في كلتا اللغتين التي تتفق والثقافة التي ينقل منها وإليها، فثم نصوص مترجمة يصعب

(472) مرآة السعدي للشمس ص 287.

على أهل اللغة فهم المقصود منها، وإن كانت صحيحة على المستوى اللغوي.⁴⁷³

'ما كون المقصود من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لفظه ومعناه للتعبير؛ كالأذكار
المندوبة والأدعية المأثورة في الصلاة، منع من ترجمته للقادر على العربية، وجازت
ترجمته للعاجز عنها.'⁴⁷⁴

نجد دعاء الإستفتاح من الأدعية الأكثر تداولاً لدى الدعاة، و المحاضرين غي
الملتقيات و المؤتمرات و الخطب، فتناولها المترجمون العرب المسلمون بكثير من الحذر
و الدقة في اختيار المصطلحات لدمجها في المفهوم العام و السياق الخاص الذي أوجد
له. فقد أصاب الدكتور كشريد و وفق إلى حدّ لم يسبقه إليه أحد في ترجمته، و اتخذ
معاصروه مرجعاً وسيطاً في ترجمتهم لهذا الدعاء، بناءً على توصيات المؤتمر الدولي
الرابع حول النص الديني والترجمة في موضوع: "ترجمة القصص القرآني: الإشكالات
الأسلوبية والبنوية والدلالية" المنعقد في 06/05 مارس 2014 برحاب كلية الآداب
والعلوم الإنسانية وكلية اللغة العربية في مراكش بالمغرب:

دعاء استفتاح خطبة الحاجة:

'إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله

(473) أمكان الترجمة في اللغة الإسلامي 1/188.

(474) لفرع من رجب ص13.

وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

La Louange est à Allah,nous Le louons,implorons Son aide,et Lui demandons pardon.Et nous cherchons secours auprès de Lui contre le mal de nos personnes et de nos mauvaises actions.Celui qu'Allah guide,point d'égarement pour lui,et celui qu'Il égare, point de guidée pour Lui.Et je témoigne qu'il n'y a pas de divinité digne d'être si ce n'est Allah,Unique,sans associé,et je témoigne que Muhammad est Son serviteur et messenger.Ceci dit : La meilleure des paroles est la parole d'Allah et la meilleure voie est la voie de Muhammad.Et les pires des choses sont celles nouvellement inventées(dans la religion),et toute chose nouvellement inventée et une innovation et toute innovation est un égarement et tout égarement est en enfer.

11- أنماط المضمرات

11.1- المضمرات النصية

إن اللغة هي البؤرة التي يلتقي فيها الملقى و المنلقى وهي القاسم المشترك الذي يجمع بينهما، فباللغة يتفاهم الإنسان وبها يفهم بعضهم بعضا. وللبحث عن المضمرة النصية لابد من الارتقاء باللغة من حالتها الجامدة كتركيب لغوية ونحوية يتداولها الناس عبر نشاطهم الكلامي و تحويره حسب رغباتهم وخلفياتهم، وبذلك تصبح اللغة تعبيرا يختلف من فرد لآخر، واللغة إذا بقيت بعيدة عن السياق الاجتماعي و التاريخي وانحصرت في مجال التركيب فقط تجرد وتبقى في حالتها الجامدة. وتجرد التركيب يعني بقاءه خارج الحركة التاريخية للسياق التخاطبي، ويعني أيضا عزله، وعندما نتحدث عن التركيب لابد من ذكر اللغة ككلمات تكون في تراصها تركيبا جامدا، لأنها بدورها عندما تجرد وتكرر نفسها في إطار الحالة الجامدة الثابتة تفقد صراعتها، وتتجمد اللغة عندما تفارق الكلام الفردي الذي يولد الحركة داخل النص.

إن النص الديني ليس لغة معزولة، وليست مرجعا معزولا بل هو وصف للغة كتركيب و الصياغة كمعطى، تتفاعل داخل سياقاته المتنوعة برغبات و أهداف الملقى و المنلقى، إنه بهذا المعنى يجاوز اللغة كتركيب قواعدي أو معجمي في إطار بنية موحدة تجمع بين البنية اللغوية و البنية الخارجية .

ولذلك ينبغي التعامل مع النص الديني بروية شمولية لا تفصل بين باطن النص و ظاهره، أي النظر إلى ظاهر النص من داخله، التعامل مع البنية الخارجية من داخل بنية النص الداخلية، مع مراعاة المضمرة الخفية الذي يبقى في نفسية كل من الملقى و القارئ فتحصل متعة القراءة ترقى درجة التلقي إلى مستويات عليا .

فالنص الديني ليس نصا بنيويا معزولا عن الواقع ولا واقعا معزولا عن بنية النص، فهو عمل متكامل يلتقي فيه الباطن و الظاهر، ويلتقي فيه الملقى والمتلقي. وهناك تتقاطع المضمرة الخفية و المشتركة بينهما.

لأن صياغة النص الديني ليست مسألة لغة ومفردات ومصطلحات أو تركيب صور، بل قول محكم، أي نطق بهذا الذي نعيش به في كل زمن نخشى أن يساء فهمه، أو يعثر به عابث، فيتفتت ويتبعثر ويغيب .

إن المترجم يشتغل على النص الديني في علاقة الكلمة بالصياغة وهذه هي المرحلة الحركية، و لا يشتغل بعلاقة الكلمة بالتركيب لأن هذه المرحلة تتصف بالجمود ولا تساعد المترجم على معرفة كل مكان النص وفك شيفرته.

نفهم من هذا أن المترجم ينبغي عليه رفض التركيب كمعطى قواعدي نظرا لحالته الجامدة التي تهيكّل اللغة ولا تفسح لها المجال لاتخاذ دلالات متعددة.

غير أن التركيب عندما يدخل في إطار العلاقات الاجتماعية وفي إطار الصيرورة التاريخية يتخذ صياغة معينة تختلف من متلقي لآخر، وتختلف أيضا باختلاف السنن

الأخلاقية و السياسية و الدينية التي تحكم الصياغة.
ولذلك فإن القرآن الكريم يتوفر على أسلوب مشحون بالمحسنات الجمالية و البلاغية و
الموسيقية، وتنوع الأزمنة بتنوع الأفعال، فقد يكون زمنا ماضيا حدثت فيه وقائع
قصص الأنبياء عليهم السلام و هو ما يسمى بزمن الوقائع وهناك زمن حاضر وهو
الذي يتلو فيه الله تعالى العقيدة و الشرائع وهو الذي يسمى بزمن الكتابة، وبين هذين
الزمنين تتشكل المضمرات النصية والمضمرات التخاطبية.

وهذه الأدوات الفنية هي التي تخلق ما يسمى بفضاء النص المتخيل، وهي أيضا التي
توهمنا بحقيقة هذا الفضاء، وتجعلنا نشارك الملقى فيما يسجل ويتمثل ويضمر من
أحداث و معاني ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي
بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ (غافر 78). إن هذه العملية تلهم القارئ بحقيقة
النص وبواقعيته و تجعله ينظر إلى هذا الواقع المتخيل كأنه حقيقة ثابتة و ملموسة.
لا أريد أن أقدم شرعية الترجمة أو رفضها بل أريد تقديم نماذج أرى أنها كافية مبدئيا
لإسقاط مبدأ ترجمة القرآن إلى لغة أيا كانت بسبب عقبات كأداء لا يمكن تجاوزها مهما
كان المترجم حائزا من صفات يظن بها أنه قادر على ذلك مهما تعالت أسهمه في هذا
العلم وفنيته.

إنَّ أوجه إعجاز القرآن أكثر من أن تعد رغم أن كثيرا من الباحثين قد حاولوا معرفتها وتفصيلها، وترجمة القرآن إحدى أوجه الإعجاز الجامعة، و أقدم بعضا من هذه العقبات:

أ- كتبت أسماء القرآن بأشكال متعددة :

AL-KARIM AL-QUR'AN AL-KORAN, CORAN, LE

ب- تباينت الترجمات بين أسمائها فمنهم من قال: صراحة "ترجمة القرآن ومنهم من قال ترجمة معاني القرآن، ومنهم من قال شرح وتعليق على ترجمة القرآن.
ج- تباينت أسماء السور في اللغة الواحدة لدى الترجمة، فمثلا سورة البقرة:

LA GENISSE, LA VACHE, AL-BAQARA

د- تباينت أشكال البسملة لدى الترجمة وحتى أحيانا نجد بسملتين في نسخة واحدة:

AU NOM DE DIEU L'ORIGINE L'ARRANGEANT, AU NOM DE DIEU, LE
TOUT MISERICORDIEUX, LE TRES MISERICORDIEUX, BISMILLAH AR-
RAHMAN AR-RAHIM

هـ - في البسملة ذاتها نجد خلافاً كبيرة وجوهرية في الكلمات الثلاث أولها وأهمها اسم الجلالة " الله "

Dieu, Seigneur, Allah

و - لا توجد مقابلات كثيرة لألفاظ قرآنية عربية مثل (إبليس - الجن - الصلاة - الزكاة - الجهاد.. الخ).

ز - هناك التحريف كما فعل كازيميرسكي عندما وضع كلمة "عيسى" بدلا من إبراهيم في الآية: " إن ذلك لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى " حيث جاءت عنده " إن ذلك لفي الصحف الأولى صحف عيسى وموسى."

Dans les livres de Moïse et de Jésus.

كما هو معلوم ولو نظريا، لا يحق للترجمة أن يزيدوا أو ينقصوا أو يحرفوا أو يعدلوا
ويعنى أدق أن يتقولوا على النصوص العليا بشكل خاص وقد أشار القرآن إلى ذلك ﴿
ولو نقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من
أحد عنه حاجزين﴾ (الحاقة 44-47) فهل يمكن لمتقول أن يزيد على البلاغ أو
ينقص؟

قد يكون التحريف في بعض الترجمات مقصودا كما هو الحال عند كازيميرسكي الذي
وضع كلمة عيسى بدلا من إبراهيم في الآية الكريمة ﴿ إن ذلك لفي الصحف الأولى،
صحف إبراهيم وموسى ﴾ (الأعلى 19) فجعلها صحف عيسى وموسى.

Dans les livres de Moïse et de Jésus"

فإذا قرأنا مثلا ترجمة كازيميرسكي وما فيها من أخطاء فادحة وملايسات وقلنا إنها نسخة أصلية لنسخة روسية أو أكثر فما بالننا ماذا يبقى من مفاهيم القرآن العربي وصوره...إنه المسخ الحقيقي بكل معاني الكلمة. من الغباء المطبق أن نترجم حرفيا نصا إليها فيه كثير من أوجه وأوجه إلى لغة هدف ليس لها ذات الأساليب وسعة المفردات ،وهذا ما يضيع كثيرا من المعاني والصور القرآنية فكيف نترجم مثلا: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا﴾ (الإسراء29)؟ لقد ترجمها بلاشير مغيرا رقم الآية إلى 31 عوض29:

Ne te lie pas le bras au cou et ne l'ouvre pas de toute son étendue, de peur que tu n'encoures le blâme et ne deviennes pauvre.

في حين أسقطها كثير من التراجمة .و ترجمها كشريد:

Ne sois ni avare ni prodigue, sinon tu te trouveras blâmé et incapable de toute dépense.

وكيف نترجم ﴿ فصرنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ﴾ (الكهف 11)، فبلاشير

ترجمها بعد أن جعل رقمها 10:

Nous avons frappé leurs oreilles de surdité dans la caverne pendant un certain nombre d'années.

أما كشريد:

Alors, Nous les endormîmes, dans la caverne pendant de nombreuses années.

استعملت بعض المفردات قاصرة عن تأدية معانيها الكبرى لدى كثير من التراجمة من ذلك مثلا عن بلاشير: " يا أنت أيها المغطى بمعطف " ترجمة لقوله تعالى ﴿ يا أيها المزمّل ﴾ و ﴿ يا أيها المدثر ﴾:

المزمّل: Ô toi qui es enveloppé de ton manteau,

المدثر: Ô toi qui es couvert d'un manteau,

و عند كشريد:

المزمّل: Ô toi , l'enveloppé dans tes vêtements !

المدثر: Ô toi, Le revêtu d'un manteau !

ومن أولئك مثلا من جعل مريم العذراء طاهرة بتولا حتى أوصلها إلى درجة أم الإله علوا فأفرط غلوا ومنهم من جعلها امرأة عادية أو أقل من ذلك حيث كانت-حسب ذاتية مسالية-تعاشر بالحرام يوسف النجار فحملت منه سفاحا ففرط تطرفا.وتعالت السيدة مريم عن كلا الحالتين علوا كبيرا،فهي النقية النقية وليست أم الإله و ليست المخادعة السفوح،ومن ذلك أيضا ما ترجمه أندريه شوراكى لعبارة " اعبدوا " ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة21)

Ohé, les humains, servez votre Rabb qui vous a créés, vous et ceux d'avant vous. Peut-être frémirez-vous

حرف السياق عن مواضعه ونسي أو تناسى أو حرف قاصدا معاني آيات أخرى أن الرسالة خدمة و ليست عبادة.

و ترجمها كشريد:

Ô hommes ! Adorez votre Seigneur Allah, Qui vous a créés vous et ceux qui vous ont précédés. Ainsi vous atteindrez la piété.

من المشاكل التي يواجهها الترجمة إشكالية نقل العبارات الجاهزة في لغة مصدر إلى لغة هدف وهي عبارات خاصة بكل لسان وهي مما يستعصي ترجمتها حرفيا و إنما بمقصودها في اللغة الهدف إن وجد لديها هذا المعنى وكما كررنا فاقد الشيء لا يعطيه".فما هي إذن ترجمة "صلى الله عليه وسلم"علما أن صلاة الله على النبي غير صلاة المسلم عليه و غير صلاة الملائكة على الناس.وهاهي نماذج من دخول المترجم على النص بذاتيته:يقول كازيمرسكي:فلينحن الربّ عليه وليأخذه في حفظه:

Que Dieu se penche sur lui,et le prenne en sa garde.

بينما يترجمها كشريد: بركة الإله وتحيته عليه

Bénédictio et Salut de Dieu sur lui

11.2-المضمرات التناسية

يعد التناس من أهم المفاهيم النقدية التي اهتمت بها الشعرية الغربية وما بعد البنيوية والسميانيات النصية؛ لما له من فعالية إجرائية في تفكيك النص وتركيبه، والتغلغل في أعماق النص ولا شعوره الإبداعي. وإذا كان التناس مصطلحا نقديا تسلح به النقاد العرب الأقدمون تحت تسميات عديدة مثل: السرقات الشعرية والتضمين والنحل والانتحال والأخذ والتأثر، فإن النقاد والدارسين الغربيين ابتعدوا عن هذا المفهوم القدحي إلى حد ما للتناس، واهتموا بالجانب الإيجابي الذي

يتمثل في أصول الإبداع ومكوناته الجنينية وعلاقات التفاعل والتأثر والتأثير. ويعد التناص كذلك من أهم المفاتيح الإجرائية لفهم الأدب المقارن ورصد عملية التناقص والحوار بين الحضارات والثقافات الإنسانية في شتى المجالات الفكرية والفنية و الأدبية، وكذلك أداة ناجعة لمقاربة النص الأدبي واستنطاق سننه اللغوية وبنيته العميقة، والدخول إلى أغوار النص و مكونات دلالاته وتفاعلاته الخارجية والداخلية. لأن النص مهما كان فهو شبكة من التفاعلات الذهنية، ونسق من المصادر المضمرة والظاهرة التي تتوارى خلف الأسطر وتتمدد في ذاكرة المتلقي عبر آليات مثل: المعرفة الخلفية وترسبات الذاكرة والخطاطات النصية والميناريوهات التصويرية والتداخل النصي وتعدد الأصوات و الأسلوبية.

إن النص القرآني يبعث على إثارة فضول المتلقي بواسطة طبيعته المفارقة التي تتضمن مستويين من المعنى:

المستوى القريب الذي نفهمه من خلال القراءة السطحية ، و المستوى المضمرة و الخفي الذي يكمن في ثناياه وبين سطوره، وهو الذي يثير فضول المتلقي و يستفزه ، وبالتالي يجد نفسه طرفا مشاركا في تأنيث فضاء فهمه من خلال مخيلته بالرغم من ضيق حجم إدراكه لكل. حيث تزداد المفارقة اتساعا كلما ضاق المبنى وتعددت معاني الألفاظ المشكلة للنص، وهنا تظهر أهمية الانزياحات البلاغية و اللغوية بشكل واضح في الآيات.

ونصوص القرآن الكريم بسياقاتها المختلفة تتجلى و تبرز في علاقتها بنصوص أخرى تتناص معها ﴿ و ما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فساءلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل-43) ' المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والإنجيل⁴⁷⁵ وهذا التناص هو الذي يحيى ويولد الإحياءات و المضمرة الخفية في ذهن المتلقي، حيث تكون الاستجابة مع هذه النصوص إما إيجابا أو سلبا، إجابا عند تقبلها و التجاوب مع محتوياتها، وسلبا عندما تتعارض مع ما تتطوي عليه من دلالات وحمولات فكرية وأيديولوجية مضمرة.

فتناص النص القرآني مع المخزون الجمعي و الجماعي و الموروث الثقافي للمترجم يولد لديه نصا جديدا من إنتاجه، نصا ذهنيا يماثل ما أفرزته ذاكرته ، وما أنتجته مفرداته من دلالات تداولية تختلف سياقاتها ودلالاتها من مترجم لآخر، حسب مستويات التلقي و التأويل.

فذهن المترجم يحوي شبكة من التقاطعات الفكرية و الأيديولوجية و التجارب الحياتية، فالمترجم الواعي يتقبل النصوص بوعي، وبالوعي تتم عملية الاسترجاع و الفهم و التأويل، و بالوعي يقبل المترجم معلوماته القديمة التي تتناص و تتقاطع مع مضامين كتاب الله.

⁴⁷⁵أدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت ، 1993، ص246

و في ما يلي نمذجة لترجمتين مختلفتين لأي القرآن الكريم ، ريجيس بلاشير الذي تشبّع بموروف ثقافي و أيديولوجي أوروبي يهودي مسيحي، و صلاح الدين كشريد المبحر في أكناف الثقافتين العربية و الفرنسية، و الخبير بمكنونات الأيديولوجية الغربية المسيحية و لسانياتها.

ترجمة كشريد	ترجمة بلاشير	الآية القرآنية
<p>Certes, Nous avons donné le Livre à Moïse ; Nous avons envoyé après lui des prophètes successifs. Et Nous avons donné des preuves à Jésus fils de Marie, et Nous l'avons renforcé avec le Saint-Esprit</p>	<p>Certes, Nous avons donné l'Écriture a Moïse et, après sa mort, Nous lui avons donné comme successeurs d'(autres) Apôtres. A Jésus , fils de Marie, Nous avons donné les Preuves ;Nous l'avons soutenu par l'Esprit Saint. Eh</p>	<p>﴿ و لقد آتينا موسى الكتاب و قفينا من بعده بالرسول و آتينا عيسى ابن مريم البينات و آيدناه بالروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم و فريقا تقتلون ﴾ (البقرة-87)</p>

<p>[l'Ange Gabriel]. Est-ce qu'à chaque fois, qu'un Message vous apportait des vérités contraires à vos souhaits vous vous enfliez d'orgueil ? Vous traitiez les uns d'imposteurs et vous tuiez les autres .</p>	<p>quoi ! Chaque fois qu'un Apôtre vous a apporté ce que vos âmes ne désiraient point,(ne) vous êtes- vous pas enflés de superbe, traitant d'imposteurs une fraction et tuant l'autre fraction ?</p>	
<p>Quelle piètre jouissance ! Puis leur refuge sera l'Enfer. Et quelle détestable couche !</p>	<p>Chétive jouissance puis, pour refuge, la Géhenne ! Et quelle détestable couche !</p>	<p>﴿ متاع قليل ثم مأواهم جهنم و بنس المهاد ﴾ سورة آل عمران-197</p>

<p>Si vous craignez le désaccord entre les deux époux, envoyez alors un médiateur de sa famille à lui, et un médiateur de sa famille à elle. Si les deux veulent la réconciliation, Allah rétablira l'entente entre eux. Allah sait certes tout et Il est Parfaitement Connaisseur.</p>	<p>Si vous craignez une scission entre deux conjointes, suscitez un arbitre de la famille de l'époux et un arbitre de la famille de l'épouse ! Si (les conjoints) veulent la conciliation, Allah rétablira l'entente entre eux. Allah est omniscient et informé.</p>	<p>﴿ و إن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يريدان إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ سورة النساء- 35</p>
<p>Le tonnerre glorifie par</p>	<p>Le Par crainte le tonnerre glorifie sa louange</p>	<p>﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل</p>

<p>louange, et aussi les Anges, <u>sous l'effet de Sa crainte</u>. Et Il lance les foudres dont Il atteint qui Il veut. Or ils disputent au sujet d'Allah alors qu'il est redoutable en <u>Sa force</u>.</p>	<p>ainsi que les Anges. Il lance les foudres et Il en atteint ceux qu'Il veut, tandis qu'ils discutent sur Lui, (car Il est redoutable en <u>(Sa) violence</u>).</p>	<p>الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴿ سورة الرعد - 13</p>
<p>Or Nous ne détruisons aucune cité sans qu'elle n'ait eu un <u>terme prédéterminé</u>.</p>	<p>Nous n'avons fait périr aucune cité sans qu'elle possédât une écriture connue</p>	<p>﴿ و ما أهلكتنا من قرية إلا و لها كتاب معلوم ﴾ سورة الحجر-4</p>
<p>"Lis cet <u>écrit propre à tes agissements</u>.</p>	<p>Lis <u>ce rôle</u> ! Combien il suffit aujourd'hui,</p>	<p>﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ سورة الإسراء-14</p>

<p>Aujourd'hui, ton âme suffit pour te juger."</p>	<p>pour toi-même , à rendre compte contre toi !</p>	
<p>"Ô Zacharie, Nous t'annonçons la bonne nouvelle d'un fils. Son nom sera Yahya [Jean].</p>	<p>O Zacharie ! Nous t'annonçons un garçon dont le nom est Jean</p>	<p>﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى... ﴾ سورة مريم-7</p>
<p>Elle dit : "Comment aurais-je un fils, quand aucun homme touchée, et je ne suis pas prostituée ?"</p>	<p>Comment aurais-je un garçon, demanda-t-elle, alors que nul mortel touchée et que je suis point femme ?</p>	<p>﴿قالت أنى يكون لى غلام و لم يمسنى بشر و لم أك بغيا﴾ سورة مريم-20</p>

<p>Ô sœur d'Aaron, ton père n'était pas un de <u>homme mal</u> et ta mère n'était pas une prostituée."</p>	<p>O sœur d'Aaron ! ton père n'était pas <u>un père indigne</u> ni ta mère une prostituée !</p>	<p>﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء و ما كانت أمك بغيا ﴾ سورة مريم 28</p>
<p>Et Jonas, <u>l'homme à la baleine</u> quand il <u>partit, en colère</u>. Il pensait que Nous N'allions pas l'éprouver. Puis dans les <u>ténèbres (du ventre de la baleine)</u>, il implora : "Il n'y a de divinité (digne d'adoration) que Toi ! Gloire et</p>	<p>Et <u>l'Homme au Poisson</u> quand il s'en fut <u>courroucé</u>, pensant que Nous ne pourrions rien contre lui. Il Nous implora dans les <u>ténèbres</u> et dit :Nulle divinité en dehors de Toi !Gloire à Toi !J'ai été parmi les injustes !</p>	<p>﴿ و ذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ سورة الأنبياء 87</p>

Pureté à Toi ! J'ai été vraiment du nombre des injustes."		
--	--	--

11.3 - المضمرة البصرية

إن النص القرآني ليس عالماً مغلقاً، ولا علامات بدون ذات، إنه نص مرتبط بشروطه المادية و الموضوعية المنتجة للمعنى، وهكذا تكون علاماته الظاهرة لها مضمراتها البصرية التي تقوم بعملية التواصل، و المضمرة البصرية هي ما يشترك فيها الملقى و المتلقي من مضمرة تظهر على صفحات المصحف المترجم للدكتور صلاح الدين كشريد ابتداء من العتبات الموازية لمتن النصوص ونقصد بها عتبة العنوان وعتبة الحواشي الجانبية التي تلفت انتباه المتلقي.

فالملقى سبحانه و تعالى خبير في النقاط الصور التي تتفاوت فنيته و جماليتها، وفي نفس الوقت يضم أنساق معرفية ودلالية من خلال علامات الوقف و غيرها حسب الرقة و الغلظ، فيصبح للخطوط و الرموز دوران بارزان هما الدور الجمالي والدور النفسي، اللذان يؤثران إيجاباً في رغبة القارئ للمزيد من التطلع و البحث.

و كذلك حركة الأسطر بشكلها المسترسل أو بشكلها المتساقط الدال على التحرر من سيمتريّة الكتابة المتداولة، وكذلك من خلال علامات الترقيم التي تساهم بدورها في توجيه المتلقي الوجهة التي يريدّها الملقّي، وعلامات الوقف و الوصل والفصل، التي تستفز المتلقي وتدفعه إلى التساؤل عن أسباب الوقف وغيرها من العلامات البصرية. و القرآن يعتمد في مضمراته الشكلية على التناص بين الصورة الشعرية القائمة على التشبيهات و الاستعارات من جهة، والصورة القصصية الثابتة الشبيهة بالصورة الفوتوغرافية أو الصورة المتحركة الشبيهة بالصورة السينمائية. فكلّمة حمير مثلا ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (النحل 8) على الرغم من أنّها كلمة بسيطة إلا أنّها تعتبر نصا متحركا، فهي في الظاهر كلمة وفي الباطن جملة اشارية تحمل موقفا تواسليا تحيل على جملة الظروف التي جعلت كثيرا من الناس يحقرون هذا المخلوق، ولكن رغم ذلك فإنهم يدخلون معها في إطار علاقات حوارية متعددة. فالقرآن بهذا المعنى وبهذا الزخم من القلق ومن التفاعل يعدّ ومضة مشعة من الواقع تعكسه وتختزله في أقلّ الكلمات.

فكل هذه الأشكال التي تؤثث فضاء النص القرآني على المستوى الصوري تحدث تناصا مضمرا في ذهن المتلقي، وتحرك فيه المضمرات الثقافية التي اكتسبها.

فالمترجم لا يحتويه النص بل هو من يحتوي هذا النص، يدخل إليه ثم ينسحب ليعيد إنتاجه من جديد، يتحول من قارئ مستهلك إلى قارئ منتج.

فعلى المترجم ألا يندفع بظاهر النص وجمالياته وإنما ينبغي أن يقرأه قراءة متأنية، يجب أن يدخل في سياقاته ثم ينسحب ليعيد إنتاجه من جديد، يرتقي من مرحلة التجاور إلى مرحلة التجاوز، ولا يمكن تحقق ذلك في غياب ثقافة واسعة وبخلفية معرفية عميقة تتقاطع فيها السياسة بالأدب و الأدب بالفلسفة وهكذا. لأن "النص بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة

476 .

11.4 - المضمرة الحوارية

لا يمكن فصل الإنسان عن التراكمات الثقافية و المخزون المعرفي الذي يحمله ، وهذه التراكمات المعرفية لاشك أنها تراكمات يشترك فيها الكائن البشري في شتى أنحاء المعمورة ولهذا السبب نشترك فيما هو جميل، فيما هو أدبي ممتع يأخذنا إلى عوالمه الفنية، لأنها قواسم مشتركة ومشاعة يحسها الجميع، وهذا المشترك هو المضمرة الخفية التي تمتعنا جميعا وتحدث فينا ما سماه رولان بارث ب "لذة القراءة".⁴⁷⁷

و المشترك الثقافي و المضمرة الخفية يجمع الملقى و المتلقى، من خلال مجموعة من التقاطعات البنيوية و الدلالية و السميولوجية، التي يلتقي فيها هذان القطبان المشكلان

⁴⁷⁶ انفتاح النص الروائي : النص والسياق سنة 1989 (الطبعة الثانية 2001) عن المركز الثقافي العربي ، بيروت / الدار البيضاء ص78

⁴⁷⁷ Roland Barthes : philosophie et critique, *Textuel*, n°64, Évelyne Grossman, Jérémie Majorel et Élisabeth Sclaunick "Les facultés de juger. Critique et vérité", Université Paris-Diderot Paris 7, 2011.p 32

للعلمية الإبداعية، باعتبار أن الملقى يحقق ذاته من خلال لذة الكتابة، والمتلقي يجد نفسه ومتعته في لذة القراءة، وفي نقطة التلاقي تلك ينتج الملقى و المتلقي نصاً آخر، يشترك فيه الاثنان في تحديد الرؤية وتقاسم المشترك الثقافي و المعرفي.

فكل ملفوظ يتأطر بالحوار يمثل بنية نصية تدخل في علاقة نقدية مع بنية نصية أخرى وهو تداخل متزامن تبعاً للنسق الجدلي الذي يستهدف أولاً وأخيراً إقناع المتلقي بصحة موقف "الأنا" في مقابل خطأ وجهة نظر "الأخر" ويخلق هذا التداخل نوعاً من التفاعل بين البنيتين المتجاورتين فتتبادلان التأثير، البنائي في جوهره المستند إلى هدم الوجهة المضادة، وإبراز هشاشة مرتكزاتها، فالذات تتفاعل مع ملفوظ الآخر لتمحوه وتؤسس ملفوظاً شامخ البناء يستقطب اهتمام المتلقي ويرضي أفق توقعاته الذهنية الذي يتمدد بفضل الطبيعة الخلافية التي ينطوي عليها الحوار.

فالملقى - الله سبحانه و تعالى- اختار الألفاظ التي تحمل معنى لا تحمله ألفاظ أخرى، كما اختار الأساليب التي لا ينبغي لها أن توجه المتلقي وتدفعه إلى تمثّل الصور و استنباط الدلالات التي حددها في رسالته الأبدية من قرآن و سنة.

وما يجعل المتلقي يشعر بمتعة القراءة هو اللغة. و لغة القرآن لم تكن بمعزل عن الواقع، فنحن نتكلمها في الواقع ومن الواقع وداخل الواقع. فإله سبحانه و تعالى تتبع المحيط الاجتماعي والبعد النفسي للمتلقي، و رصد و تتبع ما تخلفه هذه المعطيات من أثر في نفسيته، فجعل من القرآن مساحة شاملة كاملة لإعادة تشكيل الحياة.

بالرغم مما في ترجمات القرآن و الأحاديث النبوية من مفسد فإنه يعدّ فرصة عظيمة للدعوة وبيان محاسن الإسلام وأنه صالح لكل زمان ومكان. وقد منّ الله علينا في هذا العصر بعلماء ناصحين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إلا أنّ رسالتهم لا تتجاوز الأمة العربية بدون مترجم. وهذا المترجم إما أن يفصح عما أراده العالم فينقله سليماً مفهوماً للمتطلّعين، أو يفسده بالتحريف والتخمين. ومن هنا تتبين خطورة الترجمة وأهمية إعداد مترجمين متقنين قادرين على نقل النصوص الشرعية إلى لغات أخرى، إذ لا تخلو الدعوة إلى الله من ذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

لا يكفي أن يكون ترجمان النصوص الشرعية على دراية باللغتين اللتين يتعامل معهما فحسب، بل عليه أن يكون متمكناً منهما، وخاصة من اللغة المستهدفة، فإن الرسالة التي ينقلها رسالة إلهية تحتوي على كلام الرب جل جلاله وكلام أفصح البشر صلى الله عليه و سلم. فينبغي أن يكون من يترجمها ضليعاً بليغاً في اللغة المنقول إليها حتى لا يمتن كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، وليكون لها التأثير المأمول على المتلقّي. ويلاحظ أن كثيراً ممن يقوم بترجمة النصوص الشرعية ليسوا متمكّنين من اللغة المستهدفة، وليست هي اللغة الأم بالنسبة لهم. وقد أدى هذا إلى نقل المعاني السامية بأسلوب ركيك، وهذا خلاف مقصود الترجمة فإن المتلقي ينفر من الأسلوب الركيك وإن كان يحتوي على رسالة نبيلة، كالرجل الجميل الذي يخرج في ثياب رثة، فإنها تضعف هيئته وجماله.

وعلى المترجم أن يتفطن لما تحملها كل كلمة من معان، وألا يحصر معاني الكلمات على ما اصطاح عليه لدى المستشرقين و المستغربين.

لا يكفي كون المترجم ماهرا في اللغتين للقيام بترجمة المحاضرات و الكتب المشتملة على النصوص القرآنية والنبوية. فمن المعلوم أنّ كل علم له مصطلحات تخصه، وبالتالي فلا يكفي مجرد معرفة المعنى اللغوي لتلك الكلمات. فيجب على مترجم السنة أن يكون ملماً بالمصطلحات الشرعية في عامة أبواب الدين مع المصطلحات التي يكثر استعمالها في العلوم المساندة. كما يجب عليه أن يتمتع بالقدرة على نقلها إلى اللغة المستهدفة بطريقة واضحة. وفي حال غياب هذه الأمور لا يتسنى له ترجمة القرآن أو السنة ترجمة صحيحة.

خاتمة

مهما بلغ الترجمان من الإتقان في أداء عمله، فإنه يتعرض لمواقف مختلفة يحتاج فيها إلى التدقيق فيما يقرأ إما لعدم وضوح بعض الكلام مثلا، أو عدم إدراك دلالة عبارة ما.و من مصائب الترجمات في مجال القرآن و السنة النبوية ، الإخلال بالأمانة وما قد يصل إليه المترجم إذا خالط قلبه الهوى في أقناء عملية الترجمة، أو أنه يخضع لمؤسسة تدفع بسخاء مقابل تحريف و تزيف مصادر الدين الإسلامي.

علينا ألا ننسى أن الترجمة كانت مذ قديم الزمان وسيلة التواصل المعرفي والعملي والتجاري بين البشر، وأن أهميتها ظلت تتزايد نوعيا مع تقدم الحضارة الإنسانية وتسهيلات التواصل بين الأمم سواء كان هذا التواصل إيجابيا أو سلبيا كما هو شأن الحروب والغزوات التي تزيد يوميا من أهمية الترجمة لأجل إحراز النصر والغلبة، "من تعلم لغة قوم أمن من مكرهم".

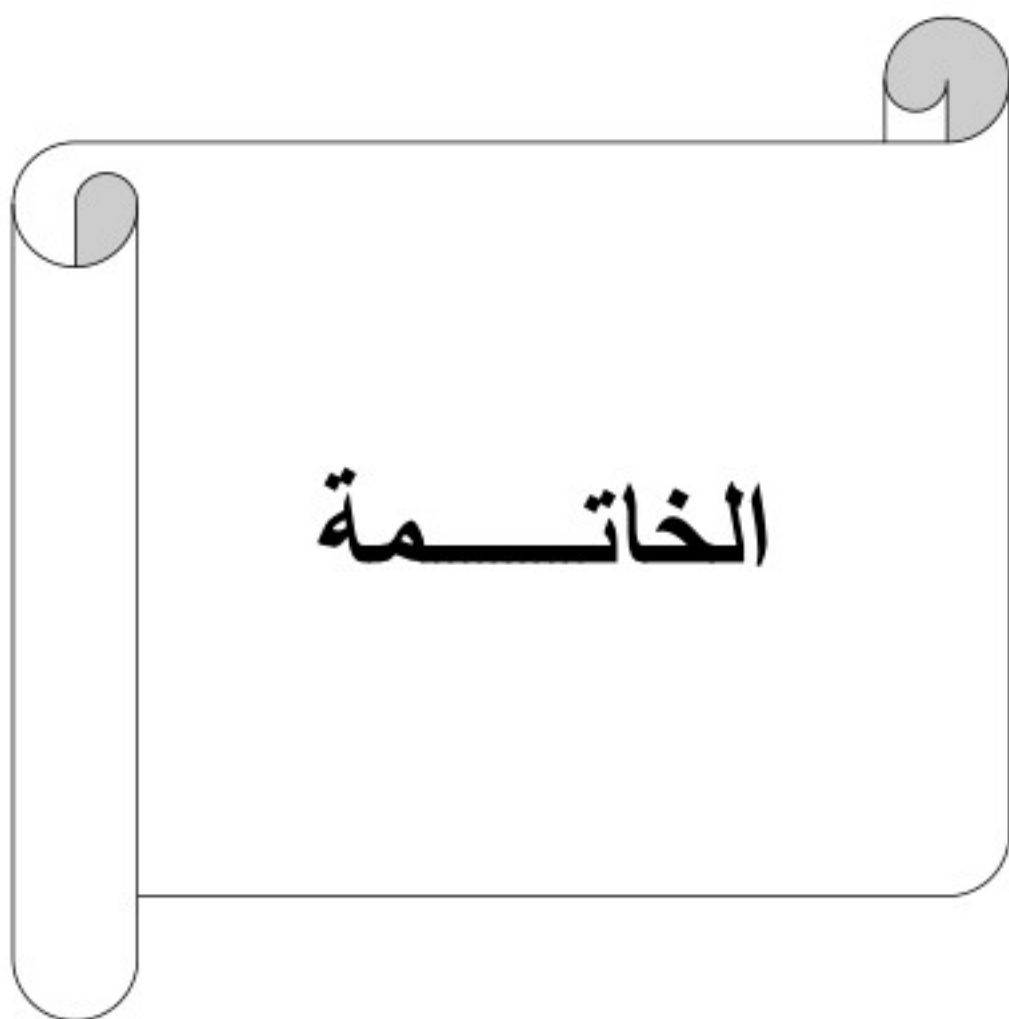
وإذا تركنا الناحية النظرية وتعقيداتها وأتينا إلى الناحية العملية، نجد أنه أصبح من فضول القول الحديث عن أهمية الترجمة في التفاعل والتلاقح بين الثقافات، وفي تقريب أفكار البشر بعضها من بعض، وفي إحلال التفاهم محل سوء الفهم والمرددات المتحيزة والتعميمات الرائجة، وكذلك في إيقاظ كل ثقافة، بل كل لغة، من أوهام الكهف أي من المبالغة في الرفع من شأن إرثها الثقافي والإزراء بقيمة الثقافات الأخرى.

وبالمقابل يستطيع المرء أن يحصي للترجمة كثيرا من السيئات، من مثل إدخال الأفكار الهجينة، وانتقاء ما هو بزاق ومخادع من الثقافات الأخرى مقابل الانصراف عن الرصين والعميق والمفيد، وكذلك سوء الترجمات وضعفها وخيانتها للأصل لدرجة أنها قد تزيّف المضامين وتقدم للمتلقّي ضروبا من الأوهام والأباطيل من شأنها أن تشكل صورة مشوّهة تبني عليها فيما بعد قناعات ومواقف ليس لها أساس، وقد تتطور المسألة إلى درجة أن تصبح آفة تاريخية يتوارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء.

والحق أن الإجماع منعقد بين العارفين على أنه مع اتساع حركات الترجمة في العالم، وازدياد عدد اللغات الداخلة في السباق الترجمي، ومع عدم توافر آليات ذات كفاية للضبط والإشراف، تسود يوميا الترجمات التجارية الرخيصة السريعة وتتسابق على أبواب الأسواق ونوافذ العرض، بينما تقبع الترجمات الرصينة والدقيقة والمسؤولة خلف كشافات الأضواء، أو في عتمة الرفوف والأروقة، لا يعبا بها جمهور المتلقين، هذا إذا علم بها أصلا.

والمشكلة انه في صميم تكوين عملية الترجمة توجد أرضية قوية تزين للمترجم وتسهل له فرصة الانحراف إلى عرض الاستهواء وبهرج الزيف والطلاء. وإذا كان الإيطاليون يقولون إن الترجمة تعني الخيانة- المترجم خائن-، فالفرنسيون - على طريقتهم - أعطوا صورة أخرى طريفة إذ وصفوا الترجمات الزاهية بأنها الترجمات غير المخلصة - الجميلات الخائنات-، أي أن الترجمة إما أن تكون جميلة ولكن خائنة وإما أن تكون

أمانة فهي بالضرورة قبيحة. وإنه اختيار صعب أمام المترجم بل إن هذا الاختيار أشبه
بهاجس يورق العاملين في مجال الترجمة في كل لحظة من عملهم ويسبب لهذا العمل
كدرا كثيرا ناتجا عن التردد و الحيرة، على حين ينبغي أن يكون عمل الترجمة انسيابيا
ومتناسكا ليتمكن أن يفى برواء الينبوع الأصلي.



الختام

إن كل عمل يقوم به الإنسان لا بد أن يواجه فيه شيئا من الصعوبات وأن يجد فيه بعض العقبات . وتختلف درجة هذه الصعوبات والعقبات من أمر لآخر تبعا لطبيعة الموضوع وأهميته . وكون موضوعي من مواضيع ترجمة القرآن و السنة النبوية و أثر الاستشراق وعلاقته بالدراسات الإسلامية فقد واجهتني صعوبات كثيرة ولكن الله تعالى قد أعانني على تجاوزها . وفيما يلي أهم هذه الصعوبات:

أولا : غياب الكتب الفرنسية المتعلقة ببحثي في المكتبات المحلية ؛ فبفضل الله تعالى ثم بفضل الجامعة الجزائرية تذلت هذه العقبة حيث قمت برحلات علمية إلى تونس ثم إلى المغرب ثم إلى فرنسا ما بين 2011 إلى 2014 وحصلت على عدد من الكتب الهامة في الاستشراق الفرنسي . وقد زرت خلال هذه الرحلة مكتبة تونس الوطنية ، و معهد البحوث و الدراسات للعالم العربي و الإسلامي بمرسيليا، و جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، وجمعت من هذه المكتبات معلومات كثيرة ، كما صورت كل ما أستطيع ، وزرت كذلك في باريس دور النشر الاستشراقية وأشهرها دار ميزون نيف وهي من أكبر دور النشر الاستشراقية في فرنسا ، واشترت عددا لا بأس به من الكتب من هذه الدور وغيرها من المكتبات التجارية .

ثانيا :بخصوص الترجمة . ومع أني أتقن اللغة الفرنسية فقد أدركت من خلال ترجمة النصوص القرآنية و الحديث إلى اللغة الفرنسية أن العملية ليست مهمة يسيرة،بل هي مستحيلة في مجملها . وكان هذا الأمر يحتاج مني إلى التأنى والدقة في المقارنة بين الترجمات الإستشراقية و ترجمة صلاح الدين كشريد و مطابقتها على كتب اللغة و كتب التفسير حتى أصل إلى صورة شاملة صادقة عن ترجمة كشريد، وقد استعنت في هذه المهمة بعدة مصادر و مراجع لغوية و دينية . ولا أغالي إذا قلت أني أنفقت نصف الوقت في التحقق من صحة النصوص المترجمة من المؤلفات المترجمة إلى اللغة الفرنسية والقيام بمقارنتها بالنصوص الأصلية في العربية . ولقد كان لهذا العمل الصعب حسنات إذ ظهرت لي من خلال رجوعي إلى النصوص الأصلية ومقابلتها بالنصوص المترجمة من الكتب المترجمة ظهرت لي ترجمات غير أمينة .

ثالثا : سعة الموضوع وكثرة مسائله ؛ الاستشراق الفرنسي مجاله واسع حيث يشمل عشرة قرون أي من العصور الوسطى الأوربية إلى اليوم ، ثم اتساع وتعدد القضايا الخاصة ب " المضمرة و الظاهر في القرآن و الحديث النبوي". تلك كانت أهم الصعوبات التي واجهتها في كتابة هذا البحث.

أما القضية أكبر من مجرد الترجمة الحرة بقدر ما هو البحث في أثر تلك الترجمة في متلقيها، وطريقة صياغتها في شكل موجّه إلى تلك العقلية الفرنسية، ونحن واعون

بالخطاب العالمي ومدركون للواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وحاجتنا إلى الحوار

قبل الصدام، مع محافظتنا على ثوابت النص القرآني بدون إفراط ولا تفريط.

من أجل ذلك حاولت أن أوصل لتلك الترجمات الاستشرافية استنادا إلى نظريات الترجمة الحديثة؛ لنصل القديم بالحديث ونصل النظرية بالتطبيق، ونرى أن الهوة مازالت عميقة بين الترجمات الاستشرافية لمعاني القرآن الكريم وبين نظريات الترجمة الحديثة، وعلينا إذن أن نستفيد من نظريات الترجمة الحديثة، مثل: نظرية النص، والنظرية الوظيفية في ترجمات معاني القرآن الكريم، مع مراعاة خصوصية النص من الناحية العقدية واللغوية، كما أن السؤال عن حال المخاطب هل هو مسلم أو غير مسلم. هل هو على دراية ببعض الألفاظ والتعبيرات الإسلامية أو لا، وما درجة ثقافته وتعليمه؟ يجب أن يكون لها دور في عملية الترجمة، لا نقول بتطويع النص للقارئ، وإنما من قبيل مخاطبة الناس على قدر عقولهم. فالترجمة كما قلنا أنها نوع من التفسير يجب أن تكون موجهة، ولا ضير أن نركز على شيء ما أكثر من غيره بغية الإيضاح والدعوة، والأمر فقط يحتاج إلى تطويع تلك النظريات التي بذل فيها مؤصلوها ومنظروها جهدا وعلمًا؛ لنتناسب مع ترجمة معاني القرآن الكريم وليس العكس، ومن هنا ندعو إلى تعاون بين علماء الترجمة وممارسيها مع علماء الدين واللغة من العرب والأوربيين بصفة عامة؛ لكي تعم الفائدة وتكون هناك رؤية أعمق في النص المترجم وعلاقته بمستقبله، والأمر ممكن طالما تحقق هذا وصحت النيات .

فمن جهة قد لا يكون ما يتضمنه النص ملائماً للقارئ المستهدف. لنفرض أن قصة أجنبية احتوت على عبارات تهاجم الدين الإسلامي، فهل يتمسك المترجم بالأمانة الشكلية فيثير قارئه بدلا من أن يمتعه. ومن جهة أخرى قد لا يكون الأسلوب الذي لجأ إليه الكاتب ليثير مشاعر معينة لدى قارئه غير مجدية لدى القارئ المستهدف، مثال ذلك أن تحتوي على ما يعتبر سبابا في مجتمع النص المراد ترجمته، ولا تعتبر كذلك في مجتمع القارئ المستهدف.

ومن جهة ثالثة فقد يختلف مدلول العبارة من موقف لآخر، فعبارة "توكل على الله" قد يقصد بها المعنى المباشر، كما قد يقصد بها في مواقف الشجار معنى مناقض تماما، ومن ثم فقد يترتب عليها رد فعل مناقض لرد الفعل إزاءها في الحالة الأولى. فإذا ما تغافل المترجم عن هذا الفرق، وترجمها ترجمة مباشرة في الموقف الثاني خرجت ترجمته تحمل تناقضا غير مفهوم.

ومن هنا احتاجت الأقوام والأمم إلى إتقان اللغات المتعددة وتوفر المترجمين في المجتمعات ليستعان بهم في فهم المراد وتحقيق الأهداف المنشودة بين هؤلاء، ويدخل هذا من ضروريات المجتمع واحتياجاته ومن هنا قالوا: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، فإتقان اللغات وإيجاد المترجمين يكون عند أهل الدين والدنيا من الأمور الواجبة والضرورية.

وبما أن رسالة الإسلام عامة لجميع الخلق وخالدة إلى يوم القيامة اقتضت مصلحة تبليغ الدين إلى كافة الأمم والشعوب التي تختلف لغاتهم وبلدانهم، بلغاتهم ولهجاتهم وبما أن مصادر التشريع الإسلامي باللغة العربية فاقتضت الحاجة إلى أن تكون هناك تراجم لمعاني القرآن الكريم، وكذلك تراجم للسنة والمسيرة إلى لغات أخرى يفهمها أناس مختلفون من أمة الدعوة و الإجابة، حتى يتم بها رسالة الإسلام إلى الناس كافة.

ولأن يكون المترجم للقرآن و للسنة النبوية مترجما ناجحا هناك بعض مواصفات يجب أن يتحلى بها، و مسؤوليات شرعية وخلقية يشترط أن يراعيها باستمرار.

وأن يكون صادق اللهجة وأميناً في عمل الترجمة، متحرراً من النزعات والاتجاهات والعواطف الذاتية والقومية والعرقية والعنصرية والقبلية واللغوية وغيرها من الأمور المخلة أو يخشى منها وقوع الخلل في أداء هذا الواجب، وكذلك يجب أن يكون بعيداً من ميوله وأفكاره الشخصية، خاصة و هو يقوم بترجمة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي. فإذا أضاف إليها ميوله واتجاهاته الذاتية يكون قد خان الله وخان رسوله، ولذلك فإن الإخلاص في الدين والأمانة في العمل من أعظم مسؤوليات المترجم الشرعية والخلقية تجاه ترجمة نصوص السنة والمسيرة النبوية.

إنَّ أهمَّ ما خلصت له من خلال البحث في هذا الموضوع :

1- أن القرآن الكريم في مفرداته و صيغته و مصطلحاته و نظام نظمه يبقى

يسير الفهم عند من ألمَّ بمنظومة اللغة العربية و إلا لما أنزله الله رسالة خالدة ماحية لما قبلها من الرسائل المحرّفة، شريعة و منهاج حياة و وسيلة تخاطب دائمة بين الله عزّ و جلّ و عباده كلّهم دون تخصيص.

2- أن النظم القرآني محكم و معجز يوحى لقارنه و ساير أغواره أن مؤلّفه

منزّه عن الخلق، فيه ما هو جليّ لكلّ قارئ متدبّر، و ما هو مضمّر لسانيا لا يدركه القارئ العادي، و فيه ما هو مضمّر غيبي لا يدركه بشر مهما بلغ من النباهة و العلم، لا لشيء إلا لأنّ الله سبحانه أراد لكتابه الخاتم أن يكون تحدياً لكلّ عابث من ناحية، و من ناحية أخرى لكلّ من ادّعى العلم اللامتناهي.

3- أن البشر من مستشرقين و من مستغربين و من عرب، و من مسلمين

جهال سيحاولون على مرّ الأزمان أن يشوّها و يحزّفوا و يطمسوا الإسلام بالتصدي لكتاب الله و سنّة نبيه عليه الصلاة و السلام، تحت دعاوى التجديد تارة، و التصنيف تارة أخرى (الإسلام السياسي، الإقتصادي، العسكري، الفني...) . إنّ المستشرقين قد تجنّدوا بأقلامهم فحزّفوا و زوّروا و لم يصطف إلى جنبهم إلا من استطاع أن

يحصل على كتبهم و مؤلفاتهم.أما الآن في عصر الإنترنت فسيكون

المتساقطون كثر لحبهم لما هو أجنبي و لا يكلفهم مالا و لا ترحالا.

4- وجب على النخبة في الأمة الإسلامية ركوب كلّ الفضاءات المتاحة و

التكئل في مختبرات و نوادي لتصويب الترجمات و تصحيح المفاهيم

المزورة و التأليف باللغات الأجنبية للأجيال المقبلة على كلّ ما هو

إسلامي إما حبًا في التطلع أو اهتداء من أنفسهم أو كرها لمجتمعاتهم

المادية.

5- جزى الله عنا خيرا الدكتور صلاح الدين كشريد أن وضع ترجمات

لأمهات الكتب الإسلامية من قرآن و سنة، فأحسن ترجمتها إلى حدّ كبير

حتى شرع علماء الأمة في الترويج لمؤلفاته في المؤتمرات الدولية و

أصبحت مرجعا رسميا في المسترحة المعتمدة لدى قنوات التلفزيون

القرآنية الشرق أوسطية.

إنّ المستشرقين قد عاثوا في كلام الله و كلام نبيه المصطفى صلى الله عليه و سلّم

فسادا، فخلطوا و زوّروا و حذفوا و شوّهوا و لم يألوا جهدا ليصدّوا الأبواب في وجه نور

الله ﴿ والله منّم نوره و لو كره الكافرون ﴾. و لقد بيّنت في خلال هذا البحث كيف اتّحد

المستشرقون على قلب تعاليم الإسلام من خلال تحريف القرآن و الحديث عبر

ترجمتهما إلى اللغات المختلفة في وقت كان جهل المسلمين باللغات الأوربية قد بلغ

الإكتمال، فلم يقربوا هذه الترجمات و قد لم يكونوا على علم بوجودها، فانشرت انتشارا واسعا عم أرجاء المعمورة.

ثم و بعد زمن ،قيد الله لدينه علماء آتاهم من علوم اللغة و الدين ما فتح أمامهم أبواب و عقول و قلوب قوم سئمو التعتيم و التجهيل و حصر العلم عند رهبانهم.

لقد برز إلى الساحة العالمية علماء عرب مسلمون من أمثال الدكتور صلاح الدين كشريد ليتصدّر سرية المترجمين في الميدان الدعوي الإسلامي.

إنّ الدكتور صلاح الدين كشريد اختار ترجمة معاني النص بدل الترجمة الحرفية ؛ لأن الترجمة الحرفية لا تؤدي المعنى الوافي للنص وتبقى فيها ركافة ، ولذا أصبحت الترجمة الحرفية مهجورة في العالم في جميع اللغات وإنما يستفيدون من ترجمة معاني النص . والأمر الذي ينبغي أن يوضع في الاعتبار أن هذه الترجمة ليست ترجمة لكتاب أو تحرير أي عالم أو كاتب ، بل هي ترجمة لكلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم الذي له وقع العالي من حيث الأسلوب البلاغي والبياني بعد كلام الله تعالى . ومن هنا تجد عبارات قصيرة وألفاظ لها معاني كثيرة ، وفي مثل هذه الحالة لو ترجم عين اللفظ بدون النظر إلى المعنى فيواجه بركافة العبارة بجانب وقوع النقص والخلل في المعنى.

هكذا رسم المترجم منهجه في ترجمته، وقد راعى اتباع منهج ترجمة معاني النص وتجنب الترجمة الحرفية الركيكة ، وبذل في ترجمة معاني النص جهدا مشكورا لكنه لم يحالفه الصواب في مواضع كثيرة لأسباب عديدة.

لا شك أن المترجم كان مصيبا في ترجمته في الغالب ، إلا أنه لم يكن مصيبا ولا دقيقا في ترجمته في مواضع ليست بالقليلة ، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب ، من أهمها:

- أ- عدم وجود مكافئات فرنسية لمصطلحات القرآن.
- ب- تعذر الترجمة عند وجود المضمّر أو المحذوف أو المتضمن.
- ج- أثر المصطلح الإنجيلي أو التوراتي في غياب المكافئ
- د- ربما فهم معنى النص ، لكنه لم يهتد إلى المعنى المقابل الدقيق له في اللغة الفرنسية .

أو اعتماد المترجم في ترجمة النص على فهمه ، دون الرجوع في الغالب إلى كلام أهل العلم في بيان معنى النص ؛ لأنه لو رجع إلى كلام أهل العلم لكانت ترجمته أكثر دقة .

ويجدر هنا أن أنوه ببعض الأمور والضوابط التي ينبغي أن يلتزم بها المترجم لكتب

السنة :

1. ينبغي ألا يخضع المترجم للرؤى المذهبية والاجتهادات الشخصية.
2. يلتزم المترجم بجميع أحكام الشريعة الإسلامية حسب أصولها ومبادئها .
3. التقيد بمنهج السلف في الأمور العقديّة على ضوء الكتاب والسنة .
4. عدم التصرف في ترجمة النصوص بزيادة أو نقصان أو تحريف .
5. عدم تحميل النص ما لا يحتمل بالتكلف .
6. ترك المصطلحات العربية التي يتعذر ترجمتها إلى اللغة المترجم إليها كما هي بلفظها العربي ، وتوضيحها في الحاشية أو بين القوسين بعد الكلمة مباشرة.
7. وضع التعليقات حسب ما يتطلبه النص مع التجرد من التعصب المذهبي ورأي المترجم الشخصي.
8. استخدام اللغة السائدة المعاصرة المفهومة لدى معظم الناطقين باللغة المترجم إليها ، والابتعاد عن استخدام اللغة القديمة أو الكلمات المهجورة .

لا يسعني في آخر المطاف إلا أن أحمد الله على أن منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة التي

أتمنى أن أكون عدّ وقّيتها حقّها من الدراسة.

وبهذا الجهد المتواضع لا أدعي أنني قد وفيت الموضوع حقه ، واستكملته من جميع جوانبه ، ولكن حسبي أنني لم أدخر في سبيل ذلك وسعا . وإني لأرجو أن أسهم بهذا البحث في توضيح حقيقة الترجمات الإستشراقية للقرآن و السنة من الجانب اللساني و الشرعي على حدّ سواء . فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان لأن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا من عصمه الله بتوفيقه . وإني لأرجو كذلك من الله تعالى أن يجعل هذه المساهمة المتواضعة فاتحة خير لأمثال هذه الدراسات والله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وإنه نعم المولى ونعم النصير .

و أخيراً،

فبعد حمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإكمال هذا البحث ، أرى أن الواجب يدعوني إلى الإعراب عن شكري الجزيل وتقديري العميق لكل من كانت لديه المساعدة من حيث التوجيه والنصح، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء وأن يوفقنا وإياهم إلى ما يحبه ويرضاه . وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور مولاي علي بوخاتم، الذي كان لي الشرف أن أحظى به مشرفاً على الرسالة وصاحب اليد الطولى في سبب اختياري لهذا الموضوع ، وقد منحني الكثير من وقته وجهده وتوجيهاته في ساعات الإشراف وفي غيرها. فجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل له الأجر والمثوبة.

ترجمة الدكتور

صلاح الدين

كشريد

ترجمة الدكتور صلاح الدين كشريد

الدكتور صلاح الدين كشريد من مواليد القيروان في تونس في 1924، صيدلاني ومفكر إسلامي كبير ساهم بقلمه منذ عقود مديدة في تجلية حقائق الإسلام، كتب المقالات العديدة التي تقدم الإسلام في عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه كل ذلك باللغة الفرنسية التي تمكن منها وبرع فيها. بالإضافة إلى ثقافته العربية الإسلامية التي تلقاها في بيئته القيروانية الأصيلة فإنه أضاف إلى ذلك تحصيلا علميا عصريا تمثل في نيئه لشهادة الدكتوراه في الصيدلة من فرنسا التي عاد منها ليمارس هذه المهنة في تونس العاصمة في محله الكائن بنهج الجزيرة بجوار مقر مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية.

وكانت للدكتور صلاح الدين كشريد في أوائل سنوات الاستقلال مشاركة في الحياة السياسية في مدينة القيروان حيث انتخب عضوا بمجلس الأمة. ثم تفرغ بعد ذلك لحرفته واختصاصه ولكنه أضاف إلى ذلك اجتهادا في الاطلاع والتنقيب الذاتي من خلال مطالعته المزدوجة باللغتين الفرنسية والعربية وفي هذه الفترة انس من نفسه قدرة على خدمة دينه الحنيف وثقافته الإسلامية وذلك بكتابة مقالات وبحوث باللغة الفرنسية عن الإسلام بمختلف جوانبه وكانت اللغة الفرنسية في فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضي هي لغة النخبة السياسية والثقافية فكانت كتاباته موجهة بالدرجة الأولى إلى هؤلاء لتبين لهم أنه في الإمكان إتقان اللغات الأجنبية والتفتح على الثقافات الأخرى مع

المحافظة على الأصالة والهوية العربية الإسلامية وكان الدكتور صلاح الدين كشريد من أول من اجتهد بقلمه باللغة الفرنسية في التعريف بالإسلام على حقيقته ولا عجب أن يكون أول كتاب يصدر له يحمل عنوان

Le vrai visage de l'Islam	الوجه الحقيقي للإسلام
---------------------------	-----------------------

في 1968 أسس الحبيب المستاوي مجلة جوهر الإسلام باللغتين العربية و الفرنسية و كان من أبرز الكتاب فيها الدكتور صلاح الدين كشريد.بعدها أصدر كتابه الثاني بالعربية و الفرنسية

Assises et structuration de la cité islamique	أسس و قواعد المدينة الإسلامية
---	-------------------------------

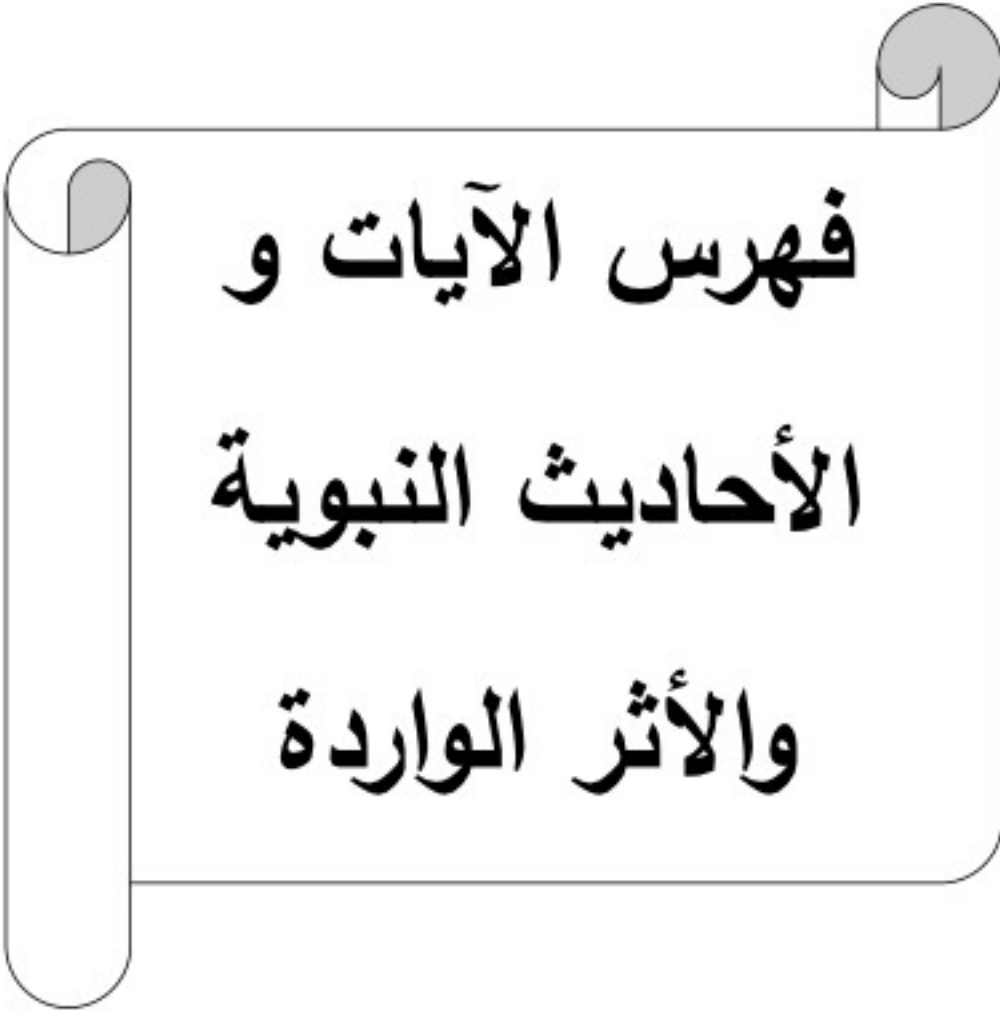
و بعدها قام بأول عمل ترجمي إلى الفرنسية و كان كتاب تعليم الصلاة للشيخ محمد محمود الصواف.

من مؤلفاته ترجمات إلى اللغة الفرنسية:

Le Saint Coran et la Traduction du Sens de Ses Versets – 1981	ترجمة معاني القرآن الكريم
Les jardins des vertueux – 1987 (An-Nawawi)	رياض الصالحين
Le licite et l'illicite en Islam – 1990 (Youssef El Qardhaoui)	الحلال و الحرام في الإسلام
La femme à travers les versets coraniques – 1991 (Ismatuddinne Karkar).	المرأة من خلال آي القرآن

توفي الدكتور صلاح الدين كشريد في 03 نوفمبر 2012، رحمه الله و أسكنه فسيح

جنانه.



**فهرس الآيات و
الأحاديث النبوية
والأثر الواردة**

فهرس الآيات و الأحاديث النبوية والأثر الواردة

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
204	26	﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ...﴾	البقرة
162	36-35	﴿و قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾	
268	79	﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم و ويل لهم مما يكسبون﴾	
59	90	﴿بنمسا اشتروا به أنفسهم﴾	
59	102	﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾	
203	108	﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾	
58	128	﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾	
203	158	﴿إن الصفا و المروة من شعائر الله﴾	

161	173	﴿ ما أهل به لغير الله ﴾
259	187	﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾
107	189	﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من أتقى، واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾
165	193-195	﴿و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين، الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، و تقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين ، و أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و أحسنوا ، إن الله يحب المحسنين﴾
165	195	﴿و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾
165	207	﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله و الله رؤوف بالعباد﴾
195	259	﴿فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾
150	261	﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة منه حبة و

		الله يضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم ﴿﴾	
204	7	﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات﴾	آل عمران
201	77	﴿إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة و لا يكلمهم الله و لا ينظر إليهم يوم القيامة و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم﴾	
243	104	﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾	
261	118	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾	
112	183	﴿حتى يأتينا بقريان تأكله النار﴾	
112	10	﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى بالباطل﴾	النساء
149	25	﴿فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾	
150	25	﴿و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من	

		فتياتكم المؤمنات ﴿﴾	
249	34	﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واحجوهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾	
258	43	﴿ أو لامستم النساء... ﴾	
251	89	﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله﴾	
251	97	﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾	
250	100	﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله... ﴾	
156	171	﴿ولا تقولوا ثلاثة...﴾	
242	3	﴿اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾	المائدة
156	73	﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾	
244	38	﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾	الأنعام

192	94	﴿لقد نقطع بينكم﴾	
164	151	﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾	
144	164	﴿قل أغير الله أبغي ربا﴾	
112	7	﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله﴾	الأعراف
243	159	﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون﴾	
246	88	﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾	التوبة
203	102	﴿و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾	
253	103	﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾	
59	54	﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾	يونس
207	50	﴿والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾	هود
207	61	﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾	
223	2	﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾	يوسف

59	20	﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾	
133	24	﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾	
208	28	﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾	
190	35	﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾	
244	45	﴿واذكر بعد أمة﴾	
135	53	﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إن ربي غفور رحيم﴾	
266	108	﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني و سبحان الله وما أنا من المشركين﴾	
208	39	﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾	الرعد
143	10	﴿أفي الله شك﴾	إبراهيم
191	45	﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾	
227	94	﴿فأصدع بما تؤمر﴾	الحجر
219	89	﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾	النحل
161	114	﴿واشكروا نعمة الله﴾	

243	120	﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾	
163	31	﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطأ كبيرا﴾	الإسراء
268	36	﴿و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾	
194	26	﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع﴾	الكهف
101	109	﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي﴾	
223	4	﴿قال ربي إنني وهن العظم مني و اشتعل الرأس شيبا و لم أكن بدعائك ربي شقيا﴾	مريم
242	15	﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾	
207	28	﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾	
155	39	﴿فاقذفيه في اليم﴾	طه
192	59	﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى﴾	

203	18	﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾	الأنبياء
251	58	﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين﴾	الحج
246	78	﴿جاهدوا في الله حق جهاده﴾	
225	39	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾	النور
112	7	﴿و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾	الفرقان
178	195	﴿بلسان عربي مبين﴾	الشعراء
230	214	﴿و أنذر عشيرتک الأقربين﴾	
101	27	﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾	لقمان
168	1	﴿الحمد لله الذي له ما في السماوات و ما في الأرض و له الحمد في الآخرة﴾	سبا
193	23	﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾	
147	130	﴿سلام على إله ياسين﴾	الصفات
193	32	﴿إنني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾	ص

98	28	﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج ﴾	الزمر
151	56	﴿ فرطت في جنب الله ﴾	
195	35	﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبير مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾	غافر
266	33	﴿ هو من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحا و قال إنني من المسلمين ﴾	فصلت
58	22	﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾	الزخرف
243	33	﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾	
135	49	﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾	الدخان
112	12	﴿ أحبب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾	الحجرات
208	75	﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾	الواقعة
151	2	﴿ فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾	الحشر
194	5	﴿ بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾	الجمعة
201	9	﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾	التغابن
160	12	﴿ و مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدقت ﴾	التحريم

260	25-24	﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾	المعارج
193	26	﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾	القيامة
202	35-34	﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾	
206	10	﴿وجعلنا الليل لباسا﴾	النبا
59	17	﴿والليل إذا عسعس﴾	التكوير
253	14	﴿قد أفلح من تزكى﴾	الأعلى
203	17	﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾	الغاشية

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث النبوي	السند
202	لا يزنني الزاني حين يزنني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن	رواه الطبراني في الأوسط والبخاري، حديث مرفوع
128	ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن	صحيح كما في صحيح الجامع للسيوطي
128	أي الإسلام أفضل؟ قال: " من سلم المسلمون من	صحيح البخاري -

	لسانه ويده	حسن
129	وما أعطي أحد عطاء خير أوسع من الصبر	صحيح البخاري- صحيح
128	سئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: أي الإسلام خير؟ فقال: ' خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم	مسند الإمام أحمد- ضعيف
266	فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم	صحيح البخاري- صحيح
268	من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار	صحيح البخاري- صحيح
122	عن عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة، اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟»، قالت: فقلت: لا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت	صحيح مسلم- صحيح
125	الأئمة من قريش	مسند الإمام أحمد- صحيح
125	لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش	مسند الإمام أحمد- متفق عليه
125	اسمعوا و أطيعوا و إن استعمل عليكم عبد حبشي كأن	صحيح البخاري-

	رأسه زبيبة	صحيح
128	سئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: أي الأعمال أفضل؟ قال: " حج مبرور" قيل: ثم ماذا؟ قال: " جهاد في سبيل الله"	صحيح مسلم- صحيح
128	سئل عليه الصلاة والسلام أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قال: ثم أي؟ قال: " بر الوالدين" قيل: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"	مسند الإمام أحمد- مضطرب
128	عن أبي إمامة قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: " أمرني بأمر أخذه عنك"، قال: "عليك بالصوم فإنه لا مثل له"	صحيح النسائي للألباني-صحيح
128	أي الأعمال أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: "الذاكرون الله كثيرا والذاكرات"	سنن الترمذي- صحيح

فهرس الأثر

الصفحة	المأثور	نوع الأثر
322	"إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها،	دعاء استفتاح خطبة الحاجة

	وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ^١	
--	--	--



قائمة المصادر

و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع

المصادر

-مصحف القرآن الكريم

-صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاء، الطبعة الأولى،1422هـ.

- ابن عبد البر، جامع بيان العلم و فضله ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري،دار ابن الجوزي-الدمام،الطبعة الأولى،1994.

-أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن المبارك اليزيدي مقدمة محقق كتاب غريب القرآن وتفسيره ،عالم الكتب،بيروت.

-الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1974.

-الإحكام في اصول الأحكام أبو الحسين الثعالبي الأمدي، تحقيق عبد الرزاق عفيفي،المكتب الإسلامي،بيروت-دمشق-لبنان،2008 .

-إعراب القرآن ،أبو جعفر النحاس،تحقيق زهير غازي زاهد،عالم الكتب-مكتبة النهضة،1985الطبعة الأولى.

-إعلام الموقعين عن رب العالمين،محمد ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم،دار الكتب العلمية-بيروت،الطبعة الأولى،1991.

- البحر المحيط في أصول الفقه،محمد بدر الدين الزركشي، تحقيق عبد القادر عبد الله العاني،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية-مصر،الطبعة الثانية،1413هـ-1992
- البرهان في علوم القرآن،بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار التراث،القاهرة،1981.
- البيان والتبيين، الجاحظ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،1418هـ-1998م
- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، دار التونسية للنشر،2005
- الأمثال في القرآن، ابن القيم ،تحقيق أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، كتبة الصحابة - مصر - طنطا،الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1348-1964
- الجامع الصحيح ، الترمذي ،تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى،1996
- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، الطبعة الرابعة،1993
- الدر المنثور،السيوطي ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية،1424-2003
- الإكليل في استنباط التنزيل ،السيوطي ،تحقيق عبد الله محمد الصديق الغماري أبو الفضل، دار الكتاب،1418هـ
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي،تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة :الأولى - 1422 هـ-

- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا ،
مؤسسة قرطبة، 1414هـ، 1994

-الكتاب ، عمرو بن عثمان أبو بشر، الملقب سيبويه ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة
الخانجي، القاهرة الطبعة :الثالثة، 1408 هـ - 1988 م

- المقدمة، ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، الطبعة الأولى، 1425-2004
· السنن الكبرى، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم ثلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421-
2001

الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: طارق بن عوض الله محمد ، دار ابن القيم، دار ابن
عنان، الطبعة الأولى. 1973

· مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 2004

· تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ،أم القرى، المملكة
العربية السعودية، 1956.

-تأسيس النظر ، أبو زيد بن عيسى الدبوسي، تحقيق مصطفى محمد القباني الدمشقي، دار ابن
زيدون - بيروت، 1983.

· تفسير ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر، بيروت، 1401هـ،

-تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الإمام أبي السعود محمد
بن محمد العمادي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2010.

-الخصائص ،ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة الرابعة،1998 .

· شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية،تحقيق الحساني حسن عبد

الله، دار التراث - القاهرة،1985

· لسان العرب ، ابن منظور الأتصاري، دار صادر - بيروت الطبعة :الثالثة - 1414 هـ .

· الكليات في الفروق اللغوية ، الكفوي ، قابله عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة

الرسالة ، بيروت ، ط1، 1992 .

· شرح شذور الذهب ، ابن هشام ، تحقيق: حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ،

1988.

· الكشف عن حقائق غوامض التنزيل،الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة :الثالثة

- 1407 هـ

· زهر الآداب و ثمر الألباب ، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني،تحقيق زكي مبارك - محمد

محي الدين عبد الحميد، دار الجيل،الطبعة الرابعة،1987

-فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني الشافعي،دار المعرفة-

بيروت،1379هـ.

-فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث،محمد السخاوي شمس الدين،دار المناهج،مكة،1426هـ.

-فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، لابن رشد ،دراسة و

تحقيق محمد عمارة،دار المعارف،الطبعة الثالثة،1984.

· مجموع فتاوى ابن تيمية أحمد بن تيمية، جمع و ترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن

قاسم، ط. المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، الرباط، مكتبة المعارف، 1981

· نظم الدرر، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1404-1984

-المزهر في علوم اللغة و أنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب

العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1998.

-المستصفي، أبو حامد الغزالي، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة

الأولى، 1993 .

-معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى-مكة، الطبعة

الأولى، 1409هـ.

-المنخول في تعليقات الأصول، أبو حامد الغزالي، تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر-

دمشق، 1400هـ.

-الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن

عنان، الطبعة الأولى 1419هـ.

-النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار ابن الجوزي، وزارة الأوقاف و الشؤون

الإسلامية، قطر، 1421هـ.

المراجع

1-المراجع العربية

- إبراهيم عوض،دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل ،الطبعة الأولى،مكتبة الأمين،القاهرة 1419هـ-1998م.
- إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الخامسة،1984
- إبراهيم محمد، الجانب الإعلامي في خطاب الرسول، المكتب الإسلامي، بيروت،1986.أحمد حسن عبد السلام،تاريخ الإستشراق الألماني،مجلو ضمن الفكر الإسلامي،العدد31،السنة5،بيروت،1983.
- إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره.دار طيبة:1994.
- ابن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت،1982.
- ابن كمال باشا، أسرار النحو ، تحقيق: أحمد حسن حامد ، دار الفكر ، عمان ، 1989
- بوشعيب برامو، ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة للفهم ، جامعة الملك عبد الله،2007
- أبو غدة، الرسول المعلم-صلى الله عليه وسلم- و أساليبه في التعليم، دار البشائر الإسلامية،الطبعة الثانية،2003
- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، بيان إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله، دار المعارف بمصر الطبعة :الثالثة، 1976م

- أبو صفية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، دار المعارف، عمان -

الأردن، 1989

· أبو عمر الداني، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي - بيروت، 1984 - 1404

· ابن باز و ابن عثيمين، فتاوى للمسافرين و المغتربين. وزارة الإعلام، الدمام،

السعودية، 1413هـ

· ابن عثيمين، أصول التفسير. دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع - الدمام، 1423

· ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. دار الرائد للنشر والتوزيع، 1982

· ابن تيمية، تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، تحقيق محمد عزيز شمس - علي

بن محمد عمران، مجمع الفقه الإسلامي - جدة، الطبعة الأولى، 1425-2005

· ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام

الطبعة: الأولى، 1399 هـ - 1979 م

· ابن جنى، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، تحقيق علي النجدي، القاهرة 1386-

1966

· ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5،

1997م.

· أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد

سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1381هـ

· أبو عبد السلام النيجيري، كتاب دور الترجمة الدينية، مطبعة الحكمة للتصميم

والنشر، لاغوس، الطبعة الأولى 1426 هـ 2005م

أبو عبد السلام النيجيري، دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله، ديوان الرياض، مطبعة ألبى،

إلورن 2005م

- أبو هلال العسكري، الحسن: الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة- بيروت: ، ط2، 1997م

- الحسين الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم

للملايين- بيروت: ، ط2، 1977م

- مطبعتي بغداد، التكملة في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية، 1357

- الإمام الشافعي، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى، المحقق: صلاح

فتحي هلال، مكتبة الرشد، 1998.

- الدامغاني، معجم قاموس القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، الطبعة

الرابعة 1984.

- العز بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تحقيق رمزي سعد

الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 1987

- حسين الحربي، قواعد عند السياق المفسرين، دار القاسم، الطبعة الأولى، 1417-1996

- جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، جمع وتقديم: عادل سليمان جمال، ط1، القاهرة، نشر

مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة، 2003م

- رشيد بلحبيب، ضوابط التّقديم و التأخير وحفظ المراتب في النحو العربي ، ط1، الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب، وجدة، مطبعة النجاح الجديدة، 1998م .
- جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار الفكر - بيروت ، 1993.
- انفتاح النص الروائي : النص والسياق ، سعيد يقطين، عن المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، الطبعة الثانية 2001
- أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة -بيروت: ، 1379هـ/1960م.
- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي 1982.
- أبو بكر الباقلاني، الانتصار للقرآن ،تحقيق د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح - عمان، دار ابن حزم - بيروت الطبعة :الأولى 1422 هـ - 2001 م
- أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مركز البحوث والدراسات اليمني ط الأولى 1984.
- أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني. دار المعرفة بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة 1422هـ/2001م.
- أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2009
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب 2009
- أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ، عالم الكتب ط3 سنة 1993م.

- أحمد نصيف الجنابي، ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة ، مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء الرابع - المجلد الخامس والثلاثون - الصادر في 1405هـ - 1984م
- أحمد عبادي. الترتيل في القرآن المجيد: دراسة في المفهوم والمستويات. مجلة رسالة القرآن، العدد الثاني، السنة الأولى، 2005م.
- أحمد عبادي. مفهوم الترتيل في القرآن الكريم النظرية والمنهج- رسالة دكتوراه-، السنة الجامعية 1422-1423هـ/2001-2002م، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.
- إحسان ظهير ،البابية عرض ونقد، ط إدارة ترجمان السنة، باكستان. 1401هـ-1965.
- أسامة خياط ، مختلف الحديث - أطروحة دكتوراه-، دار الشراح ،المدينة المنورة، 1987
- الشاهد البوشيخي. القرآن الكريم والدراسة المصطلحية. دار السلام، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م،
- الشاهد البوشيخي. نحو منهج لدراسة الألفاظ القرآنية، محاضرة أقيمت بندوة "القرآن المجيد وخطابه العالمي"، 21-26 ماي بكلية الآداب بأكادير. نقلا عن أحمد عبادي.
- الشاهد البوشيخي مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج: ، دار الغرب، بيروت، ط/1993، 1
- أنور محمود زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م.
- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، الطبعة الخامسة 1427هـ-2006م

حسن فضل، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع

الطبعة العاشرة 2005م

حمّد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث، دار النهضة

العربية، ط1، 1966.

حميد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003.

ساسبي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002

ساسبي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مركز دراسات العالم

الإسلامي، ط1، 1991

سعيد الشهراني السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية رسالة دكتوراه، جامعة أم

القرى، 1999.

ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة و تحقيق كمال بشر، دار غريب للطباعة و

النشر، 1997 .

سهيل قاشا: قراءة في كتاب 'المعتزلة-ثورة الفكر الإسلامي الحديث'، دار التنوير، بغداد 2010.

شهاب الدين محمود الزنجاني، تخريج فروع الأصول، تحقيق أديب صالح، مؤسسة الرسالة،

بيروت، 1987.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر

والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004

صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التثوير، ط1، 1993،

-صوا باشا، مذكرات حول نظرية الفقه الإسلامي، ترجمة باهاء أريقان، منشورات رئاسة الشؤون

الدينية، أنقرة 1955.

-عبد الرحمن بدوي: موسوعة المسشرقين، دار العلم للملايين، بيروت 1984.

· عبد الفتاح الحموز، التأويل النحوي في القرآن الكريم ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1984

-عبد الرحمان الحاج ،ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وإيديولوجيا الحداثة ، مجلة الملتقى:العدد

الأول،مجلة المسلم المعاصر، 1998.

-عبد الرحمان الحاج، المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله مجلة رسالة المسجد،

ع 1، 2003.

· عبد الرحمن بوردع، منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، ع:111، المحرم 1427هـ-

فبراير 2006م

-عبدالله بن محمد الحبشي: تصحيح أخطاء بروكلمان، الأصل و الترجمة، ط المجمع الثقافي

أبوظبي، 1998م

· عبدالله بن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين

عبد الحميد ، المكتبة العصرية-مصر، 1411هـ

- عبد الستار الحلوجي، جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي، 'مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية' بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. العدد 6، 1976.
- عبد العزيز البخاري ، كشف الأسرار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1994 .
- عبد المحسن بن زين المطيري، دعاوي الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها. دار البشائر: 2007.
- عفان صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.
- علي بن إبراهيم، المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية النملة. ط: 1. بيسان بيروت: 2010.
- علي حرب، الاستلاب والارتداد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1997.
- فتحي الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 3 ، 1434 هـ / 2013.
- فريد عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
- فريد الزاهي: النص الأدبي، من الرمزية إلى التأويل، مجلة علامات في النقد، ج 61، مج 16، النادي الأدبي، جدة، السعودية، 2007.
- فريد عوض حيدر، سياق الحال في الدرس الدلالي ، مكتبة النهضة المصرية. 1990.
- فريدة زمر، مفهوم التأويل في القرآن والحديث الشريف. سلسلة الرسائل الجامعية (2)، معهد الدراسات المصطلحية كلية الآداب ظهر المهرز-فاس. ط 1 أكتوبر 2001.

-فضل عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن ورد شبهات، ط2، 1989،
دار النشر، عمان.

فندريس، اللغة- ترجمة الدواخل والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1950م.

- قاسم السامرائي. الإستشراق بين الموضوعية والافتعالية. دار الرفاعي، الرياض 1403.

-كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، وكالة الأهرام للتوزيع، الطبعة

الأولى، 1998

- ماجد الجعافرة، التشكيل البلاغي وأثره في بناء النص، البصائر، مج2، ع2، جمادي

الأولى 1419هـ، ايلول 1998

- محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة

وهبة، الكعبة السابعة، 2009

- محمد الطيب، الجملة في كتاب سيبويه، كلية الآداب، ابن مسيك، الدار البيضاء، 1990م.

- محمد الدغمومي، نقد النقد- مدخل ابستمولوجي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بالباط، سلسلة : رسائل وأطروحات، رقم : 44، 1995،

-محمد البهي، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ط6، 1973، دار الفكر، بيروت.

-محمد الغزالي، فقه السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، 1989 .

- محمد بن عبد الله دراز ، النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، دار القلم للنشر

والتوزيع ، 2005 .

- محمد ابن فرقد الشيباني، كتاب الحجة على أهل المدينة، ترجمة و تحقيق مهدي الكيلاني القادري، عالم الكتب، بيروت، 1983.

- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة الدكتور ط 1 القاهرة سنة 1403 هـ 1983م.

- محمد بن محفوظ بن عبدالله الترمسي، منهج ذوي النظر في شرح منظومة علم الاثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 هـ / 2003 م

- محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الرابعة عشر ، 2001 .

- محمد سليم العوا، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والإعلام، الرياض، 1985م.

- محمد عائد الجابري في موضوع نقد النص الديني في الثقافة الغربية : مجلة فكر : عددها التاسع 1999

- محمد عوني عبدالرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق و الترجمة، تقديم إيمان السعيد جلال، مكتبة الآداب، القاهرة 2006 .

- محمد المالكي.دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996م

- محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، 1997

- محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، ترجمة: مروان عبدالصبور شاهين، دار الاعتصام، ط1، 1414 هـ/ 1994، القاهرة.

-محمد محمد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دار النشر للجامعات، الطبعة 1، القاهرة 2002.

-محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999.

-محمد صالح البنداق، الممتشرقون وترجمة القرآن الكريم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1403هـ / 1983

-محمد عمارة، النص الديني بين التاريخية و الإجتهد و الجموح، دار النهضة مصر، 2007.

-محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، براون بول تحليل الخطاب، جامعة الملك سعود، 1997.

-محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منهج ورسالة، دار القلم -

دمشق، الطبعة الأولى، 1998

-محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،

مجمع الفقه الإسلامي بجددة، 1417-1995

-محمد بن عبد الله الأندلسي، شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، دار الكتب

العلمية، بيروت -لبنان، 1998

-محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط.2، بيروت،

دار الفكر، 1398هـ -1978م.

-محمد محسن خان، صحيح مسلم باللغة الإنجليزية، - مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة

الثانية، 1423-2003

-محمد رحيم الدين ترجمة موطأ الإمام مالك بالإنجليزية، دار المعارف الإسلامية، 1994

- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، 2014.
- محمود جاب الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005.
- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية، دار المعارف، بيروت 2004 .
- محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، 1984.
- مجموعة من المستشرقين الأمريكيين، الفرقان الحق، مؤسسة الخدمات و الأبحاث الثقافية، بيروت لبنان ط1، 1999م.
- مصطفى صادق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان. 1410هـ/1990م.
- مصطفى ناصف، نظرية التأويل ، النادي الأدبي الثقافي، جدة ط1، مارس، 2000.
- منتغمري وات: محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية -بيروت، 1995 --
- منى عبد المنعم أبو الفضل، نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات. مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م.
- مكي بن أبي طالب ،مشكل إعراب القرآن الكريم ، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978
- موريس أبو ناصر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع: 18-19، مارس 1982م
- ميشا جحا، الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا، ج1، معهد الإنماء العربي، بيروت 1982.

-روبير منتران: سلسلة الثقافة المقارنة "الإستشراق"، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد1987.

-نصر حامد أبو زيد يحي رمضان، المقاربة الهرسية للوحي: قراءة في الخطاب اللاديني، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 6، 1999.

-نوار محمد اسماعيل، التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: أطروحة دكتوراه كلية الآداب، جامعة الموصل، 2004

-نوح بن يحيى بن صالح الشهري، أثر السياق في النظام النحوي، رسالة دكتوراه، دار المعارف- أنقرة، 1992

-هاشم محسن ناصرة، المنتقى من الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، 2009

- عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، انتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، (ت 802هـ) ، تحقيق: طارق الجنابي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى ، 1987

- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

-مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط5 ، 1997م .

- جمال أسطيري، مصطلحات الجرح والتعديل المتعارضة، ، مطبعة أضواء السلف 1425

. هـ

-إعادة قراءة القرآن، رد مجد رجب البيومي على جاك بيرك، ترجمة د.وائل غالي شكري، تقديم:
د. أحمد صبحي منصور- دار النديم للصحافة -مصر، الطبعة: الأولى 1996.

- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، 2005
- تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى الفرنسية، مجموعة من العلماء، مجمع الملك فهد، ،
1988

- كريم زكي حسام الدين، القرابة: دراسة أثولوجوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، ،
دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001
- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح: ، الدار العربية للكتاب
، تونس ، دط ، 1984 ،

- محمد مرتضى الزبيدي،: تاج العروس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت،
1989

ترجمة كشريد لمعاني القرآن الكريم، 1979.

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق د. إحسان عباس، وزارة الإعلام بدولة الكويت. 1962م.
- محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة و
النشر، بيروت، 2008

- م. لارسون ،الترجمة والمعنى ،تر : محمد حلمي هليل ، جامعة الكويت 2007 .

- كوريم سعاد، الدراسة المفهومة مقارنةً تصوّريةً و منهجيةً، مجلة إسلامية المعرفة، إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عدد60، السنة 15، ربيع 1431هـ-2010م، بيروت- لبنان.

- عيسى الملايكة ، تقييس المصطلح و توحيدده في العالم العربي:المبادئ و الطرائق، مجلة المجمع العلمي العراقي، م41/ج1 1410هـ-1990م.

- علي جمعة محمّد، المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة الطبعة :الأولى - 1417 هـ - 1996 م

-عدنان المقراني، التجربة الدينية و النص ، قضايا إسلامية معاصرة،مجلة متخصصة تعنى بالهجوم الفكرية للمسلم المعاصر،السنة الخامسة عشرة،العدد 47-48،صيف و خريف 2011-1432،مركز دراسات فلسفة الدين-بغداد

- مجدي وهبة "الأدب المقارن و مطالعات أخرى" ،الطبعة الأولى، الشركة

المصرية العالمية ؛ مكتبة لبنان، القاهرة : لبنان : 1991-1412

- عبد العزيز العبد اللطيف ضوابط الجرح والتعديل ، دراسة و ترجمة اسرائيل بن يونس،مطبعة العبيكان،1987.

واصل أحمد بن أحمد، أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي،دار طيبة للنشر و التوزيع- الرياض 2012

· وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - مكتب
القاهرة، 1418هـ/1997م.

· وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهرانية إلى التفكيكية، ترجمة د. يوبيل يوسف عزيز، دار
المأمون - بغداد 1987

· يحيى عليان و عثمان غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، دار الصفا
للنشر والتوزيع، عمان، ط2000.

· يحيى مراد: أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت 2004.

· يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، الطبعة
الأولى، 2001

2-المراجع الفرنسية

- BARTHES Roland: *Philosophie et critique, Textuel*, n°64, Évelyne Grossman.
- BROCKELMANN, Carl: *Geschichte Der Arabischen Literatur*, Leiden 1938
- CHEBEL Malek. *Dictionnaire des symboles musulmans. Rites, mystique et civilisation*, Paris, Albin Michel. CHELHOD J., 1955.
- DELISLE, Jean. *Analyse du Discours comme méthode de traduction*. Éditions de l'Université d'Ottawa, 1980.
- ENCYCLOPAEDIA OF TRANSLATION: by Routledge 11 New Fetter Lane, London 1998.
- FODOR Janet Dean, *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar*. Crowell, Cambridge 1977
- LANGUAGE STRUCTURE AND TRANSLATION. Eugene Albert Nida. Stanford University Press, 1975
- MAJOREL Jérémie et SCLAUNICK Élisabeth "Les facultés de juger. Critique et vérité", Université Paris-Diderot Paris 7, 2011
- MOUNIN Georges, *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Gallimard, 1963 et « Tel » n° 5, 1976..
- NOLDEKE, Theodor, *Geschichte des Corans (GdQ)*: Leipzig 1919.
- PETIT ROBERT, Dugas Jean-Yves, 1978.
- POUPARD Paul, *Dictionnaire des religions*, Paris presses Universitaires, 1984
- RODINSON, M, Mahomet. éditions du Seuil Paris 1961. *Jean dubois, dictionnaire de linguistique*, Jean-Pierre Mevel, Paris, Larousse, 1973
- SOURDEL Dominique et Janine, *Dictionnaire historique de l'islam*, Paris, PUF, Quadrige Dicos poche, [1996] 2004
- THINKING ARABIC TRANSLATION. James Dickens, Sándor G. J. Hervey, Ian Higgins, Psychology Press, London, United Kingdom 2002

- THINKING FRENCH TRANSLATION. A Course in Translation Method : French to English by Sandor Hervey, Ian Higgins, Taylor & Francis Ltd ,Routledge London, United Kingdom;2002
- THOMPSON Albert W. Revue belge de philologie et d'histoire Année 1960 Volume38 Numéro 38-2
- TRANSLATION STUDIES. (Revised Edition.) Reviewer, J VINAY (J.-P.) et DARBELNET (J.). *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. BELGIQUE (1968)
- VINAY (J.-P.) et DARBELNET (J.). *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. BELGIQUE (1968)

Sytographie

-شبكة التفسير والدراسات القرآنية وملتقى أهل التفسير، موراني بون، ألمانيا، الشبكة العنكبوتية، 2005/2/2م.

- الدكتور إبراهيم عوض في بحثه: "فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون" وهو منشور

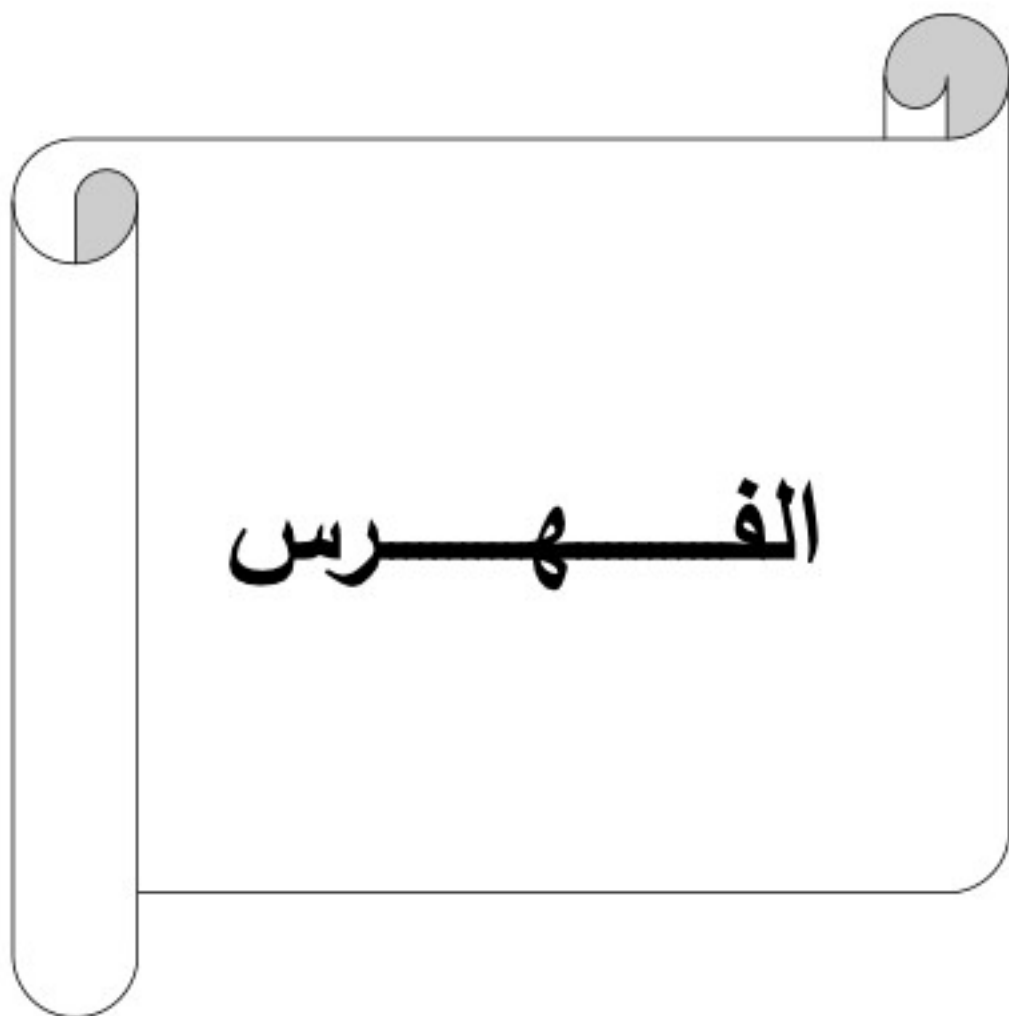
في

www.awad.phpnet.us

القول الثقيل والترجمة التأصيلية: آفاق وحدود، محاضرة د. طه عبد الرحمان على موقع

<http://www.maghress.com/attajdid/102127>

-الحسني (عبد الكبير)، إشكالية المصطلح اللساني الحديث، معهد الدراسات و الأبحاث
www.annaba.org للتعريب، الرباط، مقال منشور بمجلة النبأ المعلوماتية،



الفهرس

5.....المقدمة

الفصل الأول

17.....مقدمة

20.....المستشرقون

أهم المدارس

21.....الاستشراقية

المدرسة

21.....الفرنسية

المدرسة

23.....البريطانية

المدرسة

25.....الألمانية

32.....أبرز مؤلفاتهم

- 36.....دراسة المستشرقين للقرآن و علومه
- 42.....منهج المستشرقين في البحث
- 45.....مظاهر تأويل النص القرآني عند المستشرقين
- 45.....تأويل آيات العقيدة
- 47.....تأويل الحروف المقطعة وأسرارها
- 51.....مصطلح التأويل
- 52.....التأويل القرآني
- 52.....القرآن الكريم بين المعرفة اللغوية و التأويل
- 55.....خصوصية استعمال الكلمة القرآنية
- 55.....من ناحية الإيقاع الصوتي
- 56.....من ناحية الترادف و الاشتراك و التضاد
- 60.....تأويل الحديث و السنة
- 68.....شروط صحة التأويل و أهدافه
- 68.....الشروط

الأهداف.....70

القراءات الحداثيّة للنص القرآني.....72

خاتمة.....83

الفصل الثاني

مقدمة.....87

نظام النظم القرآني.....89

القرآن من حيث النص والخطاب.....89

نسق القرآن الكريم.....91

لسان القرآن وألفاظه.....94

تجلي الدلالة القرآنية من خلال السياق.....102

التأويل في علم البديع.....106

النظرية السياقية ومفهوم التداولية.....110

أهداف النظرية السياقية.....115

سياق القرآن.....119

121.....	سياق الحديث النبوي الشريف
127.....	حال المتلقي عن النبي -صلى الله عليه وسلم
131.....	قواعد الفهم
136.....	مكونات السياق القرآني
140.....	أنواع السياق القرآني
141.....	سياق القرآن
144.....	سياق السورة
148.....	سياق القصة
149.....	سياق الآية
151.....	القواعد المتعلقة بترجيح السياق
158.....	المتشابه
158.....	المقصود بالمتشابه
159.....	الغرض من علم المتشابه في القرآن
160.....	الصلة بين السياق وعلم المتشابه

- 162.....-معطيات السياق القرآني و احتمالات المعنى.
- 163.....-التقديم و التأخير و السياق
- 164.....-أثر السياق في دفع شبهة التأويل
- 166.....-مظاهر المناسبة بين آيات القرآن الكريم
- 168.....- أثر المناسبة الصوتية لسياق الكلام في بيان المعنى
- 170.....خاتمة

الفصل الثالث

- 175.....مقدمة
- 177.....ترجمة النصوص الإسلامية.
- 178.....أسباب وقوع الأخطاء العقديّة في ترجمات السنة النبوية.
- 188.....ظاهرة الإضمار.
- 210.....مظاهر الإعجاز الترجمي.
- 211.....نقد المستوى النظري لترجمة القرآن.
- 219.....المستوى الإنجازي.

232.....	المصطلح الإسلامي.....
256.....	حكم ترجمة معاني القرآن والاصطلاحات الشرعية.....
257.....	الترجمة الحرفية.....
259.....	مكامن النقص لدى الترجمة.....
260.....	معايير الترجمة الصحيحة لنصوص القرآن و السنة.....
261.....	شروط الترجمة.....
264.....	أهمية فقه اللغة في الترجمة.....
265.....	الضوابط الشرعية للترجمة.....
269.....	خاتمة.....

الفصل الرابع

273.....	مقدمة.....
275.....	اللسانيات الحديثة و التغير الدلالي.....
287.....	التحول الدلالي لألفاظ القرآن الكريم.....
293.....	التجلي الدلالي.....
294.....	استيحاء الدلالة من الألفاظ.....
296.....	حدود التمايز بين المصطلح والمفهوم.....

302.....	شروط إختيار المصطلح في العملية الترجمية
311.....	ترجمة مصطلحات علوم السنة النبوية
314.....	الضوابط العامة لمترجم السنة النبوية
315.....	الضوابط الخاصة بمصطلحات السنة النبوية
320.....	أسس الترجمة
323.....	أنماط المضمرات
323.....	المضمرات النصية
332.....	المضمرات التناسية
241.....	المضمرات البصرية
343.....	المضمرات الحوارية
347.....	خاتمة
350.....	الخاتمة
	ترجمة الدكتور صلاح الدين كشريد.....
	فهرس الآيات و الأحاديث و الأثر.....

قائمة المصادر و المراجع.....